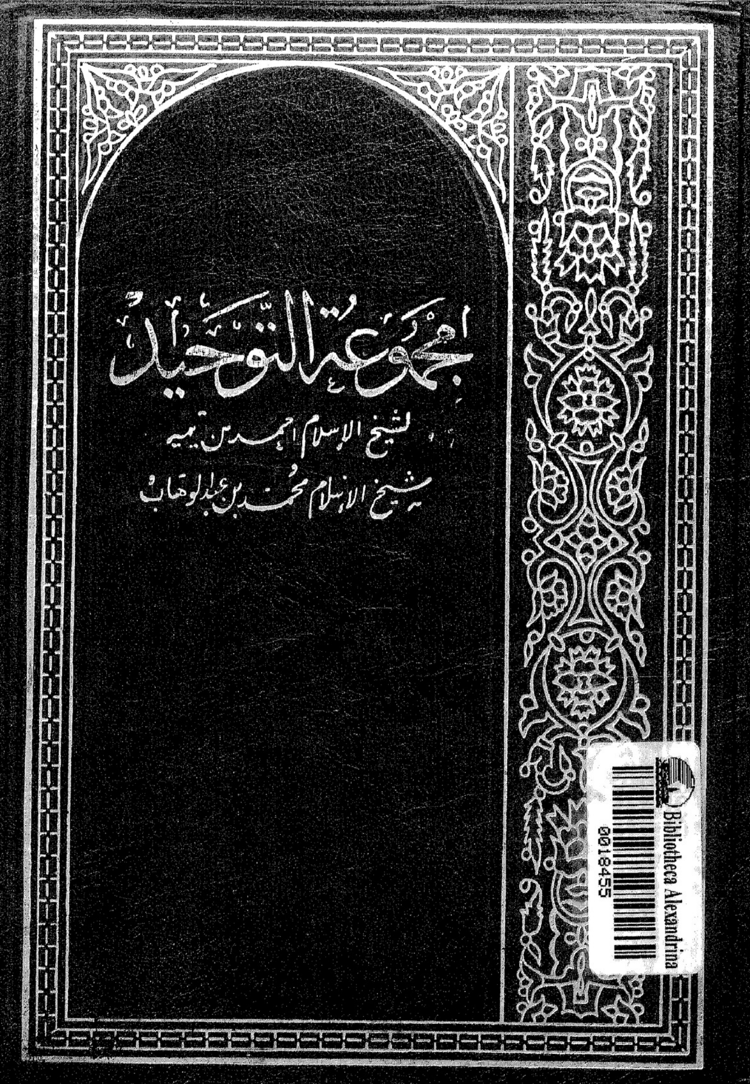

مجموعة التوحيد
لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية
وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
Bibliotheca Alexandrina
0018455



مجموعة التوحيد

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية
وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

طبعة منقحة مصححة

دار إحيـــاء التراث



شيخ الاسلام احمد بن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

نسـبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى الحرانى الدمشـقى الحنبـلى ، أبو العباس تقى الدين ابن تيمية .

مـولده :

ولد بحران (من أعمال دمشق) فى العاشر من ربيع الأول سـنة ٦٦١ هجرية الموافق سنة ١٢٦٣ ميلادية ، وكانت ولادته فى فترة تعتبر من أشد الفترات ابتلاء للمسلمين .

حيـاته :

رافق والده مهاجرا الى دمشق سنة ٦٦٧ وكانت حافلة بالعلمـاء والمدارس . وبدأ تلقى عـلم التفسـير والحديث والفقـه ، والخط والحساب . وسـاعده فى ذلك ذكاؤه الخارق وقوة حفظه . وقد نشأ من صغره ميالا للمعرفة شغوفا بالعلم والتحصيل حتى فاق كل أقرانه . وناظر العلماء . وأفتى ودرس وهو دون العشرين وتولى بعض المناصب وله احدى وعشرون سنة . وانتشر صيته فى تفسير القرآن . وانتهت اليه الامامة فى العـلم والعمل والزهد والورع حتى سمى محيى السنة وآخر المجتهدين ولم يتجاوز الثلاثين ، واتسعت شهرته وكثر حسـاده وفازوا بالكيد له وحوكم فى مصر وسجن سنة ونصف سنة وبعد خروجه من السجن عقدوا مناظرة وفاز بها على خصـومه . وبالافتاء أيضـا ثم غضب عليه السلطان ونفاه الى بلاد الشام .

وعاد ، وثارت ثائرة خصومه ، وأوغروا صـدر سلطانه وحجروا عليه فى القلعة ، فاتخذها فرصة طيبة للتفرغ للعـلم والعبادة وقال فى ذلك ، قد فتح الله على فى هذا الحصن فى هذه المدة من معانى القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العـلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن ».

لقد بلغت مصنفات الامام ابن تيمية ثلاثمائة مجلد ، فى التفسير ، والفقه ، والأصول ، والفتاوى ، والقواعد الدينية ، والرد على الفلاسفة ومواضع أخرى ..

وفـــاته :

توفاه الله ليلة اثنتين والعشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هجـرية فى سجنه بقلعة دمشق . وكان مشـهد تشـيعه الى مقره الأخير أمرا عظيما ، فقد تزاحم الناس وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والثناء عليه والدعاء له ، قال ابن كثير : « انه لم يتخلف عن الحضـور الا من لم يستطع الى ذلك سبيلا » .. رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته .

النـــاشر



الشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١١١٥ — ١٢٠٩ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد ابن راشد التميمى الحنبلى . ولد فى بلدة (العيينة) الواقعة شمالى الرياض سنة ١١١٥ هجرية (١٧٠٣ ميلادية) .

استظهر القرآن قبل بلوغه العاشرة ، درس على والده الفقه الحنبلى والتفسير والحديث . واعتنى بدراسة كتب شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية ، وابن القيم رحمهما الله .

حج مكة وزار المدينة وأخذ العلم بها عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم وتعرف بالمحدث الشيخ محمد حياة سندى .

زار البصرة والتبريز والشام وأخذ العلم عن كبار علمائها . وقلت نفقته فقفل راجعا الى (الأحساء) حيث نزل بها الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف الشافعى وتوجه بعد ذلك الى (حريملا) من قرى نجد لاحقا بوالده الشيخ عبد الوهاب الذى حل بها . ولازم أباه يستزيد من معين علمه .

رأى الشيخ بما وهبه الله من فكر واع ونظر ثاقب ما بالبلاد التى رحل اليها من العقائد والعادات الفاسدة والبدع الضالة . فعزم على القيام بدعوته .

ونادى بالرجوع الى تعاليم الدين وتعاليم الرسول وحارب البدع ، غير مقيم وزنا الا لما نص عليه القرآن صراحة أو ما عرف عن رسول الله سنة مؤكدة وحارب بعنف وصلابة تقديس الأولياء وجعلهم واسطة بين الخلق والخالق ، ونادى بهدم الأضرحة والمزارات وازالة معالمها اقتداء بما كانت عليه أيام رسول الله .

ولاقى الكثير من الأذى حتى قيض الله له الغلبة على أهل الضلالة. ونشر دعوة الاصلاح والتجديد . وسمى بحق المجدد والمصلح.

ولا يفوتنا فى هذه العجالة من ذكر ما كان للأمير محمد بن سعود (أمير الدرعية) وآله من أياد بيضاء ناصعة فى تدعيم وتثبيت هـــذه الدعوة الكريمة حتى علا صوت الحقعلى الباطل .

انتقل الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب الى جوار ربه فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٠٦ هجرية ، مخلفا وراءه العمـــل الصالح والذكـــر الطيب ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .



الرسـالة الأولى :

بسـم الله الرحمن الرحيم
وبه نسـتعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : اعلم أرشـدك الله تعـالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ، ولا يشركوا به شـيئا . قال تعـالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »**(١) .

والعبادة : هى التوحيد ، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيـه . كما قال تعـالى : **« ولقـد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »**(٢) .

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنـواع : توحيـد الربوبية ، وتوحيـد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذى أقر به الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، وقاتلهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأمـوالهم ، وهو توحيد بفعـله تعالى . والدليل قـوله تعالى : **« قل من يرزقكم من السـماء والأرض امن يملك السـمع والابصار ، ومن يخـرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامـر ، فسـيقولون الله ، فقـل افلا تتقون »**(٣) **« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سـيقولون لله ، قـل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العـرش العظيم . سيقولون لله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجـار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قـل فانى تسـحرون »**(٤) والآيات على هذا كثيرة جدا ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثانى : هو توحيد الألوهية ، فهـو الذى وقع فيه النزاع

---

(١) الذاريات : ٥٦ .
(٢) النحل : ٣٦ .
(٣) يونس : ٣١ .
(٤) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ .

في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والنذر ، والنحر ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والانابة .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ((**وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**))(١) وكل نوع من هذه الأنواع عليها دليل من القرآن .

وأصل العبادة : تجريد الاخلاص لله تعالى وحده ، وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ((**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا**))(٢) وقال تعالى : ((**وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون**))(٣) . وقال تعالى : ((**له دعوة الحق**)) الى قوله تعالى : ((**وما دعاء الكافرين الا في ضلال**))(٤) وقال تعالى : ((**ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير**))(٥) والآيات معلومات . وقال تعالى : ((**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**))(٦) . وقال تعالى : ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**))(٧) .

الأصل الثالث : فهو توحيد الذات والأسماء والصفات . وقال تعالى : ((**قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد**))(٨) . وقال تعالى ((**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون**))(٩) . وقال تعالى : ((**ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير**))(١٠) .

ثم اعلم أن ضد التوحيد الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي .

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى ((**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا**

---

(١) غافر : ٦٠ — (٢) الجن : ١٨
(٣) الأنبياء : ٢٥ — (٤) الرعد : ١٤
(٥) الحج : ٦٢ — (٦) الحشر : ٧ .
(٧) آل عمران : ٣١ — (٨) سورة الاخلاص
(٩) الأعراف : ١٨٠ — (١٠) الشورى : ١١

بعيدا »(١) **« وقال المســـيح : يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنــة ، وماواه النار وما للظالمين من انصار »**(٢) .

وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى : **« فاذا ركبوا فى الفلك دعــوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجــاهم الى البــر اذا هــم يشركون »**(٣) .

النوع الثانى : شرك النية والارادة والقصد ، والدليل قوله تعالى: **« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمــالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون »**(٤) .

النوع الثالث : شرك الطــاعة ، والدليل قــوله تعالى : **« اتخــذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمســـيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون »**(٥) .

وتفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لادعاؤهم اياهم ، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لمــا سأله ، فقال : لســنا نعبدهم ، فذكر له أن عبــادتهم طاعتهم فى المعصية(٦) .

النوع الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله »**(٧) .

والنوع الثانى(٨) : شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: **« فمن كان يرجوا لقــاء ربه فليعمل عمــلا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احــدا »**(٩) .

---

(١) النســاء : ١١٦

(٢) المــائدة : ٧٢

(٣) العنكبوت : ٦٥

(٤) هــود : ١٥ ، ١٦.

(٥) التوبة : ٣١

(٦) رواه الترمذى

(٧) البقــرة : ١٦٥

(٨) اى من انواع الشرك الثـلاثة (شرك اكبر ، وشرك أصــــغر ، وشرك خفى) .

(٩) الكهف : ١١٠ .

والنوع الثالث : شرك خفى ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء » .

وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم : ((اللهم انى اعوذ بك أن اشرك بك شيئا وانا اعلم ، واستغفرك من الذنب الذى لا أعلم))(١) .

فالكفر كفران : كفر يخرج من الملة ، وهو خمسة أنواع :

النوع الأول : كفر التكذيب ، والدليل قوله تعالى : ((ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه ، اليس فى جهنم مثوى للكافرين))(٢) .

النوع الثانى : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : ((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين))(٣) .

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى: ((ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا . وما اظن الساعة قائمة ، ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا))(٤) .

النوع الرابع : كفر الاعراض ، والدليل قوله تعالى : ((والذين كفروا عما انذروا معرضون))(٥) .

النوع الخامس : كفر النفاق ، والدليل قوله تعالى : ((ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون))(٦) .

وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة ، والدليل قوله تعالى : ((وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من

---

(١) رواه الحاكم وأبو نعيم عن عائشة .
(٢) العنكبوت : ٦٨ — (٣) البقرة : ٣٤
(٤) الكهف : ٣٥ — ٣٨ — (٥) الأحقاف : ٣ .
(٦) المنافقون : ٣

كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »(١)

وأما النفاق فنوعان : اعتقادى ، وعملى .

فأما الاعتقادى ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول .

واما العملى : فهو خمسة أنواع ، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم **« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذن اؤتمن خان »** وفى حديث آخر **« واذا خاصم فجر ، واذا عاهد غدر »**(٢) .

فهذه الأنواع الخمسة(٣) وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار . نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب ، والله أعلم .

***

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى : (أنه من) الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل :

الأولى : أن الله خلقنا ، ولم يخلقنا عبثا ، ولم يتركنا هملا ، بل أرسل الينا رسولا ، وعنده كتاب ، من أطاعه فهو فى الجنة ، ومن عصاه فهو فى النار . والدليل قوله تعالى : **« انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا »**(٤) .

المسألة الثانية : أن أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع الله فى عبادته أحد ، والدليل قوله : **« وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »**(٥) .

---

(١) النحل : ١١٢ (٢) صحيح مسلم وغيره
(٣) اى أنواع الكفر المخرج من الملة .
(٤) المزمل : ١٥ ، ١٦ (٥) الجن : ١٨

المسألة الثالثة : أن من وحد الله وعبد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون**))(١) .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ((**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))(٢) .

فأما صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتكفر أهلها وتعاديهم .

وأما معنى الايمان بالله ، أن تعتقد أن الله هو الاله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ، وهذه ملة ابراهيم التى سفه من رغب عنها .

وهذه هى الأسوة التى أخبر الله بها فى قوله تعالى : ((**قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٣) .

والطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة فهو طاغوت ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع فى غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة .

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) النحل : ٣٦ (٣) الممتحنة : ٤

الأول : الشيطان الداعى الى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى : ((الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين))(١) .

الثانى : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى : ((الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا))(٢) .

الثالث : الذى يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : ((ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون))(٣) .

الرابع : الذى يدعى علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى: ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا)) (٤) . وقال تعالى ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البحر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين))(٥) .

الخامس : الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، والدليل قوله تعالى : ((ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين))(٦) .

واعلم ان الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى : ((فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم))(٧) .

الرشد : دين محمد صلى الله عليه وسلم ، والغى : دين أبى جهل. والعروة الوثقى : شهادة أن لا اله الا الله ، وهى متضمنة للنفى والاثبات، تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له .

* * *

(١) يس : ٦٠ . (٢) النساء : ٦٠ .
(٣) المائدة : ٤٤ (٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٥) الأنعام : ٥٩ (٦) الأنبياء : ٢٩
(٧) البقرة : ٢٥٦ واولها : ((لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن ...)) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهى معرفة ربه ، ودينه ونبيه .

الأصل الأول : اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربى الله الذى ربانى بنعمته ، وخلقنى من عدم الى وجود ، والدليل قوله تعالى : **« ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »**(١) .

واذا قيل لك : بأى شىء عرفت ربك ؟ فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقوله تعالى : **« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ، ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »**(٢) .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : **« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين »**(٣) .

واذا قيل لك : لأى شىء خلقك الله ؟ فقل : خلقنى لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »**(٤) . ودليل الطاعة قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول »**(٥) .

يعنى كتاب الله وسنة نبيه .

واذا قيل لك : أى شىء أمرك الله به وأى شىء نهاك عنه ؟ فقل : أمرنى بالتوحيد ونهانى عن الشرك .

---

(١) آل عمران : ٥١
(٢) فصلت : ٣٧
(٣) الأعراف : ٥٤
(٤) الذاريات : ٥٦ — ٥٨
(٥) النساء : ٥٩ .

ودليل الامر قوله تعالى : **« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »(١)** . ودليل النهى عن الشرك قوله تعالى : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »(٢) و « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار »(٣)** •

الأصل الثانى : اذا قيل لك : ما دينك ؟ فقل : دينى الاسلام ، وهو الاستسلام والاذعان والانقياد الى الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : **« ان الدين عند الله الاسلام » (٤) ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »(٥)** •

وهو مبنى على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا •

فأما دليل الشهادة فقوله تعالى : **« شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم »(٦)** •

ودليل أن محمدا رسول الله قوله تعالى : **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(٧)** •

ودليل الزكاة قوله تعالى : **« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم »(٨)** •

ودليل الصوم قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »(٩)** •

واذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : **« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »(١٠)** •

---

(١) النحل : ٩٠ •
(٢) النساء : ١١٦ وتمامها : **« ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا »**
(٣) المائدة : ٧٢ (٤) آل عمران : ١٩
(٥) آل عمران : ٨٥ (٦) آل عمران : ١٨
(٧) الأحزاب : ٤٠ (٨) البقرة : ١٨٥
(٩) البقرة : ١٨٣ (١٠) البقرة : ١٨٥ •

واذا قيل لك : الصيام فى الليل أو فى النهار ؟ فقل : فى النهار ، والدليل قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم اتموا الصيام الى الليل** »(١) .

وذليل الحج قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** »(٢) .

واذا قيل لك : وما الايمان ؟ فقل : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : « **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير** »(٣) .

ودليل القدر قوله تعالى : « **انا كل شيء خلقناه بقدر** »(٤) .

واذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى : « **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** »(٥) .

واذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى: « **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتهم وذلك على الله يسير** »(٦) .

الأصل الثالث : اذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل ، واسماعيل من ابراهيم ، وابراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : « **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** »(٧) .

واذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح وآخرهم ،

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) آل عمران : ٩٧
(٣) البقرة : ٢٨٥ (٤) القمر : ٤٩
(٥) النحل : ١٢٨ (٦) التغابن : ٧
(٧) آل عمران : ٥٩ .

وافضلهم محمــد صلى الله عليه وسلم والدليل قوله تعالى : ((انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده))(١) .

واذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعـالى : ((ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))(٢) .

واذا قيل لك : محمد بشرا ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعـالى : ((قل : انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحــــد ، فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا))(٣) .

واذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليـــل قوله تعـالى : ((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المســجد الأقصى الذى باركنا حوله))(٤) .

واذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا ، نبئ بـ « اقرأ » ، وأرســل بـ « المدثر » ، وخــرج على الناس فقال : ((يا أيها النــاس انى رسول الله اليكم جميعا))(٥) .

فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل الله عليه : ((وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بســورة من مثله وادعـوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين))(٦) .

بلده مكة ، وولد فيه ، وهاجر الى المدينة وبها توفى ، ودفن جسمه ، وبقى علمه ، نبى لا يعبد ، ورسول لا يكذب ، بل يطاع ويتبع ، صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

وبعد .. فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين .

---

(١) النساء : ١٦٣ — (٢) النحل : ٣٦
(٣) الكهف : ١١٠ — (٤) الاسراء : ١
(٥) الأعراف : ١٥٨ — (٦) البقرة : ٢٣

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، والدليل قوله تعالى : ((**قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون**))(١) .

القاعدة الثانية : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرادوا ممن قصدوا الا قربة وشفاعة . والقربة : قوله تعالى : ((**والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار**))(٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون**))(٣) .

القاعدة الثالثة : بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة . وعبادات متفرقة ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين ، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم ، والدليل قوله تعالى : ((**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**))(٤) .

ودليل الملائكة قوله تعالى :

((**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون**))(٥) .

ودليل النبيين قوله تعالى :

((**واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق ،**

---

(١) يونس : ٣١
(٢) الزمر : ٣
(٣) يونس : ١٨
(٤) الأنفال : ٣٩
(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١ .

ان كنت قلتــه فقــد علمتــه تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما امرتنى بــه ان اعبــدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلمــا توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شىء شــهيد . ان تعذبهم فانهم عبــادك ، وان تغفــر لهم فانك انت العزيز الحكيم))(١) .

ودليل الصالحين قوله تعالى : ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دونــه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعــون يبتغــون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمتــه ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا))(٢) .**

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى : ((**أفرأيتم اللات والعــزى . ومناة الثالثة الأخرى))(٣) .**

القاعدة الرابعة : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخلصون فى الشدة ، ويشركون فى الرخاء .

والدليل قوله تعالى : ((**فاذا ركبوا فى الفلك دعــوا الله مخلصــين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون))(٤) .**

وأهل زماننا هذا يشركون فى الشــدة ، وفى الرخاء كذلك . والله أعلم(٥) .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

---

(١) المــائدة : ١١٦ ــ ١١٨ (٢) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

(٣) النجم : ١٩ ، ٢٠ (٤) العنكبوت : ٦٥

(٥) منهم : عباد القبور الآن الذين يعتقدون شركهم وجهلهم وضلالهم قربة تقربهم الى الله ، وعلمــاء الضلال ودعاة البــدعة يحرفون الكلم عن مواضــعه ، فالشرك الأكبر جعلوه توســلا وطاعة ، ومع ذلك يضللون من دان لله بالتوحيد الخالص وأفرده بالعبادة .

وما أحسن ما قال ابن القيم :

هربــوا من الــرق الذى خلقوا له   فبــلوا برق النفس والشيطان

وقوله ايضا :

وخصومنــا قــد كفرونــا بالذى   هــو غايــة التوحيد والايمان

قلت : طاعته : بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله ؟ قلت : من أنواعها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والانابة ، والمحبة ، والخشية ، والرغبة ، والرهبة ، والتأله ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلل ، والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ((**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**))(١) .

الى قوله تعالى : ((**وما دعاء الكافرين الا في ضلال**))(٢) .

وقوله تعالى : ((**له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء**))(٣) .

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ((**اياك نعبد واياك نستعين**))(٤) .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ((**اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**))(٥) .

ودليل الذبح قوله تعالى : ((**قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك امرت وأنا أول المسلمين**))(٦) .

ودليل النذر قوله تعالى : ((**يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا**))(٧) .

ودليل الخوف قوله تعالى : ((**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**))(٨) .

ودليل الرجاء قوله تعالى : ((**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**))(٩) .

ودليل التوكل قوله تعالى : ((**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**))(١٠) .

---

(١) الجن : ١٨ — (٢) الرعد : ١٤
(٣) الرعد : ١٤ — (٤) الفاتحة : ٥
(٥) الانفال : ٩ — (٦) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٧) الانسان : ٧ — (٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) الكهف : ١١٠ — (١٠) المائدة : ٢٣

ودليل الانابة قوله تعالى : ((**وانيبوا الى ربكم واسلموا له**))(١) .

ودليل المحبة قوله تعالى : ((**ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله**))(٢) .

ودليل الخشية قوله تعالى : ((**فلا تخشوا الناس واخشون**))(٣) .

ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى : ((**انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**))(٤) .

ودليل التأله قوله تعالى : ((**والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم**))(٥) .

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : ((**يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**))(٦) .

ودليل الخشوع قوله تعالى : ((**وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله ، لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**))(٧) . الآية ونحوها ، فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله فقد أشرك بالله غيره .

فان قيل : فما أجل أمر أمر الله به عباده ؟ فقل : توحيده بالعبادة . وقد تقدم بيانه ، وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به ، وهو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله ، فقد اتخذه ربا والها ، وأشرك مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه ، وأنكره على المشركين .

وقد قال تعالى : ((**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا**))(٨) .

وقال تعالى : ((**ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار**))(٩) .

* * *

---

(١) الزمر : ٥٤
(٢) البقرة : ١٦٥
(٣) المائدة : ٤٤
(٤) الأنبياء : ٩٠
(٥) البقرة : ١٦٣
(٦) الحج : ٧٧
(٧) آل عمران : ١٩٩
(٨) النساء : ١١٦
(٩) المائدة : ٧٢

بســـم الله الرحمن الرحيم
وبــه نســـتعين

((الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين)) •

قال الشيخ رحمه الله تعالى : تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :
الآية الأولى : فيها المحبة : ان الله منعم ، والمنعم يحب على قدر انعامه • والمحبة تنقسم على أربعة أنواع :

محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم : ((**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله**)) الى قـوله : ((**وما هـم بخـارجين من النـــار**))(١) •

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنـافقين •

المحبة الثالثة : طبعية ، وهى محبة المـال والولد ، اذا لم تشـغل عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهى مباحة •

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ، وهى أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه •

الآية الثانية : فيها الرجاء •

والآية الثالثة : فيهـا الخوف ((**اياك نعبـد**)) ، اى اعبـدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفهـا لغير الله شرك • وفى هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن ، كمن تعلق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحـده ، أو تعلق بالخوف وحده • فمن صرف واحدة منهن لغير الله فقد أشرك • وفيهـا من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التى كـل طائفـة تتعلق بواحدة منها ، كمن عبد الله بالمحبة وحدها • وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده ، كالخوارج •
((**اياك نعبد واياك نستعين**)) فيها توحيد الألوهيـة ، وتوحيـد الربوبيـة ((**اياك نعبد**)) فيها توحيد الألوهية ، ((**واياك نسـتعين**)) فيهـا توحيـد الربوبية ((**اهدنا الصراط المستقيم**)) ، فيها الرد على المبتدعين .

---

(١) البقرة : ١٦٥ — ١٦٧

وأما الآيتان الأخيرتان ، ففيهما من الفوائد ذكر أحوال النـاس ، قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليـه ، ومغضـوب عليـه • وضـال •

فـ ((**المغضوب عليهم**)) : أهل علم ليس معه عمل . و ((**الضالين**)) : أهل عبادة ليس معها علم وان (كان) سبب النزول فى اليهود والنصارى : فهى لكل من اتصف بذلك •

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيهـا من الفوائد التبرى من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه • وكذلك فيها معرفة الله على التمام ، ونفى النقائص عنه تبارك وتعالى • وفيها معرفة الانسـان ربه ، ومعرفة نفسه ، فانه اذا كان رب ، فلابـد من مربوب ، واذا كان هناك راحم ، فلابد من مرحوم ، واذا كان هنا مالك ، فلابد من مملوك ، واذا كان هنا عبد ، فلابد من معبود ، واذا كان هنا هاد ، فلابد من مهدى ، واذا كان هنا منعم عليه ، فلابد من منعم ، واذا كان هنا مغضوب عليه ، فلابد من غاضب •

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفى النقـائص عن الله عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم •

* * *

بسـم الله الرحمن الرحيم

وبـه نسـتعين

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه آمين :

تأمل رحمك الله ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهما حسـنا ، لعـل الله أن يفهمك دين الأنبيـاء لتتبعـه ، ودين المشركين لتتركه ، فان أكثر من يدعى الدين ، ويدعى أنه من الموحـدين لا يفهم السـنة كمـا ينبغى •

الأولى : قصة نزول الوحى ، وفيها أن أول ما أرسله الله به :

((**يا أيها المدثر • قـم فأنـذر**))(١) فاذا فهمت أنهم يفعلون أشـياء كثيرة ، ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضا أنهم

---

(١) المدثر : ١ ، ٢

يفعلون شيئا من العبادة ، ويتقربون بها الى الله ، مثل الحج ، والعمرة ، والصدقة على المساكين ، وغير ذلك وأجلها عندهم الشرك . فهو أحل ما يتقربون به الى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم انهم قالوا : **« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »**(١) .

وقال تعالى : **« انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون »**(٢) .

فأول ما أمر به الانذار عنه ، قبل الانذار عن الزنا وغيره ، وعرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ، ويقولون : ما نريد منهم الا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه فى أول آية أرسل بها ، فان احكمت هذه المسألة ، فيابشراك ، خصوصا اذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس ، ولم تفرض الا فى ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبى طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فاذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة ، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثانى : أنه صلى الله عليه وسلم لما تام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، الى أن صرح بسب دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتما .

فاذا عرفت هذه عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام ولو وحد الله وترك الشرك ، الا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : **« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »**(٣) .

---

(١) الزمر : ٣ (٢) الأعراف : ٣٠
(٣) المجادلة : ٢٢

فاذا فهمت هذا فهما جيدا ، عرفت أن كثيرا من الذين يدعــون الدين لا يعرفونها ، والا فما الذى حمــل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب ، والأسر ، والضرب ، والهجرة الى الحبشة ، مع أنــه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد انزل الله : ((**ومن الناس من يقول آمنــا بالله فاذا أوذى فى الله جعــل فتنة الناس كعذاب الله**))(١) .

فاذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه ، فكيف بغير ذلك .

الموضع الثالث : قصــة قراءته صلى الله عليه وسلم ســورة النجم بحضرتهم ، فلمــا بلغ ((**أفرأيتم اللات والعــزى**))(٢) القى الشــيطان فى تلاوته : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رســول الله صلى الله عليــه وسلم قرأها ، ففرحوا بذلك وقالوا كلاما معنــاه : هذا الذى نريد ، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده . فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه . فشاع الخبر أنهم صــادقوه(٣) . وسمع بذلك من بالحبشــة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رســول الله صلى الله عليه وسلم عادوا الى أشر ما كانوا عليه ، ولمــا قالوا له : انك قلت ذلك ، خاف من الله خوفا عظيما ، حتى انزل الله عليــه ((**وما ارســلنا من قبلك من رســول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشــيطان فى أمنيته**))(٤) الآية ، فمن فهم هــذه القصــة ثم شــك بعدها فى دين النبى صلى الله عليه وســلم ، ولم يفرق بينــه وبين دين المشركين ، فأبعــده ، خصوصــا ان عرف أن قولهم تلك الغرانيق(٥) ، الملائكــة .

الموضع الرابع : قصة أبى طالب فمن فهمها فهما حســنا ، وتأمــل اقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيه عقول المشركين ، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته فى نصرة

---

(١) العنكبوت : ١٠ (٢) النجم : ١٩

(٣) أى تابعوا النبى وآمنوا به . (٤) الحج : ٥٢

(٥) مسألة الغرانيق كثر فيها القال والقيل ، فمنهم من انكرها بعقله ، الخ . كما فى ((فتح البارى)) لابن حجر ، و ((فتح القدير)) للشــوكانى . وحكى فى ((جمع البيــان)) للصفوى انهــا من وضــع الزنادقة . والله أعلم بحقيقة الحال . وقال ناصر الدين الألبانى : هذه باطلة لا تصــح ، وليس لها اسناد تقوم به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية .

رســول الله صلى الله عليه وســلم الى أن مات ، ثم صبره على المشــقة العظيمة ، لكن (لمــا) لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلما ، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشــم وغيرهما من مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته ، اســتغفر له رســول الله صلى الله عليــه وســلم فانزل الله عليــه **((ما كان للنبى والذين آمنــوا أن يســـتغفروا للمشركـين ولو كانوا أولى قــربى))**(١) الآيــة . والذى يبين هذا أنه اذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء يحب الدين ويحب المســلمين ، مع أنه لم ينصر الدين بيــد ولا مال ، ولا له من الأعــذار مثــل ما لأبى طالب ، وفهم الواقــع من أكثر من يدعى الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس : قصة الهجرة ، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ، وهى أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر ، من غير شــك فى الدين ، وفى تزيين دين المشركين ، ولكن محبة الأهل والمال ، والوطن فلما خرجوا الى بدر خرجوا مع المشركين كارهين ، قتل بعضهم بالرمى ، والرامى لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة : أن صح من القتلى فــلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا اخواننــا ، فانزل الله : **((ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم))** الى قوله : **((وكان الله عفوا غفورا))**(٢) .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : قتلنا اخواننــا أنــه لو يبلغ عنه كلاما فى الدين أو كلاما فى تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا اخواننا ، فان الله قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعــد الايمــان بقوله تعــالى : **((من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكــره وقلبــه مطمئن بالايمان))**(٣) .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله عليهم ، فان الملائكة تقول : **((فيم كنتم))** ولم يقولوا : كيف تصــديقكم ؟ **((قالوا كنــا مســتضعفين فى الأرض))**(٤) لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهــد الذى يقول : جاهدت فى سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة :

---

(١) التوبة : ١١٣
(٢) النساء : ٩٧ — ٩٩
(٣) النحل : ١٠٦
(٤) النساء : ٩٧

كذبت ، بل قاتلت ليقال : جرىء ، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل اجابوهم بقولهم : **« ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها »** ويزيد ذلك ايضاحا للعارف والجاهل الآية التى بعدها ، وهى قوله تعالى : **« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا »**(١) .

فهذا أوضح جدا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : **« صم بكم عمى فهم لا يرجعون »**(٢) .

ومن فهم هذا الموضع والذى قبله ، فهم كلام الحسن البصرى قال : ليس الايمان بالتحلى ، ولا بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال ، وذلك ان الله تعالى يقول : **« اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »**(٣) .

الموضع السادس : قصة الردة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن سمعها ثم بقى فى قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء ، وهى قولهم : هذا هو الشرك . لكن يقولون لا اله الا الله ، ومن قالها لا يكفر بشىء . وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادى ليس(٤) معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا اله الا الله ، وهم بهذه اللفظة اسلام ، وحرم الاسلام مالهم ودمهم مع اقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله(٥) ومع علمهم بانكارهم البعث ، واستهزائهم بمن أقر به ، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفا لدين النبى (ﷺ) ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولونها وأيضا كفر هؤلاء أغلظ

---

(١) النساء : ٩٨ (٢) البقرة : ١٨

(٣) فاطر : ١٠ (٤) فى الأصل : ليسوا .

(٥) لا يزعم بعض الناس : ان من قال : لا اله الا الله دخل الجنة ، ولو لم يأت بشىء من اركان الاسلام . ولا شك أن هذا مما طغى به القلم وزل به القدم ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة والنجاة من النار على القيام بأركان الاسلام ، كما فى حديث معاذ وغيره ، والانسان يدخل فى الاسلام بكلمة التوحيد حكما ، فان أتى بأركان الاسلام ، صار مسلما حقيقة يستحق دخول الجنة والنجاة من النار . وتأمل ما ذكره الشيخ هنا ، فهو فصل الخطاب .

من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعنى البوادى المتصفين بما ذكرنا .

والذى يبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا فى ردتهم ، فمنهم من كذب النبى ﷺ ، ورجعوا الى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان نبيا ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين ، ولكن اقر بنبوة مسيلمة ظنا أن النبى ﷺ أشركه فى النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك . ومن شك فى ردتهم فهو كافر ، فاذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان ، وشتموا رسول الله ﷺ . ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة فى حال واحدة ولو ثبت على الاسلام كله . ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدق طليحة فى دعواه النبوة . ومنهم من صدق المنسى صاحب صنعاء . كل هؤلاء اجمع العلماء أنهم سواء . ومنهم من كذب النبى ﷺ ورجع الى عبادة الأوثان على حال واحدة . ومنهم أنواع ، آخرهم الفجاءة السلمى لما وفد على أبى بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبى بكر أن يمده ، فأعطاه سلاحا ورواحل ، فاستعرض السلمى المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشا لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبى بكر ، وأنا أميره ولم أكفر . فقال : ان كنت صادقا فألق السلاح ، فالقاه ، فبعث به الى أبى بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حى ، فاذا كان هذا حكم الصحابة فى هذا الرجل مع اقراره بأركان الاسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الاسلام بكلمة واحدة ؟ الا أن يقول : لا اله الا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب الله ، ويقولون : هذا دين الحضر ، وديننا دين آبائنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله اذا قالوا : لا اله الا الله . سبحانك هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قال واحد من البوادى لما قدم علينا وسمع شيئا من الاسلام . قال : أشهد أننا كفار ، يعنى هو وجميع البوادى ، وأشهد أن المطوع الذى يسمينا أهل اسلام أنه كافر ، آخره والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض[١] :

الأول : الشرك فى عبادة الله . وقال الله تعالى : **((ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))**[٢] و **((انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار))**[٣] .

ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، كفر اجماعا .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك فى كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو عمل به ، كفر .

السادس : من استهزأ بشىء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ، كفر . والدليل قوله تعالى : **((قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون))** . **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم))**[٤] .

السابع : السحر ، ومنه الصرف ، والعطف ، فمن فعله أو رضى به كفر ، والدليل قوله تعالى : **((وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر))**[٥] .

---

(١) من أهم ما يجب على المسلم الموحد الحريص على دينه ، أن يعرف نواقض الاسلام ، فان أكثر الناس يجهلها ولا يعرفها ، فلهذا وقعوا فى الشرك الاكبر وهم يحسبون أنهم مهتدون .

(٢) النساء : ٤٨ (٣) المائدة : ٧٢

(٤) التوبة : ٦٥ ، ٦٦ (٥) البقرة : ١٠٢

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ((**ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين**))(١) .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر (الخروج) عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ((**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون**))(٢) .

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، الا المكره ، كلها من أعظم ما يكون خطرا ، وأكثر ما يكون وقوعا ، فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه وسلم .

وبعد .. فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى قوله : ((**وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا**))(٣) .

فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات :

الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة وقد خالف فيها من خالف(٤) .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

---

(١) المائدة : ٥١ (٢) السجدة : ٢٢

(٣) الجن : ١٨

(٤) أى لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لا يستحقها ، والمشركون خالفوا فى ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير الله ، والدعاء مخ العبادة ، فخالفوا الحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم واعتقدوا الباطل وعملوا به .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذى لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم اذا اعتقده أو دان به كفر ، وقد خالف فيها من خالف .

السادسة : أن المسلم الصادق اذا تكلم به هازلا أو خائفا أو طامعا ، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ؟ وقد خالف فيها من خالف .

السابعة : انك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف .

الثامنة : أن هذا معنى لا اله الا الله . والاله . هو المألوه . والأله : عمل من الأعمال ، وكونه منفيا عن غير الله ترك من النروك .

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

العاشرة : أن الداعى لغير الله لا يقبل منه الجزية[1] كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفرا . وكل درجة من هذه الدرجات اذا علمت بها تخلف عنك بعض من كان معك ، والله أعلم .

قوله : عند كل درجة . وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ، ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم بل ملة ابراهيم هى الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، وهكذا سائر الدرجات ، والله أعلم .

قوله تعالى : **((قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ، وامرت ان اكون من المؤمنين . وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين))**[2] .

---

(١) لأن الجزية لا تؤخذ الا من اليهود والنصارى والمجوس على القول الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

(٢) يونس : ١٠٤ — ١٠٦

وقوله تعالى : ((**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**))(١) .

فيه سبع حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسعد مع أمه .

الحالة الثانية : ان كثيرا من الناس اذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يفطن بما يريد الله من اجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله : ((**ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم**))(٢) .

الحالة الثالثة : ان قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل ، فلابد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يفض هذا الغرض الا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت(٣) الذين لا يبلغون الغاية فى العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد فى العمل بالدين . والجد والصدق هو اقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلابد من مذهب ينتسب اليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ، ففى الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبيا ، أو غير شىء من مقاصده ، ولو كان دينا يظن أنه ان نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصا عند الخوف ، أنه لا يدخل فى هذا .

الحالة السابعة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من أخوانه فعله خوفا ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر ؟ فهو يحب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هذا ، بل ما أعز من يفهمه وان لم يعمل به ، بل ما أعز من لا يظنه جنونا ، والله أعلم .

---

(١) الروم : ٣٠ (٢) يونس : ١٠٤

(٣) الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، من الجن والانس والأصنام ، وفى التنزيل : ((**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**)) (البقرة : ٢٥٦) .

باب

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، والطهارة ، وستر العورة ، واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

باب

أركان الصلاة أربعة عشر ركنا :

القيام مع القدرة ، وتكبيرة الاحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدتين ، والطمأنينة فى الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليمة الأولى[1] ، وترتيب الأركان .

باب

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكلام العمد ، والضحك ، والأكل ، والشرب ، وكشف العورة ، والانحراف عن جهة القبلة ، والعبث الكثير ، وحدوث النجاسة .

باب

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام . الثانى : قول سمع الله لمن حمده لامام ومنفرد . الثالث : قول ربنا ولك الحمد . الرابع تسبيح الركوع . الخامس : تسبيح السجود . السادس : قول رب اغفر لى بين السجدتين، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، وسجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

باب

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين الى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين الى الكعبين ، والترتيب ، والموالاة .

---

(١) الثانية سنة او واجبة ، والصحيح ان التسليمتين ركن من اركان الصلاة .

بـــــاب

شروط الوضوء خمسة :

ماء طهور ، وكون الرجـل مسـلما مميزا[١] ، وعـدم المـانع ، ووصول الماء الى البشرة ، ودخول الوقت فى دائم الحدث .

بـــــاب

نواقض الوضوء ثمانية :

الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش من البدن ، وزوال العقل بنوم أو غيره ، ولمس المرأة بشـهوة ، ومس الفـرجين لآدمى ، وغسـل الميت ، وأكل لحـم الجزور ، والردة عن الاسـلام أعاذنا الله منهـا . والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نسـتعين

قوله رحمه الله تعالى : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

قلت : وأدلة هذا فى القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعـالى : **« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سـواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شـيئا ولا يتخـذ بعضـنا بعضـا أربابا من دون الله »**[٢] الآية .. أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب الى معنى لا اله الا الله الذى دعا اليه العرب وغيرهم . والكلمة : هى لا اله الا الله ، فسرهـا بقوله : أن لا نعبد الا الله .

فقوله : « أن لا نعبد » فيه معنى لا اله ، وهو نفى العبـادة عما سوى الله .

قوله : « الا الله » هو المستثنى فى كلمة الاخلاص ، فأمره تعالى أن يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ، ونفيها عن سواه . ومثل هـذه الآية كثير يبين أن الالهية هى العبادة ، وأنهـا لا يصلح منها شىء لغير الله ، كما قال تعالى : **« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه »**[٣] .

---

(١) المميز : العـاقل الذى يستطيع فرز الشىء عن غيره وتفضيله على سواه .
(٢) آل عمران : ٦٤ (٣) الاسراء : ٢٣

معنى ((**قضى**)) : امر ووصى ، قولان ، ومعناهما واحد .

وقوله : ((**الا تعبدوا**)) فيه معنى لا اله .

وقوله : ((**الا اياه**)) فيه معنى الا الله ، وهـذا هو توحيد العبادة هو دعوة الرسل اذ قالوا لقومهم : ان ((**اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**))(١)

فلابد من نفى الشرك فى العبادة رأسا ، والبراءة منه وممن فعله ، كما قال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام : ((**واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى**))(٢) .

فلابد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام : ((**واعتزلكم وما تدعون من دون الله**))(٣) .

فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به فى قوله تعالى : ((**قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براءء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٤) .

والذين معهم من الرسل ، كما ذكره ابن جرير . وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا(٥) رحمه الله ، من التحريص على التوحيد ، ونفى الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافى له ، فان من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فانهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد . وقد قال تعالى فى حق من اشرك : ((**وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار**))(٦) .

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء فى العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرأ موحدا الا بنفى الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

---

(١) الاعراف : ٥٩ — (٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٣) مريم : ٤٨ — (٤) الممتحنة : ٤

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٦) الزمر : ٨

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثانى : الانذار عن الشرك فى عبادة الله ، والتغليظ فى ذلك والمعادة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقـام التوحيد الا بهذا ، وهـو دين الرسل انذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى : ((**ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))(١) .

وقال تعالى : ((**وما ارسلنا من قبلك من رسـول الا نوحى اليـه انه لا اله الا انا فاعبدون**))(٢) .

وقال تعالى : ((**واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالأحقاف وقـد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله**))(٣) .

قوله فى عبادة الله .

العبادة : اسـم جامع لكل ما يحبه الله ويرضـاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله : ((والتغليظ فى ذلك)) .

وهذا موجود فى الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ((**ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله الهـا آخـر ، انى لكم منـه نذير مبين**))(٤) .

ولولا التغليظ لما جـرى على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور فى السيرة مفصلا ، فانه باذاهم بسب دينهم ، وعيب آلهتهم .

قوله رحمه الله تعالى : والمعاداة فيه ، كما قال تعـالى : ((**فاقتلوا المشركين حيث وجـدتموهم وخـــذوهم واحصروهم واقعـدوا لهم كل مرصـــد**))(٥) .

والآيات فى هـذا كثيرة جـدا ، كقـوله تعـالى : ((**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**))(٦) .

---

(١) النحل : ٣٦ — (٢) الانبياء : ٢٥
(٣) الأحقاف : ٢٠ — (٤) الذاريات : ٥٠ ، ٥١
(٥) التوبة : ٥ — (٦) الانفال : ٣٩

والفتنة : الشرك . ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات ، فلابد من تكفيرهم أيضا .

هذا هو مقتضى « لا اله الا الله » كلمة الاخلاص ، فلا يتم معناها الا بتكفير من جعل لله شريكا فى عبادته ، كما فى الحديث الصحيح . « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » .

فقوله : « وكفر بما يعبدون من دون الله » تأكيدا لنفى ، فلا تكون معصوم الدم والمال الا بذلك ، فلو شك أو تردد ، لم يعصم دمه وماله ، فهذه الأمور هى تمام التوحيد ، لأن « لا اله الا » لله قيدت فى الأحاديث بقيود ثقال ، بالعلم ، والاخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحدا الا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ، ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة ، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك .

ثم قال رحمه الله تعالى : والمخالف فى ذلك أنواع : فأشدهم مخالفة من خالف فى الجميع ، فقبل الشرك واعتقده دينا ، وأنكر التوحيد واعتقده باطلا ، كما هو حال الأكثر .

وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب ، والزور ، والبهتان ، والفجور . وحجتهم قوله تعالى : **((بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون))**(١) .

وهذا النوع من الناس والذين بعده ، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الاخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذى لا يقبل الله دينا سواه ، وهو دين الاسلام الذى بعث الله به جميع أنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قص الله تعالى عنهم فى كتابه .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعاد أهله .

---

(١) الشعراء : ٧٤

قلت : ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعـرف التوحيد ، ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيـد لا يحصـل الا بنفي الشرك والكفـر بالطاغوت المذكور في الآية .

ثم قال رحمـه الله تعالى : ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم ، فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليـه « لا اله الا الله » من نفي الشرك ، وما يقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان اجماعا ، وهو مضمون سورة « الاخلاص » ، و « **قل يا أيها الكافرون** »(١) .

وقوله في الممتحنة (آية : ٤) « **كفرنا بكم** » ومن لم يكفر من كفـره القرآن ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه .

ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه .

فالجواب : أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحدا لأنه هو الدين الذي رضيـه الله لعبـاده ، كمـا قال تعـالى : « **ورضيت لكم الاسـلام دينـا** »(٢) .

فلو رضي بما رضي به الله وعمل لأحبه ، ولابد من المحبة لعـدم حصول الاسلام بدونها ، فلا اسلام الا بمحبة التوحيد .

وقال الشيخ ابن تيمية رحمـه الله تعالى : الاخلاص محبـة الله ، وارادة وجهه . فمن أحب الله أحب دينه وما لا فلا . والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص التي هي من شروط التوحيد .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه .

قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته « لا اله الا الله » من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، فهذا ليس من الاسلام في شيء أصلا ، ولم يعصم دمه ولا ماله ، كما دل عليه الحديث المتقدم .

وقوله رحمه الله : ومنهم من لم يعـرف الشرك ولم ينكره ، فلم ينفه ، ولا يكون موحـدا الا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله ، وكفرهم وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه « لا اله الا الله » ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها ، فليس من الاسلام في شيء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ، ويقين ، وصدق ، واخلاص ،

---

(١) الكافرون : ١ (٢) المـائدة : ٣

ومحبه ، وقبول ، وانقياد . وهذا النوع ليس معــه من ذلك شيء .
وان قال : لا اله الا الله ، فهو يعرف ما دلت عليه وما تضمنته .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره .

فأقول : هــذا كالذى قبله ، لم يرفعوا رأســا بما خلقوا له من الدين الذى بعث الله به رسوله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم : ((ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا))(١) .

وقوله رحمه الله : ومنهم ــ وهو أشد الأنواع خطرا ــ من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره ، ولم يبغض من تركه ، ولم يكفرهم .

فقوله رحمه الله : وهو أشد الأنواع خطرا ، لأنه لم يعرف قــدر ما عمل به ، ولم يجيء بما يصحح توحيده من القيود الثقال التى لابد منها ، لما علمت أن التوحيد يقتضى نفى الشرك ، والبراءة منه ومعاداة أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحاله ، وهــو لم يجيء بما عليه من الأمور التى دلت عليها كلمة الاخلاص نفيا واثباتا .

وكذلك قوله رحمه الله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره ، وهذا أقرب من الذى قبله ، لكن لم يعــرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليــه الآيات المحكمات ، كقول الخليل : ((اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى))(٢) .

((انا برءاء منكم ومما تعبــدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا))(٣) .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاء ، والبراء من العابد والمعبود وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم .

وهذان النوعان هو الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الاســلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاتيان بكلمة الاخلاص ، ومــا اقتضــته ، على الكمال الواجب الذى يكــون به موحــدا ، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟

فاذا عرفت أن الله كفر أهــل الشرك ، ووصــفهم به فى الآيات

---

(٢) الفرقان : ٤٤ (٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧
(٣) الممتحنة : ٤

المحكمات ، كقوله : ((**ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر**))(١) .

وكذلك السنة .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين . وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا الى الله ، وطلبا للجزاء من الله لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به . ونهوا عنه . ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم. ولا يتحرون طاعتهم . بل هم جهال بما أتوا به . معظمون لأغراضهم .

قلت : ما ذكره شيخ السلام يشبه حال هذين النوعين الآخرين . بقى مسألة تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعين ابتداء لسبب ــ ذكره رحمه الله ــ أوجب له التوقف فى تكفيره قبل اقامة الحجة عليه .

قال رحمه الله تعالى : « ونحن نعلم بالضرورة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ، ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، بلفظ الاستعانة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ، ولا الى ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه » انتهى .

قلت : فذكر رحمه الله ما أوجب له عدم اطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة ، الا بعد البيان والاصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ، ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك فى العبادة ، فلا يمكنه أن يعاملهم الا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب.

---

(١) التوبة : ١٧

رحمه الله فى ابتداء دعوته . فانه اذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضى الله عنه . قال : الله خير من زيد . تمرينا لهم على نفى الشرك ، بلين الكلام . نظرا الى المصلحة وعدم النفرة والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن رفع الله درجاته بمضاعفة حسناته مجيبا عن ايراد أورده جهمى ضال على بعض الأخوان :

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد النبى الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

اما بعد .. فقد وردت علينا أسئلة من عمان ، صدرت من جهمى ضال . يستعجز بها بعض المسلمين .

فينبغى أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، وما لا فائدة فيه لا يحتاج الى الاشتغال بالجواب عنه .

فمما ينبغى أن نجيب عنه قوله : ان الاسم مشتق من السمو ، أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء فى كتبهم ، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق الذى يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين . وان كانا مذكورين فى كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته فى « فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد » .

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فالقدر : أصل من أصول الايمان . كما فى سؤال جبريل ، وما أجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله قال : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وفى الحديث الصحيح : « ان أول ما خلق الله القلم . فقال له : اكتب . فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة » أى جرى بما يكون مما يعلمه الله تعالى . فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون : **« لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »**(١) .

---

(١) سبأ : ٣

وأما القضاء فيطلق فى القرآن ويراد به ايجاد المقــدر ، كقوله : **((فقضاهن سبع سموات فى يومين))(١)** .

وقــوله : **((فلمــا قضينا عليــه الموت ما دلهم على موته الا دابــة الأرض))(٢)** .

ويطلق ويراد به الاخبار بما سيقع مما قدر كقوله : **((وقضينــا الى بنى اسرائيل فى الكتاب))(٣)** .

اخبرهم فى كتابهم انهم يفسدون فى الأرض مرتين .

ويطلق ويراد به الأمر ، والوصية كما قال : **((وقضى ربك الا تعبــدوا الا اياه))(٤)** . اى أمر ووصى .

ويطلق ويراد به الحكم ، كقوله : **((وقضى بينهم بالحق))(٥)** .

ويطلق ويراد به القدر ، ونحو ذلك .

واما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع أن يكون مستويا على غيره .

فالجواب ان نقول : قد أجمع أهل السنة والجماعة قديما وحديثا على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لا يصف به نفسه ، ولا وصفــه بــه رسوله صلى الله عليه وسلم ومن وصــفه بغير ما وصف بــه نفســه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو جهمى ضــال مضــل ، يقول على الله بلا علم . وقــد ذكر ســبحانه اســتواءه على عرشــه فى سبعة مواضع من كتابه : فى ســورة (الأعــراف) ، وفى ســـورة (يونس) وفى ســورة (الرعد) وفى ســورة (طه) ، وفى ســورة (الفرقان) ، وفى ســورة (الســـجدة) ، وفى ســورة (الحــديد) ولم يذكــر تعـــالى أنه اســتوى على غــير العــرش ، ولا ذكــره رســوله صلى الله عليه وسلم فعلم أنه ليس من صفــاته التى يجوز أن يوصف بها ، فمن أدخل فى صفات الله ما لم يذكر فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ، فهو جهمى يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى : **((تعرج الملائكة والروح اليــه))(٦)** **((اليــه يصعد الكلم الطيب والعمــل**

---

(١) فصلت : ١٢
(٢) سبأ : ١٤
(٣) الاسراء : ٤
(٤) الاسراء : ٢٣
(٥) الزمر : ٦٩
(٦) المعارج : ٤

الصـالح يرفعـه»(١) « **يخـافون ربهم من فـوقهم** »(٢) « **انى متوفيك ورافعك الى** »(٣) « **بـل رفعـه الله اليـه** »(٤) « **وهـو العلى العظيم** »(٥) « **وهو العلى الكبير** »(٦) .

علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات . ولا يجوز أن يوصف الا بذلك كله لكماله تعالى فى أوصافه ، فله الكمال المطلق فى كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بهـا رسـوله صلى الله عليه وسلم . وقال تعـالى : « **رفيع الدرجات ذو العرش** »(٧) .

فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعـالى ، كمـا هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكقوله تعالى : « **تكاد السـموات يتفطـرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم** »(٨) الآية .

وذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى : « **هـو الأول والآخر والظاهر والباطن** »(٩) الآية .

« اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعـدك شىء ، وأنت الظـاهر فليس فوقك شىء ، وأنت البـاطن فليس دونك شىء » .

فقوله : « فليس فوقك شىء » نص فى أنه تعالى فـوق جميـع المخلوقات ، وهو الذى ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم فى معنى قوله : « **الرحمن على العرش استوى** »(١٠) أن معنى « استوى » استقر وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحـد ، لا ينكر هـذا الا جهمى زنديق ، يحكم على الله وعلى أسـمائه وصـفاته بالتعطيل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

والنصوص الدالة على اثبات الصفات كثيرة جدا . وقـد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كبـارا ، ومن ذلك كتـاب « السنة » لعبد الله ابن الامام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » لامام الأئمة محمـد بن خزيمة ، وكتـاب « السنة » للأثرم صاحب الامام أحمد ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمى

---

(١) فاطر : ١٠
(٢) النحل : ٥٠
(٣) آل عمران : ٥٥
(٤) النسـاء : ١٥٨
(٥) البقرة : ٢٥٥
(٦) سبأ : ٢٣
(٧) غافر : ١٥
(٨) الشورى : ٥
(٩) الحديد : ٣
(١٠) طه : ٥

فى رده على المريسى ، وكتاب « السـنة » للخلال ، وكتـاب « العلو » للذهبى وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، ولله الحمد والمنة •

وتذكر بعض الاحـاديث الصريحـة فى المعنى ، فمن ذلك ما فى « الصحيح » عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر نكلم بالوحى ، أخـذت السموات منه رجفة ــ أو قال : رعدة ــ شديدة خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ، وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر على سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلى الكبير • فيقولون كلهم مثـل ما قاله جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى الى حيث أمره لله عز وجل » •

ففى هـذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحى من فـوق السموات السبع ، فيمر بها كلها نازلا الى حيث أمره الله ، وهذا صريح بان الله تعالى فوق السموات على عرشه ، بائن من خلقه : كما قال عبد الله ابن المبارك لمـا قيـل له : بم نعرف ربنـا ؟ قال : بأنه على عرشـه ، بائن من خلقه • وهذا قول أئمة الاسلام قاطبة ، خلافا للجهمية الحلولية ، والفلاسفة ، وأهل الوحدة ، وغيرهم من أهل البدع •

فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتى سبقت غضبى فهو عنـده فوق العرش » • وفى حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنـه الذى رواه أبو داوود ، والترمـذى ، وابن ماجه ، أن النبى صلى الله عليـه وسلم ذكر سبع سـموات وما بينهـا ، ثم قال : « وفوق ذلك بحـر ، بين أعلاه وأسفله ، كما بين سـماء الى سـماء ، ثم فوق ذلك ثمانيـة أوعال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، كما بين سماء الى سـماء ، ثم فوق ظهورهن العرش ، ما بين أعلاه وأسفله ، كما بين سـماء الى سـماء ، والله تعالى فوق ذلك »[1] •

---

(١) ضعيف علته عبد الله بن عميرة ، قال الذهبى : فيه جهالة .

وفى حديث ابن مسعود الذى رواه عبد الرحمن بن مهـدى شيخ الامام أحمد ، عن حماد بن سـلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى والمـاء خمسمائة عام ، والعرش فوق المـاء ، والله تعالى فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

والجهمية جحدوا هذه النصوص ، وعاندوا فى التكذيب ، فصاروا بذلك كفارا عند أكثر أهل السنة والجماعة ، وهذا القـدر الذى ذكرنا كاف فى بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علو الله تعالى على جميع المخلوقات ، واستوائه على عرشه . وقد تظاهرت الأدلة من الكتـاب والسنة على ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما ورد فى ذلك لاحتمل مجلدا .

فالحمد لله الذى حفظ على الأمة دينها فى كتابه وسنة رسـوله ، وبفضل العلماء الذين هم فى هذه الأمة كأنبياء بنى اسرائيل ، وعـدانا الله الى ذلك ، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت فى هذه الأمة . فيالها من نعمة ما أجلها فى حق من تلقى الحق بالقبول ، وعرفه ورضى به ، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه ، المثنين بها عليه ، فله الحمـد لا نحصى ثناء عليه هو كماأثنى على نفسه ، وفوق ما يثنى عليه خلقه .

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به اليهم من صفـات كماله اللائقة بجلال الله ، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسـه ، وأثبتـه له رسوله ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قـدرته ، وبما أسـبغه عليهم من عظيم نعمه ، فعبدوا ربا أحدا صمدا ، الها واحـدا ، وهـو الله الذى الالهية وصفه فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له فى الهيته ، ولا فى ربوبيته ، ولا فى ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : ((قـل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس))(١) .

ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيـه عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته ، فمطلوه

(١) الناس : ١ — ٣ .

من صفات الكمال ، وصاروا انما يعبدون عدما ، لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم .

وأما ما أورده هذا الجهمي الجاهل من آيات العلم ، كقوله تعالى : **« وهو معكم اين ما كنتم »**(١) **« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم »**(٢) .

فلا منافاة بين استوائه على عرشه ، واحاطة علمه بخلقه . والسياق يدل على ذلك .

اما الآية الأولى فهي مسبوقة بقوله تعالى : **« هو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم »**(٣) .

ذكر استواءه على عرشه ، وذكر احاطة علمه بما في الأرض والسموات ثم قال : **« وهو معكم اين ما كنتم »** .

أي : بعلمه المحيط بما كان وما يكون .

وأما الآية الثانية ، فهي كذلك مسبوقة بالعلم ، وختمها تعالى به فقال : **« ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم »** الى قوله : **« ان الله بكل شيء عليم »**(٤) .

فعلم أن المراد علمه بخلقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، كما قال تعالى : **« الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما »**(٥) .

وهذا المعنى الذي ذكرنا ، هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية وأهل البدع ، فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه ، وجهلهم به وبالقرآن والسنة ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

---

(١) الحديد : ٤ — (٢) المجادلة : ٧
(٣) الحديد : ٤ — (٤) المجادلة : ٧
(٥) الطلاق : ١٢

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الايمان • ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق الا من طلبه •

وأما أهل البدع ، فأشربوا فى قلوبهم ما وفعوا فيه من البدع والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون •

فاذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمى وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسع مسلما أن يجهلها • لأن الاسلام يتوقف على معرفتها •

فمن ذلك : ما معنى كلمة الاخلاص : لا اله الا الله ؟

وما الآلهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟

وما معنى الآلهية التى ثبتت لله وحده دون ما سواه ؟

وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه ؟ ومامعنى الاخلاص الذى أمر الله به عباده ، وأخبرهم أنه له وحده ؟

وما تعريف العبادة التى خلقوا لها ؟

وما أقسام العلم النافع الذى لا يسع أحدا جهله ؟

وما معنى اسم الله تعالى الذى لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟

وما صفة اشتقاقه من المصدر الذى هو معناه ؟

فالجواب عن هذا مطلوب ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وامام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا •

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

هذه ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين •

المسألة الأولى : هل يجوز للمسلم أن يسافر الى بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : الحمد لله ، ان كان يقـدر على اظهـار دينه ولا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقـد سـافر بعض الصحابة رضى الله عنهم ، كأبى بكر وغيره من الصحابة الى بلدان المشركين لأجل التجارة ، ولم ينكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمـد فى « مسنده » وغيره . وان كان لا يقدر على اظهار دينه ، ولا على عـدم موالاتهم ، لم يجز له السفر الى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التى تدل على النهى عن ذلك ، ولأن الله تعـالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فمـا كان ذريعة وسببا الى اسـقاط ذلك ، لم يجز وأيضـا فقد يجره ذلك الى موافقتهم أو ارضائهم . كمـا هو الواقع كثيرا ممن يسـافر الى بلدان المشركين من فساق المسلمين . نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسـان أن يجلس فى بلدان الكفـار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التى قبلها سواء ، ولافرق فى دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على اظهار دينـه فيها ، لا يجوز له السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شـهر أو شهرين ، أو المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلدة لا يقدر على اظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقـام فيها ولا يوما واحدا اذا كان يقدر على الخروج منها .

المسـألة الرابعـة فى معنى قـوله تبـارك وتعـالى : « **انكم اذن مثلهم** »(١) .

وقوله فى الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله » .

الجواب : ان معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكـافرين المستهزئين ، من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ،

---

(١) النسـاء : ١٤٠

فهو كافر مثلهم وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهـذه الآية ونحوها استدل العلمـاء على أن الراضى بالذنب كفـاعله ، فان ادعى أن يكره ذلك بقلبه ، لم يقبـل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافرا .

ولهذا لمـا وقعت الردة بعد موت النبى صلى الله عليـه وسلم ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، الا من أنكر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله فى الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » على ظاهره وهو أن الذى يدعى الاسلام ويكون مع المشركين فى الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعـده المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وان ادعى الاسـلام ، الا ان كان يظهر دينه ولا يوالى المشركين .

ولهذا لمـا ادعى بعض الناس الذين أقاموا فى مكة بعد ما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، فادعوا الاسلام ، الا أنهم أقاموا فى مكة ، يعـدهم المشركون منهم ، وخرجـوا معهم يوم بـدر كارهين للخروج فقتلوا ، فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا : قتلنـا اخواننـا ، فأنزل الله تعالى فيهم : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »(١) الآيـة .

قال السدى وغيره من المفسرين : انهم كانوا كفارا ، ولم يعـذر الله منهم الا المستضعفين .

المسألة الخامسة : هـل يقال لمن أظهر علامات النفـاق ممن يدعى الاسلام : انه منافق . أم لا ؟

الجواب : انه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه ، كارتداده عند التحريش على المؤمنين ، وخذلانهم عند اجتماع العـدو ، كالذين قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وكونه اذا غلب المشركون التجأ معهم ، وان غلب المسلمون التجأ اليهم ، ومدحه للمشركين بعض الأحيـان ، وموالاتهم من دون المؤمنين ، وأشباه هذه العلامات التى ذكر الله أنها

(١) النساء : ٩٧ .

علامات للنفاق ، وصفات للمنافقين ، فانه يجوز اطلاق النفـاق عليـه وتسميته منافقا . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك كثيرا ، كما قال حذيفة رضي الله تعالى عنه : ان الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بها منافقا، وكما قال عوف بن مالك لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ، ولكنك منافق . وكذلك قال عمر في قصة حاطب : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . وفي رواية : دعني أضرب عنقه فانه منافق ، واشباه ذلك كثير . وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لمـا قال ذلك الكلام : كذبت .. ولكنك منافق ، تجادل عن المنافقين .

ولكن ينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين اطلاق النفاق عليه ظاهرا ، وبين كونه منافقا باطنا فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقـا لمن أراد أن يسميه بذلك وان لم يكن منافقا في نفس الأمر ، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الانسان مخطئا لا علم عنده ، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقا . فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه ، كما لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على أسـيد بن حضير تسميته سـعدا منافقا ، مع أنه ليس بمنافق ، ومن سكت لم ينكر عليه ، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين ، فانه لا يكون منافقا .

واعلم أنه لا يجوز اطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصـبية ، أو لكونه يشاحن رجلا في أمر دنيا ، أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف في بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين . فليحذر الانسـان أشد الحذر ، فانه قد صح في ذلك الحديث عن النبي صلى الله عليـه وسلم فيمن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ، وانما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق ، كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها ، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان ونيته اعلاء كلمة الله ونصر دينه .

المسألة السادسـة : في الموالاة والمعـاداة ، هـل هي من معنى « لا اله الا الله » أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال : الله أعلم ، لكن بحسب المسلم أن يعلم أن الله

افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى « لا اله الا الله » أو لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وانما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك ، واوجبه ، وأوجب العمل به فهذا هو الفرض والحتم الذى لا شك فيه ، فمن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير . ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدال والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان وجاهدوا فى الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين ، فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لى . على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله تعالى أعلم ، ولله الحمد والمنة ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركا أين ما كنت . وأن يجعلك ممن اذا أعطى شكر . واذا ابتلى صبر ، واذا أذنب استغفر ، فان هذه الثلاث عنوان السعادة .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة ابراهيم ، أن تعبد الله مخلصا له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى : ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**))(١) .

فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحدث اذا دخل فى الطهارة ، كما قال تعالى : ((**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ، اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون**))(٢) .

---

(١) الذاريات : ٥٦ (٢) التوبة : ١٧

فاذا عرفت أن الشرك اذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين فى النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهى الشرك بالله ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله فى كتابه :

الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين أن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيى ، المميت ، النافع ، الضار ، الذى يدبر جميع الأمور ، وما أدخلهم فى الاسلام . والدليل قوله تعالى : ((قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون))(١) .

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجهنا اليهم ودعوناهم الا لطلب القربة والشفاعة ، نريد من الله لا منهم ، لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم .

ودليل القربة قوله تعالى : ((والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار))(٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون))(٣) .

القاعدة الثالثة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ظهر على ناس متفرقين فى عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بينهم . والدليل قوله تعالى : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله))(٤) .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : ((ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون))(٥) .

---

(١) يونس : ٣١ (٢) الزمر : ٣
(٣) يونس : ١٨ (٤) الأنفال : ٣٩
(٥) فصلت : ٣٧

ودليل الصالحين قوله تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا))(١) .

ودليل الملائكة قوله تعالى : ((ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون))(٢) .

ودليل الأنبياء قوله تعالى : ((واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم))(٣) .

ودليل الأشجار والأحجار حديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « الله أكبر ، انها السنن .. قلتم — والذى نفسى بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى : ((اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين))(٤) .

القاعدة الرابعة : أن مشركى زماننا أعظم شركا من الأولين ، لأن الأولين يخلصون لله فى الشدة ، ويشركون فى الرخاء ، ومشركى زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدة .

---

(١) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧ . (٢) سبأ : ٤٠ — ٤٢ .
(٣) المائدة : ١١٦ — ١١٨ (٤) الأعراف : ١٣٨ — ١٤٠ .

والدليل قـوله تعـالى : ((**فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون**))(١) .

تمت والحمـد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمـد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربى الله . فاذا قيل لك : أى شيء معنى الرب ؟ فقل : المعبود المـالك المتصرف . فاذا قيل لك : أى شيء أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السموات والأرض . فاذا قيل لك : أى شيء تعرفه به ؟ فقـل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . واذا قيـل لك : أى شيء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل : الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ((**ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبـه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين**))(٢) .

فاذا قيـل لك : أى شيء معنى الله ؟ فقـل : معناه ذو الألوهيـة والعبودية على خلقـه أجمعين . فاذا قيـل لك : لأى شيء الله خلقك ؟ فقل : لعبادته . فاذا قيل لك : أى شيء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته . فاذا قيل لك : أى شيء يدل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**))(٣) .

واذا قيـل لك : أى شيء أول ما فرض الله عليك ؟ فقـل : كفر بالطاغوت ، وايمان بالله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ((**لا اكراه فى الدين قـد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم**))(٤) .

---

(١) العنكبوت : ٦٥ ، ٦٦ . (٢) الاعراف : ٥٤ .
(٣) الذاريات : ٥٦ . (٤) البقرة : ٢٥٦ .

فاذا قيل لك : أى شيء العروة الوثقى ؟ فقل : لا اله الا الله ، ومعنى « لا اله الا الله » لا اله : نفى الا الله . اثبات .

فاذا قيل لك : أى شيء أنت ناف ، وأى شيء أنت مثبت ؟ فقل . ناف جميع ما كان يعبد من دون الله ، ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له .

فاذا قيل لك : أى شيء الدليل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : « **واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى** »(١) .

فاذا قيل لك : أى شيء النفى ؟ وأى شيء الاثبات ؟ فقل : دليل النفى : » **واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون** » .

هذا النفى ، ودليل الاثبات : « **الا الذى فطرنى** » .

فاذا قيل لك : أى شيء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب ، مثل الخلق ، والرزق والاحياء ، والامانة ، وانزال المطر ، وانبات النبات ، وتدبير الأمور .

وتوحيد الالهية ، فعل العبد مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء والتوكل ، والانابة ، والرغبة ، والرهبة ، والنذر ، والاستعانة ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أى شيء دينك ؟ فقل : دينى الاسلام ، وأصله وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه وتكفير من تركه ، والانذار عن الشرك فى عبادة الله تعالى ، والتغليظ فى ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو مبنى على خمسة أركان :

أولها : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة ،

---

(١) الزخرف : ٢٦ : ٢٧ .

ودليل الشهادة قوله تعالى : ((شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم))(١) .

ودليل ان محمدا رسول الله قوله تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين))(٢) .

والدليل على اخلاص العبادة والصلاة ، والزكاة قوله تعالى : ((وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة))(٣) .

ودليل الصوم قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون))(٤) .

ودليل الحج قوله تعالى : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين))(٥) .

وأصول الايمان ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

والاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

فاذا قيل : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بلده مكة ، وهاجر الى المدينة وعمره ثلاث وستون سنة ، منها أربعون ما نبيء فيها وثلاث وعشرون نبى رسول ، نبيء بـ « اقرأ » ، وأرسل بـ « المدثر » .

فاذا قيل : هو مات ، أم لم يمت ؟ فقل مات : ودينه لا يموت الى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : ((انك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون))(٦) .

---

(١) آل عمران : ١٨ . (٢) الاحزاب : ٤٠ .
(٣) البينة : ٥ . (٤) البقرة : ١٨٣ .
(٥) آل عمران : ٩٧ . (٦) الزمر : ٣٠ ، ٣١ .

فاذا قيل : والناس اذا مــاتوا يبعثون ؟ فقل : نعم .. والدليــل قوله تعــالى : ((**منها خلقناكم وفيهــا نعيــدكم ومنهــا نخرجكم تــارة اخرى**))(١) .

والذى ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : ((**زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتــم وذلك على الله يسير**))(٢) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .

* * *

---

(١) طــه : ٥٥ (٢) التغابن : ٧

الرسالة الثانية :

هـذه مسائل الجاهلية

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتبين الأشياء . فأهم ما فيها وأشدها خطرا ، عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان انضاف الى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة ، كما قال تعالى : « **والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون** »(١) .

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون باشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادته ، يريدون شفاعتهم عند الله ، كماقالى تعالى : « **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** »(٢) .

وقال تعالى : « **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** »(٣) .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذى أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال الا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه المسألة التى تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** »(٤) .

---

(١) العنكبوت : ٥٢ . (٢) يونس : ١٨ .

(٣) الزمر : ٣ . (٤) الانفال : ٣٩ .

الثانية : أنهم متفرقون فى دينهم ، كما قال تعالى : ((**كل حـــزب بما لديهم فرحون**))(١) .

وكذلك فى دنياهم ، ويرون ذلك هــو الصواب ، فأتى بالاجتماع فى الدين بقوله : ((**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحــا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيـــه**))(٢) .

وقال تعالى : ((**ان الذين فـــرقوا دينهم وكانوا شـــيعا لست منهم فى شىء**))(٣) .

ونهانا عن مشابهتهم بقــوله : ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**))(٤) .

ونهانا عن التفرق فى الدين بقــوله : ((**واعتصموا بحبل الله جميعــا ولا تفرقوا**))(٥) .

الثالثة : أن مخالفة ولى الأمــر (عندهم) وعــدم الانقيــاد له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالســـمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ فى ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التى جمع بينها فيما ذكر عنه فى « الصحيحين » أنه قال : « ان الله يرضى لكم ثلاثا : ألا تعبـــدوا الا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفــرقوا ، وأن تناصــحوا من ولاه الله أمركم » . ولم يقــع خلل فى دين الناس ودنياهم الا بســبب الاخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبنى على أصول أعظمها التقليد ، فهــو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : ((**وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون**))(٦) .

---

(١) الروم : ٣٢ . (٢) الشورى : ١٣ .
(٣) الانعام : ١٥٩ . (٤) ال عمران : ١٠٥ .
(٥) آل عمران : ١٠٣ . (٦) الزخرف : ٢٣ .

وقال تعالى : ((**واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير**))(١) .

فأتاهم بقوله : ((**قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة**))(٢) الآية .

وقوله : ((**اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون**))(٣) .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته ، وقلة أهله ، فأتاهم(٤) بضد ذلك ، وأوضحه فى غير موضع من القرآن .

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : ((**فما بال القرون الأولى**))(٥) . ((**ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين**))(٥) .

السابعة : الاستدلال بقوم أعطوا قوى فى الأفهام والأعمال ، وفى الملك والمال والجاه ، فرد الله ذلك بقوله : ((**ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه**))(٦) الآية .

وقوله : ((**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**)) (٧) . ((**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**))(٨) الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه الا الضعفاء ، كقوله : ((**أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**))(٩) .

وقوله : ((**أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**))(١٠) فرد الله بقوله : ((**أليس الله بأعلم بالشاكرين**))(١١) .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : ((**يا أيها الذين**

---

(١) لقمان : ٢١ .
(٢) سبأ : ٤٦ .
(٣) الأعراف : ٣ .
(٤) فى الأصل « فأتتهم » .
(٥) طه : ٥١ .
(٦) المؤمنون : ٢٤ .
(٧) الأحقاف : ٢٦ .
(٨) البقرة : ٨٩ .
(٩) البقرة : ١٤٦ .
(١٠) الشعراء : ١١١ .
(١١) الأنعام : ٥٣ .

آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله(١) •

وبقوله : ((**لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل**))(٢) •

العاشرة : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم حفظهم . كقوله : ((**بادى الرأى**))(٣) •

الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله : ((**ان أنتم الا بشر مثلنا**))(٤) •

الثانية عشرة : ابتكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله ، عدم فهم الجامع والفارق •

الثالثة عشرة : الغلو فى العلماء والصالحين ، كقوله : ((**يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق**))(٥) •

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبنى على قاعدة وهى النفى والاثبات فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله •

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم كقوله : ((**قلوبنا غلف**))(٦) ((**يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول**))(٧) •

فأكذبهم الله • وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع بسبب كفرهم •

السادسة عشرة : اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر • كما ذكر الله ذلك فى قوله : ((**نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون • واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**))(٨) •

السابعة عشرة : نسبة باطلهم الى الانبياء ، كقوله : ((**وما كفر**

---

(١) التوبة : ٣٤ .
(٢) المائدة : ٧٧ .
(٣) هود : ٢٧ .
(٤) ابراهيم : ١٠ .
(٥) النساء : ١٧١ .
(٦) النساء : ١٥٥ .
(٧) هود : ٩١ .
(٨) البقرة : ١٠١ ، ١٠٢ .

سليمان »(١) وقـوله : « **ما كان ابراهيم يهـوديا ولا نصرانيا** »(٢) ٠

الثامنة عشرة : تناقضهم فى الانتسـاب ، ينتسبون الى ابراهيم ، مع اظهارهم ترك اتباعه ٠

التاسعة عشرة : قدحهم فى بعض الصـالحين بفعل بعض المنتسبين ، كقدح اليهود فى عيسى ، وقدح اليهود والنصارى فى محمـد صلى الله عليه وسلم ٠

العشرون : اعتقادهم فى مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته الى الأنبياء كما نسبوه لسليمان ٠

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاء والتصدية ٠

الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ٠

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غـرتهم ، فظنوا أن عطـاء الله منها يدل على رضـاه ، كقوله : « **نحن أكثر أمـوالا وأولادا وما نحن بمعذبين** »(٣) ٠

الرابعة والعشرون : ترك الدخول فى الحق اذا سبقهم اليه الضعفاء تكبرا وانفة ، فانزل الله : « **ولا تطرد الذين يدعون ربهم** »(٤) الآية .

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله : « **لو كان خيرا ما سبقونا اليه** »(٥) .

السادسة والعشرون : تحريف كتاب الله من بعـد ما عقلوه وهـم يعلـمون ٠

السابعة والعشرون : تصـنيف الكتب الباطلة ونسـبتها الى الله ، كقـوله : « **فويل للذين يكتبون الكتـاب بايديهم ثم يقولون هـذا من عند الله** »(٦) الآية .

الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحـق الا الذى مـع طائفتهم ، كقوله : « **نؤمن بما أنزل علينا** »(٧) .

---

(١) البقرة : ١٠٢ .
(٢) آل عمران : ٦٧ .
(٣) سبأ : ٣٥ .
(٤) الأنعام : ٥٢ .
(٥) الأحقاف : ١١ .
(٦) البقرة : ٧٩ .
(٧) البقرة : ٩١ .

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله عليه بقوله : ((**فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين**))(١) .

الثلاثون : وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع ، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الآفة ، صار ((**كل حزب بما لديهم فرحون**))(٢) .

الحادية والثلاثون : وهى من عجائب الله أيضا ، معاداتهم الدين الذى انتسبوا اليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم ، وفتنتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبى صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر ، وهى من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق اذا كان مع من لا يهودونه كما قال تعالى : ((**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**))(٣) الآية .

الثالثة والثلاثون : انكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا فى حج البيت ، فقال تعالى : ((**ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه**))(٤)

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعى أنها الناجية ، فأكذبهم الله بقوله : ((**هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين**))(٥) .

ثم بين الصواب بقوله : ((**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**))(٦) الآية .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات كقوله : ((**واذا فعلوا فاحشة**))(٧) الآية .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك .

---

(١) البقرة : ٩١ .
(٢) المؤمنون : ٥٣ .
(٣) البقرة : ١١٣ .
(٤) البقرة : ١٣٠ .
(٥) النمل : ٦٤ .
(٦) البقرة : ١١٢ .
(٧) الاعراف : ٢٨ .

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله .

الثامنة والثلاثون : الالحاد فى الصفات ، كقوله تعالى : ((ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون))(١) .

التاسعة والثلاثون : الالحاد فى الأسماء ، كقوله تعالى : ((وهم يكفرون بالرحمن))(٢) .

الأربعون : التعطيل : كقول آل فرعون(٣) .

الحادية والأربعون : نسبة النقائص اليه .

الثانية والأربعون : الشرك فى الملك ، كقول المجوس .

الثالثة والأربعون : جحود القدر .

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله .

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره .

السادسة والأربعون : مسبة الدهر ، كقولهم : ((وما يهلكنا الا الدهر))(٤) .

السابعة والأربعون : اضافة نعم الله الى غيره كقوله : ((يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها))(٥) .

الثامنة والأربعون : الكفر بآيات الله .

التاسعة والأربعون : جحد بعضها .

الخمسون : قولهم : ((ما أنزل الله على بشر من شيء))(٦) .

الحادية والخمسون : قولهم فى القرآن : ((ان هذا الا قول البشر))(٧) .

---

(١) فصلت : ٢٢ .　(٢) الرعد : ٣٠ .

(٣) يشير بذلك الى ما حكاه الله عنه فى قوله ((ما علمت لكم من اله غيرى)) القصص : ٣٨ .

(٤) الجاثية : ٢٤ .　(٥) النحل : ٨٣ .

(٦) الأنعام : ٩١ .　(٧) المدثر : ٢٥ .

الثانية والخمسون : القدح فى حكمة الله .

الثالثة والخمسون : اعمال الحيل الظاهرة والباطنة فى دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله : ((**ومكروا ومكر الله**))(١) . وقوله تعالى : ((**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار**))(٢) .

الرابعة والخمسون : الاقرار بالحق ليتوصلوا به الى دفعه كما قال فى الآية .

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله بعدها : ((**ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم**))(٣) .

السادسة والخمسون : تسمية أتباع الاسلام شركاء ، كما ذكره فى قوله تعالى : ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله**))(٤) الآية .

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه .

الثامنة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصبأة والحشوية .

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على الله .

الستون : كونهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى الشكوى للملوك ، كما قال : ((**أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض**))(٥) .

الحادية والستون : رميهم اياهم بالفساد فى الأرض ، كما فى الآية .

الثانية والستون : رميهم اياهم بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : ((**ويذرك وآلهتك**))(٦) .

وكما قال تعالى : ((**انى أخاف أن يبدل دينكم**))(٧) الآية .

الثالثة والستون : رميهم اياهم بانتقاص آلهة الملك ، كما فى الآية .

---

(١) آل عمران : ٥٤
(٢) آل عمران : ٧٢
(٣) آل عمران : ٧٣
(٤) آل عمران : ٧٩ .
(٥) الأعراف : ١٢٧
(٦) الأعراف : ١٢٧
(٧) غافر : ٢٦

الرابعة والستون : رميهم اياهم بتبديل الدين ، كما قال : ((انى اخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد))(١) .

الخامسة والستون : رميهم اياهم بانتقاص الملك ، كقولهم : ((ويذرك وآلهتك))(٢) .

السادسة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله : ((نؤمن بما أنزل علينا))(٣) مع تركهم اياه .

السابعة والستون : الزيادة فى العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .

الثامنة والستون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .

التاسعة والستون : تركهم الواجب ورعا(٤) .

السبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .

الحادية والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله .

الثانية والسبعون : دعواهم الناس الى الضلال بغير علم .

الثالثة والسبعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه ، فطالبهم الله بقوله : ((ان كنتم تحبون الله))(٥) الآية .

الرابعة والسبعون : دعواهم اياهم الى الكفر مع العلم .

الخامسة والسبعون : المكر الكبار ، كفعل قوم نوح .

السادسة والسبعون : أن أئمتهم : اما عالم فاجر ، واما عابد جاهل ، كما فى قوله : ((وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله))(٦) الى قوله : ((ومنهم أميون))(٧) .

السابعة والسبعون : تمنيهم الأمانى الكاذبة ، كقوله لهم : ((لن تمسنا النار الا أياما معدودة))(٨) . وقولهم : ((لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى))(٩) .

---

(١) غافر : ٢٦
(٢) الأعراف : ١٢٧
(٣) البقرة : ٩١
(٤) ترك ستر العورة اثناء الطواف .
(٥) آل عمران : ٣١
(٦) البقرة : ٧٥
(٧) البقرة : ٧٨
(٨) البقرة : ٨٠
(٩) البقرة : ١١١

الثامنة والسبعون : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .

التاسعة والسبعون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر .

والثمانون : اتخاذ السرج على القبور .

الحادية والثمانون : اتخاذها أعيادا .

الثانية والثمانون : الذبح عند القبور .

الثالثة والثمانون : التبرك بآثار المعظمين ، كدار ابن حزم لبعث مكرمة قريش .

الرابعة والثمانون : الفخر بالأحساب .

الخامسة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء .

السادسة والثمانون : الطعن في الانساب .

السابعة والثمانون : النياحة .

الثامنة والثمانون : أن أجل فضائلهم الفخر بالأنساب فذكر الله فيه ما ذكر .

التاسعة والثمانون : أن أجل فضائلهم أيضا الفخر ولو بحق ، فنهى عنه .

التسعون : أن الذى لابد منه عندهم تعصب الانسان لطائفته ، ونصر من هو منها ظالما أو مظلوما ، فأنزل فى ذلك ما أنزل .

الحادية والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ، فانزل الله : « **ولا تزر وازرة وزر أخرى** »(١) .

الثانية والتسعون : تعيير الرجل بما فى غيره ، فقال : « أعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك جاهلية » .

الثالثة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله : « **مستكبرين به سامرا تهجرون** »(٢) .

---

(١) الانعام : ١٦٤ (٢) المؤمنون : ٦٧

الرابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فقال الله « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت »(١) الآية .

الخامسة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث .

السادسة والتسعون : عظمة الدنيا فى قلوبهم ، كقولهم : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »(٢) .

السابعة والتسعون : التحكم على الله كما فى الآية .

الثامنة والتسعون : ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى »(٣) .

التاسعة والتسعون : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب الدنيا ، فأجابهم بقوله : « ما عليك من حسابهم من شىء »(٤) الآية وأمثالها .

المائة : الكفر بالملائكة .

الحادية بعد المائة : الكفر بالرسل .

الثانية بعد المائة : الكفر بالكتب .

الثالثة بعد المائة : الاعراض عما جاء عن الله .

الرابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الخامسة بعد المائة : التكذيب بلقاء الله .

السادسة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر ، كما فى قوله : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه »(٥) .

ومنها التكذيب بقوله : « مالك يوم الدين »(٦) . وقوله : « لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة »(٧) وقوله : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون »(٨) .

---

(١) البقرة : ١٣٤
(٢) الزخرف : ٣١
(٣) الأنعام : ٥٢
(٤) الأنعام : ٥٢
(٥) الكهف : ١٠٥
(٦) الفاتحة : ٤
(٧) البقرة : ٢٥٤
(٨) الزخرف : ٨٦

السابعة بعد المائة : الايمان بالجبت والطاغوت .

الثامنة بعد المائة : تفضيل دين المشركين على دين المسلمين .

التاسعة بعد المائة : لبس الحق بالباطل .

العاشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .

الحادية عشرة بعد المائة : قاعدة الضلال ، وهى القول على الله بلا علم .

الثانية عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : ((**بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج**))(١) .

الثالثة عشرة بعد المائة : الايمان ببعض المنزل دون بعض .

الرابعة عشرة بعد المائة : التفريق بين الرسل .

الخامسة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم .

السادسة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم .

السابعة عشرة بعد المائة : صدهم عن سبيل الله من آمن به .

الثامنة عشرة بعد المائة : مودتهم الكفر والكافرين .

التاسعة عشرة بعد المائة ، والعشرون ، والحادية والعشرون ، والثانية والعشرون ، والثالثة والعشرون ، والرابعة والعشرون ، والخامسة والعشرون ، والسادسة والعشرون ، والسابعة والعشرون ، والثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون بعد المائة : العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين ، والله أعلم .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

---

(١) سورة ق : ٥

الرســالة الثالثة :

كشف الشــبهات

تــأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله ســبحانه بالعبــادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به الى عباده .

فأولهم نوح عليه الســلام ، أرســله الله الى قومه لمــا غلوا فى الصالحين : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر .

وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كسر صــور هؤلاء الصــالحين ، أرســله الله الى أناس يتعبــدون ، ويحجــون ، ويتصــدقون ، ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، يقولون : نريد منهم التقرب الى الله ، ونريــد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غــيرهم من الصــالحين ، فبعث الله اليهم محمــدا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقــاد محض حق الله ، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا نبى مرســل ، فضلا عن غيرهما ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هــو الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق الا هــو ، ولا يحيى ولا يميت الا الله ، ولا يدبر الأمر الا هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن كلهم عبيــده وتحت تصرفه وقهره .

فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رســول الله صلى الله عليه وسلم يشــهدون بهذا فاقرأ قوله تعــالى : **((قــل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك الســمع والأبصــار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمــر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون))**(١) .

---

(١) يونس : ٣١ .

وقوله : ((**قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فانى تسحرون**))(١)

وغير ذلك من الآيات .

فاذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت ان التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد : كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات ، أو نبيا مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : ((**وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**))(٢) .

وكما قال تعالى : ((**له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء**))(٣) .

وتحققت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله الله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك ، هو الذى أحل دماءهم وأموالهم .

وعرفت حينئذ التوحيد الذى دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : « لا اله الا الله » : فان الاله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور . سواء أكان ملكا ، أو نبيا ، أو وليا ، أو شجرة . أو قبرا ، أو جنيا . لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر، فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وانما يعنون بالاله ما يعنى المشركون فى زماننا بلفظ السيد : فأتاهم النبى صلى الله

(١) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ (٢) الجن : ١٨
(٣) الرعد : ١٤

عليه وسلم يدعوهم الى كلمة التوحيد، وهى : « لا اله الا الله » ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعليق ، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه ، فانه لما قال لهم : قولوا « لا اله الا الله » قالوا : ((**أجعل الآلهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب**))(١) .

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشىء من المعانى .

والحاذق منهم يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر الأمر الا الله . فلا خير فى رجل ، جهال الكفار أعلم منه بمعنى « لا اله الا الله » .

اذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه : ((**ان الله لا يغفر أن يشرك به**))(٢) الآية ، وعرفت دين الله الذى بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى : ((**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**))(٣) .

وأفادك أيضا الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون ، خصوصا ان ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين : ((**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**))(٤) .

فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء ، كما قال تعالى : ((**وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين**

---

(١) سورة ص : ٥ (٢) النساء : ٤٨
(٣) يونس : ٥٨ (٤) الاعراف : ١٣٨

الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(١) .

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال تعالى : « **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم »**(٢).

اذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق الى الله تعالى لابد له من أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل : « **لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين »**(٣) .

ولكن اذا أقبلت على الله ، وأصغيت الى حجج الله وبيناته فلاتخف ولا تحزن « **ان كيد الشيطان كان ضعيفا »**(٤) .

والعامى من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى « **وان جندنا لهم الغالبون »**(٥) .

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان ، وانما الخوف على الموحد الذى يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذى جعله تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتى صاحب باطل بحجة الا وفى القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : « **ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا »**(٦) .

قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل الى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله فى كتابه جوابا لكل ما احتج به المشركون فى زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ،

---

(١) الأنعام : ١١٢
(٢) غافر : ٨٣
(٣) الأعراف : ١٦، ١٧
(٤) النساء : ٧٦
(٥) الصافات : ١٧٣
(٦) الفرقان : ٣٣

وذلك قوله تعالى : « **هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تأويله الا الله** »(١) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

مثال ذلك ، اذا قال لك بعض المشركين :

« **الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٢) .

أو أن الشفاعة حق ، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبى صلى الله عليه وسلم يستدل به على شىء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذى ذكره ، فجاوبه بقولك : ان الله ذكر فى كتابه أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء ، مع قولهم : « **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** »(٣) .

هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرته لى أيها المشرك من القرآن ، أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبى صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل ، وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فانه كما قال تعالى : « **وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** »(٤) .

وأما الجواب المفصل ، فان أعـداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعـا ولا ضرا ، فضلا عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجاوبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم

(١) آل عمران : ٧ — (٢) يونس : ٦٢
(٣) يونس : ١٨ — (٤) فصلت : ٣٥

لا تدبر شيئا ، وانما أرادوا منها الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فان قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟ فجاوبه بما تقدم ، فانه اذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة ، ولكن اذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار ، منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ((**اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**))(١) الآية .

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه . وقد قال تعالى : ((**ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا ياكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر انى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم**))(٢) .

واذكر له قوله تعالى : ((**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون**))(٣) .

وقوله تعالى : ((**واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب**))(٤) .

فقل له : عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فان قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد الا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى :

---

(١) الاسراء : ٥٧ — (٢) المائدة : ٧٥ : ٧٦
(٣) سبأ : ٤٠ - ٤١ — (٤) المائدة : ١١٦

((والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى))(١)
وقوله تعالى : ((ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)) (٢) .

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هى أكبر ما عندهم ، فاذا عرفت أن الله وضحها فى كتابه ، وفهمتها جيدا ، فما بعدها أيسر منها .

فان قال : أنا لا أعبد الا الله ، وهذا الالتجاء اليهم ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك اخلاص العبادة لله ؟ فاذا قال : نعم . فقل له : بين لى هذا الذى فرضه الله عليك ، وهو اخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك ، فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها ، فبينها له بقولك : قال الله تعالى ((ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين))(٣) .

فاذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة ، فقل له : اذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلا نهارا ، خوفا وطمعا ، ثم دعوت فى تلك الحاجة نبيا أو غيره ، هل أشركت فى عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فاذا عملت بقول الله تعالى : ((فصل لربك وانحر))(٤) وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فان نحرت لمخلوق ، نبى ، أو جنى ، أو غيرهما ، هل أشركت فى هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول : نعم .

وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم اياهم الا فى الدعاء ، والذبح ، والالتجاء ، ونحو ذلك ؟ والا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذى يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجأوا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا .

فان قال : أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل: لا أنكرها، ولاأتبرأ منها ، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأرجو شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله تعالى : كما قال تعالى : ((قل لله الشفاعة جميعا))(٥) .

---

(١) الزمر : ٣ (٢) يونس : ١٨
(٣) الاعراف : ٥٥ (٤) الكوثر : ٢
(٥) الزمر : ٤٤

ولا يكون الا من بعــد اذن الله ، كما قال تعالى : ((**من ذا الــذى يشفع عنده الا باذنه**))(١) •

ولا يشفع فى أحــد الا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال تعــالى : ((**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**))(٢) •

وهو سبحانه لا يرضى الا للتوحيد ، كمــا قال تعالى : ((**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**))(٣) •

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون الا من بعد اذنه ، ولا يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيره فى أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى الا لأهل التوحيد • تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمنى شفاعته ، اللهم شفعه فى ، وأمثال هذا •

فان قال : النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة ، وأنا أطلبها مما أعطاه الله •

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا • فقال تعالى : ((**فلا تدعوا مع الله أحدا**))(٤) •

فاذا كنت تدعــو الله أن يشــــفع نبيه فيك فأطعه فى قــوله : ((**فلا تدعوا مع الله أحدا**)) •

وأيضا فان الشفاعة أعطيها النبى صلى الله عليه وســلم ، لصــح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أتقول : ان الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟ فان قلت هذا ، رجعت الى عبادة الصالحين التى ذكرها الله فى كتابه • وان قلت : لا بطل ذلك : اذا أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبها مما أعطاه الله •

فان قال : أنا لا أشرك بالله شيئا ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك • فقــل له : اذا كنت تقر أن الله حــرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ؟ فما هــذا الأمــر الذى حرمه الله ، وذكر أنه لا يغفره ؟ فانه لا يدرى • فقل له : كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليه هذا ، ويذكر أنه

---

(١) البقرة : ٢٥٥ — (٢) الأنبياء : ٢٨

(٣) آل عمران : ٨٥ — (٤) الجن : ١٨

لا يغفره ، ولا تسأل عنه لا تعرفه ؟ أظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟
فان قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل له : ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن . وان قال : هو من قصد خشبة أو حجرا ، أو بنية على قبر ، أو غيره ، يدعون ذلك ، ويذبحون له . يقولون : انه يقربنا الى الله زلفى ، ويدفع الله عنا ببركته ، أو يعطينا ببركته . فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التى على القبور وغيرها فهذا أقر ان فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ، فهو المطلوب .

ويقال له أيضا : قولك الشرك عبادة الأصنام ، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل فى ذلك ؟ فهذا ما ذكره الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة ، أو عيسى أو الصالحين ، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك فى عبادة الله أحدا من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور فى القرآن ، وهذا هو المطلوب ، وسر المسألة أنه اذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ؟ فسره لى . فان قال : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لى . فان قال : أنا لا أعبد الا الله وحده . فقل : ما معنى عبادة الله وحده ؟ فسرها لى . فان فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب ، وان لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه ؟ وان فسر ذلك بغير معناه ، بينت له الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، أنه الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هى التى ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا : **« اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشى عجاب »**(١) .

فاذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد ، هو الشرك الذى نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

(١) سورة ص : ٥ .

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء والأوثان مع الله الا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : ((**واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا**))(١) .

وقال تعالى : ((**قل أرايتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين . بل اياه تدعون ، فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون**))(٢) .

وقال تعالى : ((**واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه**)) الى قوله : ((**قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار**)) (٣) وقوله : ((**واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين**))(٤) .

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضر والشدة فلا يدعون الا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا ؟ والله المستعان .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، اما أنبياء ، واما أولياء ، واما ملائكة . أو يدعون أحجارا ، أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصى مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

اذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء ، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا اله الا الله .

---

(١) الاسراء : ٦٧ — (٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١
(٣) الزمر : ٨ — (٤) لقمان : ٣٢

ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصوم ، فكيف تجعلونا مثل أولئك ؟

فالجواب : أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام ، وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه . كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج ، انزل الله في حقهم : ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين**))(١) .

كما قال تعالى : ((**ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا**))(٢) الآية .

فاذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقا ، زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله الينا .

ويقال أيضا : اذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك اذا أقر بكل شيء الا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله ، لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

---

(١) آل عمران : ٩٧ (٢) النساء : ١٥٠ ، ١٥١

فكيف اذا جحد الانسان شيئا من هـذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ، واذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ ! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! .

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويؤذنون ويصلون فان قال : انهم يقولون : ان مسيلمة نبى . قلنا : هـذا هو المطلوب . اذا كان من رفع رجلا الى رتبة النبى صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا فى رتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ما أعظم شانه ! ((**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**))(١) .

ويقال أيضا : الذين حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، كلهم يدعون الاسلام ، وهم من أصحاب على رضى الله عنه ، وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا فى على مثل الاعتقاد فى يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ ! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أتظنون أن الاعتقاد فى تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد فى على بن أبى طالب كفر .

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمن بنى العباس ، كلهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويدعون الاسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة فاما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم . وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضا : اذا كان الأولون لم يكفروا الا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وانكار البعث . وغير ذلك ، فما معنى الباب الذى ذكر العلماء فى كل مذهب ؟ « باب

---

(١) الروم : ٥٩

حكم المرتد » وهو المسلم الذى يكفر بعد اسلامه ، ثم ذكروا أنواعا كثيرة ، كل نوع منها يكفر ، ويحل دم الرجل وماله ، حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب •

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم : ((**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم**))(١) •

أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال فيهم : ((**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون • لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم**))(٢) •

فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد ايمانهم ، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح •

فتأمل هذه الشبهة ، وهى قولهم : تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن لا اله الا الله ، ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فانه من أنفع ما فى هذه الأوراق •

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله تعالى عن بنى اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم ، انهم قالوا لموسى : ((**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**))(٣) •

وقول أناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط • فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا مثل قول بنى اسرائيل لموسى : ((**اجعل لنا الها**)) •

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة • وهى أنهم يقولون : ان بنى اسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا •

فالجواب أن نقول : ان بنى اسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا • ولا خلاف أن بنى اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبى صلى الله

(١) التوبة : ٧٤ (٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦
(٣) الأعراف : ١٣٨ •

عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر ، كما فعل بنو اسرائيل والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر ، فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : ان النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال « لا اله الا الله » وقال : « أقتلته بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » وأحاديث أخر في الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون « لا اله الا الله » ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ؛ وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال « لا اله الا الله » ، وأن من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه اذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة ، فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه الا خوفا على دمه وماله ، والرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله في ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا »(١) .

---

(١) النســـاء : ٩٤

أى فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه ، والتثبت ، فان تبين منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل ، لقوله : « فتبينوا » ولو كان لا يقتل اذا قالها ، لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه ان من أظهر الاسلام والتوحيد وجب الكف عنه ، الا ان تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال : « أقتلته بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » هو الذى قال فى الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم . لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى ان الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا اله الا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة .

وكذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يغزو بنى المصطلق لما أخبره رجل انهم منعوا الزكاة ، حتى انزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »(١) .

وكان الرجل كاذبا عليهم ، فكل هذا يدل على أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهى ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بابراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا .

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فان الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال تعالى فى قصة موسى : « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه »(٢) .

وكما يستغيث الانسان بأصحابه فى الحرب وغيرها من الأشياء

---

(١) الحجرات : ٦ (٢) القصص : ١٥

التى يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو فى غيبتهم ، فى الأشياء التى لا يقدر عليها الا الله .

اذا ثبت ذلك . فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز فى الدنيا والآخرة أن تأتى عند رجل صالح حى ، يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لى ، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فى حياته . وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟ !

ولهم شبهة أخرى : وهى قصة ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار ، اعترض له جبريل فى الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال ابراهيم عليه السلام : اما اليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا ، لم يعرضها على ابراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فان جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله تعالى فيه : ((شديد القوى))(١) .

فلو أذن الله له أن يأخذ نار ابراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويلقيها فى المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع ابراهيم عليه السلام فى مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه الى السماء لفعل ، وهذا كرجل غنى له مال كثير ، يرى رجلا محتاجا ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئا يقضى به حاجته ؛ فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام ان شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدا تفهم مما تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فان اختل

---

(١) النجم : ٥

شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون وابليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هـذا حق ، ونحن نفهم هـذا ، ونشـهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجـوز عند أهل بلدنا الا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه الا لشيء من الأعذار ، كمـا قال تعالى : ((**اشـتروا بآيات الله ثمنا قليلا**))(١) .

وغير ذلك من الآيات كقوله : ((**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**))(٢) .

فان عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ، أو لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخـالص : ((**ان المنـافقين فى الدرك الأسفل من النـار**))(٣) .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة ، تتبين لك اذا تأملتها فى ألسنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيـا ، أو جاه ، أو مداراة . وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا ، فاذا سـألته عما يعتقد بقلبه ، فاذا هو لا يعرفه . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله ، أولاهمـا : ما تقـدم من قوله : ((**لا تعتـذروا قـد كفرتم بعـد ايمانكم**))(٤) .

فاذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غـزوا الروم مع الرسـول صلى الله عليه وسلم ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبين لك أن الذى يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفا من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانيـة : قوله تعالى : ((**من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان**))(٥) .

فلم يعذر الله من هؤلاء الا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالايمان ، وأما غير هذا ، فقد كفر بعد ايمانه ، سواء فعله خوفا ، أو مـداراة ،

---

(١) التوبة : ٩ — (٢) البقرة : ١٤٦
(٣) النساء : ١٤٥ — (٤) التوبة : ٦٦
(٥) النحل : ١٠٦

أو مشعة بوطنه ، أو أهله ، أو عشيرته ، أو ماله ، أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض الا المكره ، والآية تدل على هذا من جهتين :

الاولى : قوله ((**الا من أكره**)) . فلم يستثن الله الا المكره معلوم أن الانسان لا يكره الا على العمل أو الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : ((**ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة**))(١) .

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، والبغض للدين ، أو محبة الكفر ، وانما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، آمين .



(١) النحل : ١٠٧

الرسالة الرابعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد .. فهذه رسالة فى مسألة رجلين تناظرا . فقال أحدهما : لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله . فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك .

الجواب : الحمد لله رب العالمين . ان أراد بذلك أنه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله ، فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعده لأوليائه من كرامته ، وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده .

فالمؤمنون بالرسل ، المتبعون لهم ، هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ، ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة .

وأما المخالفون للرسل ، فانهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون . قال الله تعالى :

((يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون))(١) .

وقال تعالى :

((فاما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى))(٢) .

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أن لا يضل فى الدنيا . ولا يشقى فى الآخرة . وقال تعالى عن أهل النار :

---

(١) الأعراف : ٣٥ ، ٣٦ (٢) طه : ١٢٣ — ١٢٦

« كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير »(١) .

وقال تعالى :

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين »(٢) .

وقال تعالى :

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون »(٣) .

وقال الله تعالى :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »(٤) .

ومثل هذا في القرآن كثير ، وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره ، قال تعالى :

« الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس »(٥) .

ومن أنكر هذه الوسائط ، فهو كافر باجماع أهل الملل . والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة ، مثل : الأنعام والأعراف ، وذوات « الر » ، و « حم » ، و « طس » ونحو ذلك ، هي متضمنة لأصول الدين ، كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، وقد قص الله قصص الكفار الذين

---

(١) الملك : ٨ ، ٩ — (٢) الزمر : ٧١
(٣) الانعام : ٤٨ - ٤٩ — (٤) النساء : ١٦٣ — ١٦٥ .
(٥) الحج : ٧٥

كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا . قال تعالى :

« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون »(١) .

وقال : « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد** »(٢) .

فهذه الوسائط ، تطاع وتتبع ويقتدى بها ، كما قال تعالى :

« وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله »(٣) .

وقال تعالى : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** »(٤) .

وقال تعالى : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** »(٥) .

وقال : « **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون** »(٦) .

وقال تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(٧) .

وان أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة فى جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة فى رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ، ويرجعون اليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار . لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق . قال الله تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون »(٨) .

---

(١) الصافات : ١٧١ — ١٧٣ (٢) غافر : ٥١
(٣) النساء : ٦٤ (٤) النساء : ٨٠
(٥) آل عمران : ٣١ (٦) الأعراف : ١٥٧
(٧) الأحزاب : ٢١ (٨) السجدة : ٤

وقال تعالى .

« وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونـه ولى ولا شفيع »(١) .

وقال تعالى :

« وذكر به أن تبسـل نفس بما كسبت ليس لهـا من دون الله ولى ولا شـفيع »(٢) .

وقال سبحانه :

« قـل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشـف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسـيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا »(٣) .

وقال : **« قـل ادعـوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقـال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهمـا من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له »**(٤) .

وقالت طائفـة من السلف : كان أقـوام يدعون المسيح والعزير والملائكة ، فبين الله لهم أن الملائكـة والأنبيـاء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وأنهم يتقربون الى الله ويرجـون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : **« ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول النـاس كونوا عبـادا من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بمـا كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يامركم أن تتخـذوا الملائكة والنبيين اربابا ، أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »**(٥) .

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعـل الملائكة والأنبياء وسائط ، يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسد الفـاقات ، فهو كافر باجمـاع المسـلمين ، وقـد قال : **« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عبـاد مكرمون . لا يسـبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشـفعون**

---

(١) الأنعام : ٥١ (٢) الأنعام : ٧٠

(٣) الاسراء : ٥٦ - ٥٧ (٤) سبا : ٢٢ ، ٢٣

(٥) آل عمران : ٧٩ - ٨٠

الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين))(١) .

وقال تعالى : ((لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا))(٢) .

وقال تعالى : ((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا))(٣) .

وقال تعالى : ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون))(٤) .

وقال تعالى : ((وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى))(٥) .

وقال تعالى : ((من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه))(٦) .

وقال تعالى : ((وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله))(٧) .

وقال تعالى : ((ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده))(٨) .

وقال تعالى : ((قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون))(٩) .

---

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٩ (٢) النساء : ١٧٢
(٣) مريم : ٨٨ — ٩٥ (٤) يونس : ١٨
(٥) النجم : ٢٦ (٦) البقرة : ٢٥٥
(٧) يونس : ١٠٧ (٨) فاطر : ٢
(٩) الزمر : ٣٨

ومثل هذا كثير فى القران ، وأما سوى الأنبياء من مشـايخ العلم والدين ، فمن أثبتهم وسـائط بين الرسـول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب فى ذلك .

وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وان تنـازعوا فى شىء ردوه الى الله والرسـول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقـد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « العلمـاء ورثة الأنبيـاء ، فان الأنبياء لم يورثوا دينـارا ولا درهمـا ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر »(١) .

ومن أثبتهم وسـائط بين الله وبين خلقـه ، كالحجـاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقـه ، فالله انما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسـألونهم وهم يسـألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سـؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسـائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقـرب الى الملك من الطالب للحوائج !

فمن أثبتهم وسـائط على هـذا الوجـه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فان تاب والا قتل .

وهؤلاء مشبهون لله ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادا .

وفى القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التى بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

اما لاخبارهم من أحوال النـاس بما لا يعرفونه . ومن قال : ان الله لا يعلم أحوال عبـاده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبيـاء أو غـيرهم فهو كافر ، بل هـو سـبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج

---

(١) رواه ابو داوود وغيره بسند حسن .

الأصــوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشــغله ســمع عن سمع ، لا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين •

الوجه الثــانى · أن يكون الملك عاجزا عن تدبــير رعيته ، ودفــع أعدائه الا بأعوان يعينونه ، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجــزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولى من الذل . قال تعالى : ((**قــل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير**))(١) •

وقال تعالى : ((**وقــل الحمد لله الذى لم يتخــذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا**))(٢) •

وكل ما فى الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه ، فهــو الغنى عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم ، وفى الحقيقــة شركاؤهم فى الملك ، والله تعــالى ليس له شريك فى الملك ، بل لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير •

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت ارادة الملك وهمته فى قضاء حوائج رعيته ، اما لمــا حصل فى قلبه من كــلام الناصح الواعظ المشــير ، واما لمــا يحصل من الرغبــة أو الرهبــة من كلام المدل عليه •

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأشياء انما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو اذا أجرى نفع العبــاد بعضهم على بعض ، فجعل هــذا يحسن الى هذا ، ويدعو له ، ويشــفع فيه ونحو ذلك ، فهو الذى خلق ذلك كله ، وهو الذى خلق فى قلب هذا المحسن الداعى الشــافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة • ولا يجوز أن يكون فى الوجود من يكرهه على خــلاف مراده . أو يعلمــه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجــوه الرب

---

(١) سبأ : ٢٢ (٢) الاسراء : ١١١

ويخافه ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يقولن أحـدكم : اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ولكن ليجزم المسألة ، فانه لا مكره له » والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه ، كما قال : ((**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**))(١) .

وقال تعالى : ((**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**))(٢) .

وقد قال تعـالى : ((**قـل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له**))(٣) .

فبين أن كل من دعى من دونه ، ليس له ملك ولا شرك فى الملك ، ولا هو ظهير . وأن شـفاعتهم لا تنفع الا لمن أذن له . وهـذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكـا لهم فى الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبـل شـفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة لخوف منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم ولانعامهم عليه ، حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجـة والى الولد ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجتـه لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة سلوكه ، فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى فى ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحـد شفاعة أحـد الا لرغبـة أو رهبـة ، والله تعـالى لا يرجو أحدا ، ولا يخـافه ، ولا يحتـاج الى أحـد ، بل هـو الغنى . قال تعـالى : ((**الا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبـع الذين يدعـون من دون الله شركاء ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون**))(٤) .

الى قوله : ((**قالوا اتخـذ الله ولد ، سـبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض**))(٥) .

والمشركون يتخـذون شـفعاء من جنس ما يعدونه من الشـفاعة.

---

(١) البقرة : ٢٥٥ — (٢) الأنبياء : ٢٨
(٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ — (٤) يونس : ٦٦
(٥) يونس : ٦٨

قال تعـالى : ((ويعبـدون من دون الله ما لا يضرهـم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السـموات ولا فى الارض ، سبحانه وتعالى عما يشركون))(١) .

وقال تعالى : ((فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم ، وذلك افكهم وما كانوا يفترون))(٢) .

وأخبـر عن المشركين انهم قالوا : ((ما نعبـدهم الا ليقـربونا الى الله زلفى))(٣) .

وقال تعـالى : ((ولا يامركم ان تتخـذوا الملائكــة والنبيين اربابا ، ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون))(٤) .

وقال تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونـه فلا يملكون كشـف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا))(٥) .

فأخبر أن ما يـدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحـويله ، وأنهم يرجون رحمته . ويخافون عذابه ، ويتقربون اليه . فهو سـبحانه قد نفى ما اثبتوا للملائكة والأنبيـاء الا الشـفاعة باذنه . والشـفاعة هى الدعـاء ، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضـهم لبعض نافع ، والله قـد أمر بذلك ، لكن الداعى الشافع ليس له أن يدعو ويشـفع الا باذن الله له فى ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهى عنها ، كالشفاعة للمشركين ، والدعاء لهم بالمغفرة ، قال تعـالى : ((ما كان للنبى والذين آمنـوا ان يسـتغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه))(٦) .

---

(١) يونس : ١٨ — (٢) الأحقاف : ٢٨
(٣) الزمر : ٣ — (٤) آل عمران : ٨٠
(٥) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧ — (٦) التوبة : ١١٣ ، ١١٤

وقال تعالى فى حق المنافقين : **«سـواء عليهم اسـتغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم »**(١) .

وقد ثبت فى « الصحيح » أن الله تعالى نهى نبيه عن الاسـتغفار للمشركين والمنـافقين ، وأخبر أنـه لا يغفـر لهم ، كمـا فى قوله : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(٢) .

وقوله : **« ولا تصل على احـد منهم مات ابـدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »**(٣) .

وقد قال تعالى : **« سـواء عليهم استغفرت لهم أم لم تسـتغفر لهم لن يغفر الله لهم »**(٥) .

وقـد قال تعـالى : **« ادعـوا ربكم تضرعا وخفيـة انـه لا يحب المعتدين »**(٥) .

فى الدعاء ، ومن الاعتداء فى الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية لله عز وجل ، كاعانته على الكفر والفسوق والعصيان ، فالشفيع الذى أذن الله له فى الشفاعة شفاعته فى الدعاء الذى ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فانهم معصومون ان يقروا على ذلك . كما قال نوح : **« ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين »**(٦) .

قال تعالى : **« قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صـالح ، فلا تسالن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ، قال رب انى اعوذ بك ان أسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين »**(٦) .

وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته الا بقضاء الله وقدره ومشيئته ، وهو الذى يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذى خلق السبب والمسبب ، والدعاء من جملة الأسباب

---

(١) المنافقون : ٦ (٢) النساء : ٤٨
(٣) التوبة : ٨٤ (٤) المنافقون : ٦
(٥) الأعراف : ٥٥ (٦) هود : ٤٥ — ٤٧

التى قدرها الله سبحانه وتعالى ، واذا كان كذلك ، فالالتفات الى الأسباب شرك فى التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص فى العقل ، والاعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع .

بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله سبحانه وتعالى ، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء .

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى ، والأدنى للأعلى ، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء ، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء ، ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه ، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وله شفاعات يختص بها . ومع هذا فقد ثبت فى « الصحيحين »[1] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة » . وقد قال لعمر ، لما أراد أن يعتمر وودعه : « يا أخى لا تنسنى من دعائك »[2] .

فالنبى صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته أن يدعوا له ، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم ، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التى يثابون عليها ، مع أنه صلى الله عليه وسلم له مثل أجورهم فى كل ما يعملونه ، فانه قد صح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا » وهو داعى الأمة الى كل هدى ، فله مثل أجورهم فى كل ما اتبعوه فيه ، وكذلك اذا صلوا عليه ،

---

(١) هذا من افراد مسلم ولم يخرجه البخارى .
(٢) رواه ابو داوود وغيره بسند ضعيف .

فان الله يصلى على أحدهم عشرا ، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له . فدلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى « الصحيح » أنه قال : « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، الا وكل الله به ملكا ، كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به : آمين ولك مثل ذلك » وفى حديث آخر : « أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » .

فالدعاء للغير ينتفع به الداعى والمدعو له ، وان كان الداعى دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعى والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك ، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو نبه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسئول فعل ما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه ، لكونه دعا اليه لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالى : ((**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**))(١) .

فأمره بالاستغفار ، ثم قال : ((**ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**))(٢) .

فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم اذ ذاك ، مما أمر الله به الرسول ، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به ، بل ما أمر الله به العبد أمر ايجاب أو استحباب ففعله ، هو عبادة لله ، وطاعة وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه ، واذا فعل ذلك كان من أعظم احسان الله اليه وانعامه عليه ، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للايمان .

والايمان : قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات ، وكلما ازداد العبد عملا للخير ، ازداد ايمانه .

(١) محمد : ١٩ (٢) النساء : ٦٤

هـذا هو الانعـام الحقيقى المذكور فى قوله : ((**صراط الذين انعمت عليهم**))(١) .

وفى قوله تعالى : ((**ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم**))(٢) .

بل نعم الدنيا بدون الدين ، هل هى من نعمه أم لا ؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم . والتحقيق أنها نعمة من وجه ، وان لم تكن نعمة تامة من وجه .

واما الانعام بالدين الذى ينبغى طلبـه ، فهو ما أمر الله به ، من واجب ومستحب ، فهو الخير الذى ينبغى طلبه باتفاق المسلمين ، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة ، اذ عندهم أن الله هو الذى أنعم بفعل الخير . والقدرية عندهم انما أنعم بالقدرة عليه الصالحة للضدين .

والمقصود هنا أن الله لم يأمر مخلوقا أن يسأل مخلوقا الا ما كان مصلحة لذلك المخلوق ، اما واجب ، أو مستحب ، فانه سبحانه لا يطلب من العبد الا ذلك . فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ، بل قد حرم على العبد أن يسأل العبد ماله الا عند الضرورة ، وان كان قصده مصلحة المـأمور ، أو مصلحته ومصلحة المـأمور ، فهذا يثـاب على ذلك ، وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المامور ، فهذا من نفسه أتى ومثل هذا السؤال لا يأمر الله تعالى به قط ، بل قد نهى عنه ، اذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته ، والله يأمرنا أن نعبـده ونرغب اليـه ، ويأمرنا أن نحسن الى عبـاده ، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا ، فلم يقصد الرغبة الى الله ودعاءه وهو الصلاة ، ولا قصد الاحسـان الى الخلق الذى هو الزكاة ، وان كان العبد لا يأثم بمثل هذا السؤال ، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد ، وما يؤذن له فيه ، ألا ترى أنه قال فى حديث السـبعين ألفـا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « أنهم لا يسترقون » وان كان الاسترقاء جائزا وهذا قد بسطناه فى غير هذا الموضع .

---

(١) الفاتحة : ٧ (٢) النساء : ٦٩

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه ، كالوسائط التى تكون بين الملوك والرعية ، فهو مشرك ، بل هـذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : انها تماثيل الأنبياء والصالحين ، وانها وسائل يتقربون بها الى الله ، وهـو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى ، حيث قال : « **اتخـذوا أحبارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون** »(١) .

وقال تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعـوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** »(٢) .

أى فليستجيبوا لى اذا دعوتهم بالأمـر والنهى ، وليؤمنوا بى ، أى أن أجيب دعاءهم بالمسـألة والتضرع . وقال تعـالى : « **فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب** »(٣) .

وقال تعالى : « **واذا مسـكم الضر فى البحر ضـل من تدعـون الا اياه** »(٤) .

وقال تعالى : « **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السـوء ويجعلكم خلفاء الأرض** »(٥) .

وقال تعالى : « **يسـأله من فى السـموات والأرض ، كل يوم هو فى شـأن** »(٦) .

وقد بين الله هذا التوحيد فى كتابه ، وحسم مواد الاشراك به حتى لا يخاف أحد أحدا غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل الا عليه .

وقال تعالى : « **فلا تخشوا الناس واخشـون ولا تشـتروا بآياتى ثمنا قليلا** »(٧) .

« **انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه** »(٨) .

أى يخوفكم أولياءه « **فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** »(٩) .

---

(١) التوبة : ٣١
(٢) البقرة : ١٨٦
(٣) الشرح : ٧ ، ٨
(٤) الاسراء : ٦٧
(٥) النمل : ٦٢
(٦) الرحمن : ٢٩
(٧) المـائدة : ٤٤
(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) آل عمران : ١٧٥

وقال تعالى : ((**الم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية**))(١) .

وقال تعالى : ((**انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله**))(٢) .

وقال تعالى : ((**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**))(٣) .

فبين أن الطاعة لله ورسوله .

وأما الخشية فله وحده ، وقال تعالى : ((**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله**))(٤) .

ونظيره قوله تعالى : ((**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**))(٥) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ، ويحسم عنهم مواد الشرك ، اذ هذا تحقيق قولنا « لا اله الا الله » فان الاله هو الذي تألهه القلوب ، بكمال المحبة والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والرجاء والخوف ، حتى قال لهم : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد » وقال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » . وقال : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وقال لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أنت لاق ، فلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك الا بشيء كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك الا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضا : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وانما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ، ورسوله » وقال : « اللهم لا تجعل قبري وثنا

---

(١) النساء : ٧٧ (٢) التوبة : ١٨
(٣) النور : ٥٢ (٤) التوبة : ٥٩
(٥) آل عمران : ١٧٣

يعبد » وقال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » وقال فى مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا •

وهذا باب واسع ، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شىء ومليكه ، فانه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سببا لانبات النبات قال الله تعالى : **« وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة »**(١) •

وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقضيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فان ذلك من الأسباب التى يرحمه الله بها ، ويثيب عليها المصلين عليه •

لكن ينبغى أن يعرف فى الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ، بل لابد معه من أسباب أخرى ، ومع هذا فلها موانع ، فان لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وان لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون الا أن يشاء الله •

الثانى : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشىء سبب الا بعلم ، فمن أثبت شيئا سببا بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلا ، مثل من يظن أن النذر سبب فى دفع البلاء وحصول النعماء •

وقد ثبت فى « الصحيحين » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال : « انه لا يأتى بخير ، وانما يستخرج به من البخيل » •

الثالث : أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شىء سببا الا أن تكون مشروعة ، فان العبادات مبناها على التوقيف ، فلا يجوز

---

(١) البقرة : ١٦٤

للانسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وان ظن أن ذلك سبب فى حصول بعض أغراضه .

ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وان ظن ذلك ، فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده اذا أشرك .

وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الانسان ، فلا يحل له ذلك ، اذا المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به . اذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها .

فما أمر الله به فمصلحته راجحة ، وما نهى عنه فمفسدته راجحة ، وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات .. والله أعلم .

والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



الرسالة الخامسة :

هـدية طيبـة
تـاليف
الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نسـتعين

الحمد لوليه ، والصلاة على نبيه .

سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن معنى : لا اله الا الله .

فأجاب بقوله : اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هى الفارقة بـين الكفر والاسلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها وهـم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ، ومعاداته ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا اله الا الله مخلصا » وفى رواية : « خالصا من قلبه » وفى رواية : « صادقا من قلبه » . وفى حديث آخر : « من قال : لا اله الا الله . وكفر بما يعبد من دون الله » . الى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .

فاعلم أن هذه الكلمة نفى واثبات ، نفى الالهية عما سـوى الله تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، فضلا عن غيرهم من الأولياء والصالحين .

اذا فهمت ذلك ، فتأمل هذه الألوهية التى أثبتها الله لنفسـه ، ونفاها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبـة من خـردل .

فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا : السر والولاية .

والاله معنـاه : الولى الذى فيـه السر . وهـو الذى يسمونه : الفقير والشيخ ، ونسـميه العامة : السيد ، وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنـون أ نالله جعـل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسـان يلتجى اليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم . ويجعلهم واسطة بينـه وبين الله . فالذى يزعم أهل الشرك فى زماننا أنهم وسـائط . هم الذين يسميهم الأولون : الآلهة . والواسطة : هو الاله . فقول الرجل : لااله الا الله ، ابطال للوسائط . واذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين :

الأول : أن تعرف أن الكفـار الذين قاتلهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيى ، ولا يميت ، ولا يـدبر الأمور الا الله وحـده ، كمـا قال تعـالى : **« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخـرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ، فسـيقولون الله »(١)** .

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهى أن تعرف أن الكفار شـاهدون بهذا كله ، ومقرون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسـلام ، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضـا يتصـدقون ، ويحجـون ، ويعتمرون ، ويتعبـدون ، ويتركون أشـياء من المحرمات خوفا من الله عز وجـل .

ولكن الأمر الثانى : هو الذى كفرهم ، وأحل دماءهم وأموالهم ، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية ، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى الا الله وحـده لا شريك له ، ولا يسـتغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ، ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، فمن استغاث بغيره فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقـد كفر ، ومن نـذر لغيره فقـد كفـر ، وأشباه ذلك .

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ، وعزير ،

---

(١) يونس : ٣١

وغيرهم من الأولياء . فكفروا بهذا ، مع اقرارهم بأن الله هو الخالق ، الرازق ، المدبر .

اذا عرفت هذا . عرفت معنى « لا اله الا الله » وعرفت أن من نجا[١] نبيا . أو ملكا . أو ندبه ، أو استغاث به . فقد خرج من الاسلام، وهذا هو الكفر الذى قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق ، الرازق ، المدبر ، ولكن هؤلاء الصالحين مقربون ، ونحن ندعوهم وتنذر لهم ، وتدخل عليهم ، وتستغيث بهم ، وتريد بذلك الوجاهة والشفاعة ، والا فنحن نفهم أن الله هو الخالق المدبر .

فقل : كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله ، فانهم يدعون عيسى وعزيرا ، والملائكة ، والأولياء ، يريدون ذلك كما قال تعالى :

« والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »[٢] .

وقال : **« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »**[٣] .

فاذا تأملت هذا تأملا جيدا ، عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية ، وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير ، وهم ينحون عيسى ، والملائكة . والأولياء ، يقصدونهم لأنهم يقربونهم الى الله ، ويشفعون عنده .

وعرفت أن من الكفار خصوصا النصارى ، منهم من يعبد الله الليل والنهار ، ويزهد فى الدنيا ، ويتصدق بما دخل عليه منها ، معتزلا فى صومعة عن الناس ، ومع هذا كافر عدو لله ، مخلد فى النار بسبب اعتقاده فى عيسى أو غيره من الأولياء ، يدعوه ، أو يذبح له ، أو ينذر له . تبين لك كيف صفة الاسلام الذى دعا اليه نبيك صلى الله عليه وسلم ، وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل . وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » .

---

(١) هكذا فى الاصل . ولعله يقصد (نحا) ، ونحا الشىء : قصده .
(٢) الزمر : ٣ (٣) يونس : ١٨

فالله الله يا اخواني : تمسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ، وأسه ورأسه ، شهادة أن لا اله الا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها ، واجعلوهم اخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم . وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قال : ما على منهم ، او قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا اخوانهم وأولادهم .

فالله الله ، تمسكوا لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى : **((وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا))**(١) .

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم اذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ، ولم يستغيثوا بهم ، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له ، واستغاثوا به وحده ، فاذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم ، وفيه زهد ، واجتهاد ، وعبادة . اذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله ، مثل معروف ، أو عبد القادر الجيلاني ، وأجل من هؤلاء ، مثل زيد بن الخطاب والزبير ، وأجل من هؤلاء ، مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله المستعان ، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت ، والكفرة والمردة : مثل شمسان ، وادريس ويونس وأمثالهم ، والله سبحانه أعلم .

الحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على خير خلقه محمدا وآله أجمعين .

---

(١) الاسراء : ٦٧ .

الرسالة السادسة :

اوثق عـــرى الايمـان

تاليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين .

اعلم أولا أيدك الله بتوفيقه ، أن أوثق عـــرى الايمـان : الحب في الله ، والبغض في الله ، وهذا وجهه في أهل بلد مرتدين ، أو بادية[1]، وهم بنو عم ، ويجيء لهم ذكـر عنـد الأمراء ، فيتسبب بالدفـع عنهم حميه دنيوية ، اما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسـلمين ، أو يشـير بكف المسلمين عنهم . هل يكون هذا موالاة نفاق ؟ أو يصـير كفـرا ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أويتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمـه ، وكذلك اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟ افتنا مأجورا .

فأقول : أولا : ان الله افترض على المؤمنين عـــداوة المشركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفـاة الأعراب الذين يعـرفون بالنفـــاق ، ولا يؤمنون بالله ورسـوله صلى الله عليـه وسلم ، وأمرهم بالجهـاد ، والاغلاظ عليهم بالقـول والفعل ، وتوعدهم باللعن والقتل ، كقـــوله : ((**ملعونين اين ما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا**))[2] .

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبـــر ان من تولاهم فهـو منهم ، وكيف يدعى رجل محبة الله وهـو يحب أعـداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أوليـاء من دون الله ؟ كما قيل :

تحب عـدوى ثم تزعـم أنني صديقك ان الود عنـك لعازب

وبالجملة : فالحب في الله ، والبغض في الله أصـل عظيم من أصول

---

(١) يريد الاعراب المنافقون . (٢) الاحزاب : ٦١ .

الايمان ، يجب على العبــد مراعاته ولهــذا جاء فى الحديث : « **أوثق** عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله » •

ولذلك أكثر الله من ذكره فى القـرآن ، قال تعــالى « **لا يتخــذ المؤمنون الكافرين أوليــاء من دون المؤمنين ، ومن يفعــل ذلك فليس من الله فى شىء ، الا أن تتقوا منهم تقاة** »(١) •

قال بعض المفسرين : نهــوا أن يولوا الكافرين ، كقــرابة بينهم ، أو صداقة قبل الاسلام ، أو غــير ذلك من الأسباب التى يتصادق بهــا ويتعاشر •

وقوله : « من دون المؤمنين » يعنى أن لكم فى مـــوالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار ، فلا تؤثروهم عليهم ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، أى ومن يتولى الكفــرة ، فليس من ولاية الله فى شىء يقع عليه اسم الولاية ، يعنى ، أنه منسلخ من ولاية الله رأسا • وهــذا أمر معقول ، فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان •

« **الا ان تتقوا منهم تقاة** » •

فرخص فى موالاتهم اذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم الا بذلك، وكانوا مقهورين لا يستطيعون اظهــار العــداوة لهم ، فحينئذ تجــوز المعاشرة الظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضــاء ينظر زوال المانع ، كما قال تعالى : « **الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** »(٢) .

قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل ، انما التقية باللســان ، وقال أيضا : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفــار ويتخذوهم وليجــة من دون المؤمنين ، الا أن يكون الكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفوهم فى الدين وذلك قوله : « الا أن تتقــوا منهم تقــاة » ذكره ابن جرير وابن أبى حاتم •

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطــانة من دونكم** »(٣) الآية • قال القرطبى : لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم •

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخــذوا اليهود والنصــارى**

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) النحل : ١٠٦
(٣) آل عمران : ١١٨

أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم))(١). الى آخر قوله : ((**فان حزب الله هم الغالبون**))(٢) .

قال حذيفة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر، لهذه الآية : ((**ومن يتولهم منكم فانه منهم**))(٣) .

قال مجاهد فى قوله تعالى : ((**فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم**))(٤) .

قال : المنافقون فى مصانعة اليهود ، ومداخلتهم واسترضاعهم أولادهم اياهم .

وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى : ((**اذلة على المؤمنين**))(٥) قال : أهل رقة على اهل دينهم ((**اعزة على الكافرين**)) وقال : اهل غلظة على من خالفهم فى دينهم . وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف .

وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء**))(٦) .

وقال تعالى : ((**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون**))(٧) والآية بعدها .

وقال تعالى : ((**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**))(٨) .

فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ، وأمر بالاغلاظ عليهم قولا وفعلا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية : ((**جاهد الكفار**)) بالسيف ((**والمنافقين**)) باللسان ((**واغلظ عليهم**)) قال : ذهب الرفق عنهم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ((**جاهد الكفار والمنافقين**)) ، قال : بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهر ، أى عابس متغير

---

(١) المائدة : ٥١ — (٢) المائدة : ٥٦
(٣) المائدة : ٥١ — (٤) المائدة : ٥٢
(٥) المائدة : ٥٤ — (٦) المائدة : ٥٧
(٧) المائدة : ٨٠ — (٨) التوبة : ٧٣

من الغيظ والبغض . ذكره ابن أبى حاتم ، وجاء ـ معناه فى حديث ـ مرفوع ، رواه البيهقى فى « الشعب » .

وقال تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم** »(١) . الآية . نفى سبحانه وتعالى الايمان عمن هذا شأنه ، ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم ، فضلا عن غيرهم .

وقال تعالى : « **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار** »(٢) .

قال ابن عباس : ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا . وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودوهم ، أو تصطنعوهم . ومعنى تصطنعوهم : أى تولوهم الأعمال ، كمن يولى الفساق والفجار .

وقال الثورى : ومن لاق لهم دواة ، أو برى لهم قلما ، أو ناولهم قرطاسا دخل فى هذا . قال بعض المفسرين : النهى فى الآية متناول للانحطاط فى هواهم ، والانقطاع اليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيى بزيهم ، ومد العين الى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله : « ولا تركنوا » والركون : هو الميل اليسير .

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** » الى قوله : « **فأولئك هم الظالمون** »(٣) .

وصح أن صدر هذه السورة نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة ، لما كتب الى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم .

وجاء فى تفسير قوله تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر** »(٤) الآية : انها فى ابى عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر ، كما رواه الطبرانى ، وابن أبى حاتم ، والحاكم وغيرهم .

وعن ابن جريج ، قال . حدثت أن أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم ، فصكه أبو بكر صكة سقط ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أفعلت يا أبا بكر » ؟ فقال : والله لو كان السيف

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) هود : ١١٣
(٣) الممتحنة : ١ ـ ٩ (٤) المجادلة : ٢٢

فربما مني لضربته ، فنزلت : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر** »(١) .

رواه ابن المنذر . وهذا والله أعلم في أول الاسلام ، فان أبا قحافة أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام ، وأبو بكر خرج مهاجرا من مكة ، ولم يعد اليها الا بعد الاسلام في عمره مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، ووالى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوحى الله الى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك الى فتعززت به ، فما عملت فيما لي عليك ؟ قال : يا رب .. وما لك علي ؟ قال : هل واليت لي وليا . أو عاديت لي عدوا » ؟

وقال تعالى : « **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** »(٢) .

فعقد تعالى الموالاه بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وان لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم ، وكذلك يقع فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر الا بالحب في الله ، والبغض في الله ، والمعاداة في الله والموالاة في الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحده ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، والآيات في هذا كثيرة .

وأما الأحاديث فروى أحمد عن البراء بن عازب : « أوثق عرى الايمان : الحب في الله والبغض في الله » . وفي حديث مرفوع : « اللهم لا تجعل للفاجر عندي يدا ولا نعمة ، فيوده قلبي ، فاني وجدت فيما

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) الانفال : ٧٣

اوحى الى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**)) رواه ابن مردويه وغيره .

عن أبى ذر مرفوعا : ((أفضل الأعمال الحب فى الله ، والبغض فى الله)) رواه أبو داود ، ورواه أحمد مطولا . وفى الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعا : ((المرء مع من أحب)) . وعن ابن مسعود مرفوعا : ((لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى)) رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن على مرفوعا : ((لا يحب رجل قوما الا حشر معهم)) رواه الطبرانى باسناد جيد قاله ابن المنذر ، وقد روى أحمد معناه : عن عائشة باسناد جيد أيضا عنها مرفوعا : ((الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا فى الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شىء من الجور ، أو تبغض على شىء من العدل . وهل الدين الا الحب فى الله ، والبغض فى الله)) ؟ قال الله تعالى : ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**))(١) الآية ، رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، فقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث : الحب على شىء من الجور وان قل ، والبغض على شىء من العدل وان قل من الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعا : ((لا تقولوا للمنافق سيد ، فانه ان يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل)) رواه أبو داوود ، والنسائى باسناد صحيح . ورواه الحاكم ولفظه : ((اذا قال الرجل للمنافق : يا سيدى فقد أغضب ربه عز وجل)) وقال : صحيح الاسناد .

وعن ابن مسعود مرفوعا : ((مثل الذى يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردى فى بئر ، فهو ينزع بذنبه)) رواه أبو داوود ، وابن حبان . قال ابن المنذر : ومعنى الحديث : أنه وقع فى الاثم ، وهلك البعير اذا تردى فى بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث فى ذلك كثيرة .

---

(١) آل عمران : ٣١ .

فصـــــل
فى ذكـر الآثار عن الســلف

وهى كثيرة ، فنذكر منها بعضها :

قال الله تعالى : ((**يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم**)) الى قوله : ((**ان الله عليم بذات الصدور**))(١) . والآية بعدها

قال ابن عباس فى الآية : رجال من المسـلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجـوار والحلف فى الجـاهلية ، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخـوف الفتنـة عليهم : ((**يا أيها الذين آمنـوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبـالا**)) قـال : هم المنافقـــون رواه ابن أبى حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قيل له : ان هاهنا غـلاما من أهل الحيرة ، حافظا . كاتبا فلو اتخذته كاتبا ؟ قال : قـد اتخـذت اذن بطانة من دون المؤمنين . رواه ابن أبى شيبة .

وعن الربيع . ((**لا تتخـذوا بطانة**)) **قال** : لا تستدخلوا المنافقـين تتولونهم دون المؤمنين . وفى ((تفسـير القرطبى)) فى الكلام على هذه الآية : نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلا ووليجا يفاوضونهم فى الآراء ، ويسـندون اليهم أمورهم ويقال : كل من كان على خـلاف دينك ومذهبك لا ينبغى أن تحادثه . قال :

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه   فكـل قرين بالمقارن يقتدى

وفى سنن أبى داوود عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : ((المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل)) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ((اعتبروا النـاس بأخدانهم)) . ثم بين المعنى الذى لأجـله ورد النهى عن المواصـلة . قال : وقد مر أبو موسى الأشعرى على عمر رضى الله عنـه بحسـاب . فدفعه الى عمر فأعجبه ، فقال لأبى موسى : أين كاتبك يقـرأ هذا الكتاب

---

(١) آل عمران : ١١٨ ، ١١٩ .

فى النفس ؟ فقال : انه لا يدخل المسجد . فقال : لم ؟ أجنب هو ؟ قال : انه نصرانى — قال : فانتهره — وقال : لا تدنهم وقد أقصاهم الله ، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله ، ولا تأمنهم وقد خونهم الله .

ومن كتاب الامام محمد بن وضاح ، قال : سئل[1] قال جاء فى الأثر : « من جالس صاحب بدعة فقد مشى فى هدم الاسلام » وقال الأوزاعى : كانت اسلافكم تشتد عليهم — أى على أهل البدع — ألسنتهم ، وتشمئز منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم .

وقال الحسن . لا تجالس صاحب بدعة ، فانه يمرض قلبك . وقال ابراهيم : لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم ، فانى أخاف أن ترتد قلوبكم . روى هذه الآثار ابن وضاح .

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : اعلم رحمك الله أن كلام السلف فى معاداة أهل البدع والضلالة . انتهى .

فاذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم فى معاداة أهل الضلالات ، ونهيهم عن مجالستهم . فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والسعى فى مصالحهم ، والذب عنهم ، وتحسين حالهم ، مع كونهم بين اثنتين : اما كافر أو منافق ، ومن بينهم بمعرفة الاسلام منهم قليل ، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم ، وهو معهم يحشر يوم القيامة . قال تعالى : ((**احشروا الذين ظلموا وازواجهم**))[2] الآية . وقال تعالى : ((**واذا النفوس زوجت**))[3] .

وقد تقدم الحديث : « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم » .

* * *

فصل

فى التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار ، وشدد فى ذلك ، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : أن من أحب قوما حشر معهم .

---

(١) هكذا فى الاصل ، ولعل سائلا سال عن صاحب البدعة .

(٢) الصافات : ٢٢ (٣) التكوير : ٧

ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل فى تلك الآيات وتعرض للوعيد بمسيس النار ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .

أحدها : التولى العام . الثانى : المودة والمحبة الخاصة . والثالث . الركون القليل . قال تعالى : ((**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا**))(١) .

فاذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مداهنتهم ومداراتهم . قال الله تعالى : ((**ودوا لو تدهن فيدهنون**))(٢) .

الخامس : طاعتهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالى : ((**ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا**))(٣) .

وقال تعالى : ((**ولا تطع كل حلاف مهين**))(٤) الآيات .

السادس : تقريبهم فى الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام .

السابع : مشاورتهم فى الأمور .

الثامن : استعمالهم فى أمر من أمور المسلمين ، أى أمر كان : امارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك .

التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين .

العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم .

الحادى عشر : البشاشة لهم والطلاقة .

الثانى عشر : الاكرام العام .

الثالث عشر : استئمانهم وقد خونهم الله .

---

(١) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥ — (٢) القلم : ٩

(٣) الكهف : ٢٨ — (٤) القلم : ١٠

الرابع عشر : معاونتهم فى أمورهم ولو بشىء قليل ، كبرى القلم ، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم •

الخامس عشر : مناصحتهم •

السادس عشر : اتباع أهوائهم •

السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم •

الثامن عشر : الرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيى بزيهم •

التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات وحكماء ، كما يقال للطاغوت : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعى علم الطب : الحكيم ، ونحو ذلك •

العشرون : السكنى معهم فى ديارهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين وسكن معهم ، فانه مثلهم » رواه أبو داوود •

اذا تبين هـذا ، فلا فرق فى هـذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم ، أو مع غيرهم ، كما فى آية المجادلة ، وحينئذ فالذى يتسبب بالدفع عنهم حمية اما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ، من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم ، خصوصا المرتدين ، ينبغى أن تكون الغلظة عليهم أشد من الكافر الأصلى ، لأن هذا عادى الله على بصيرة ، وعادى رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما عرف الحق ثم أنكره وعاداه والعياذ بالله ، فاذا كان من أعان ظالما ، فقد شاركه فى ظلمه ، فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟ ! واذا كان من أعان ظالما مسلما فى خصومة ظلم تكون عند حاكم ، شريكا للظالم ، فكيف بمن يعين الكفار ، ويذب عنهم عند الأمراء ؟!

واذا كان الحرامية الذين يأخذون أموال الناس • اذا بذلوا للأمير مالا على أن يكف عنهم . فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يسر الى الكفار المودة ؟ ويعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه ، كما نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وغيره ، لكن طرح النكال ان كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعى فى اسقاطه بالرأى

ونحوه حسن . وان كان عن مرتد ، فلا نعما لعشرته ولا كرامة . ويكفى في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصححه . عن ابن مسعود ، قال : لما كان يوم بدر جيء بالأسرى وفيهم العباس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تأمرون في هؤلاء الأسرى » ؟ فقال أبو بكر : قومك يا رسول الله وأهلك ، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم — وفي حديث أنس ، عن أحمد : ترى أن تعفو عنهم ، وتقبل منهم الفداء رجع الحديث الى ابن مسعود ، فقال عمر : يا رسول الله .. كذبوك ، وأخرجوك ، وقاتلوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر مثلك مثل ابراهيم عليه السلام ، قال : ((**فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم**))(١) .

ومثلك يا عمر كمثل نوح قال : ((**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**))(٢) .

أنتم عالة ، فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو بضرب عنق فأنزل الله : ((**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**))(٣) . الآيتين مختصرا .

وفي حديث أنس : فأنزل الله : ((**لولا كتاب من الله سبق**))(٤) الآية .

وفي حديث ابن عمر ، عن أبي نعيم : فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال : « كاد أن يصيبنا في خلافك شر » وفي رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب ما فلت الا عمر » .

فاذا كان هذا في رأى للصديق رضى الله عنه الذي اجتهد فيه ، ونصح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بمن يفعل ذلك حمية دنيوية لا لغرض دين ، ولا يقصد وجه الله بذلك ، بل لا يقصد الا الدنيا ؟ فان قيل : فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يذم أبا بكر على التشبيه ،

---

(١) ابراهيم : ٣٦ (٢) نوح : ٢٦
(٣) الأنفال : ٦٧ (٤) الأنفال : ٦٨

بل شبهه بابراهيم وعيسى ، وميكائيل عليهم السلام ، وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام .

قيل : المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة ، لا في خصوص هذه المسألة ، فان الصواب فيها مع عمر قطعا بكتاب الله ، ومع ذلك توعد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأى للصديق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ، فكيف بمن ينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويرى الكف عن القتال ، ويشير باسقاط النكال عنهم . من غير مسوغ شرعى ، بل مجرد المحبه الدنيوية . وأما من يشير بكف المسلمين عنهم ، فان كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول فى الاسلام أو دخلوا فيه ، أو واعده بالدخول فيه عن قريب ، وكان المصلحة فى تركهم قليلة ونحوه ، يجوز ذلك ، وان كان المراد بـه أن لا يتعرض المسلمون لهم بشىء لا بقتال ولا نكال واغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بعد الديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سهم أصاب وراميه (بذى سلم) من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم ان كانوا مرتدين ، فهذا عند الفقهاء مخطىء آثم ؛ لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين فى حال الردة ، خصوصا من تكرر منه الردة مرارا ، فانه لا يقصد بذلك فى هذا الزمان الا الاغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الاثم والعدوان ؛ ولهذا لما صار هذا الأمر سائغا عند بعض الناس انفتحت للبدوان أبواب الردة ، وأتوها مهطعين من كل وجه ، ولو كان هذا مصلحة فى بعض الأوقات رآها بعض الأمراء ، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد فى كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاة نفاق ، أم يكون كفرا ؟

فالجواب : ان كانت الموالاة مع مساكنتهم فى ديارهم ، والخروج معهم فى قتالهم ، ونحو ذلك ، فانه يحكم على صاحبها بالكفر ، كما قال تعالى : ((**ومن يتولهم منكم فانه منهم**))(١) .

وقال تعالى : ((**وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر**

---

(١) المائدة : ٥١

بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضـوا فى حديث غيره انكم اذن مثلهم))(١) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين ، وسكن معهم فانه مثلهم » وقال : « أنـا برىء من مسلم بين أظهر المشركين » رواهما أبوداوود .

وان كانت الموالاة لهم فى ديار الاسـلام اذا قـدموا اليهم ونحو ذلك ، فهذا عاص . آثم ، متعرض للوعيد ، وان كانت موالاتهم لأجـل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثـاله . وان كانت الموالاة لأجـل دينهم ، فهو مثلهم ، ومن أحب قومـا حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل فى قوله : حمية دنيوية ، يمكن هذا لابلاغ المحبة فى قلوبهم . والا فلو كان يبغضهم فى الله وما يعاديهم ، لكـان أقر شىء لعينه ما يسخطهم ، ولكن كما قال ابن القيم :

تحب أعداء الحبيب ، وتدعى حبا له ، ما ذاك فى امكـان

وأما قول السائل : فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟

فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شـاكا فى كفرهـم ، أو جاهلا به ، أو يقر بأنهم كفـرة هم وأشـباههم ، ولكن بقـدر على مواجهتهم وتفكيرهم . أو يقول : أقول : غيرهم كفـار ، لا أقـول : انهم كفار . فان كان شاكا فى كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ، فان شك بعد ذلك وتردد ، فانه كافر باجماع العلمـاء ، على أن من شك فى كفر الكفار فهو كافر .

وان كان يقر بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهـم فهو مداهن لهم ، ويدخـل فى قـوله تعالى : ((**ودوا لو تدهن فيدهنـون**))(٢) وله حكم أمثاله من أهل الذنوب .

وان كان يقول : أقول غيرهم كفار ، ولا أقول هم كفار ، فهـذا

---

(١) النسـاء : ١٤٠ (٢) القـلم : ٩

حكم منه باسلامهم ، اذ لا واسطة بين الكفر والاسلام ، فان لم يكونوا كفارا فهم مسلمون . وحينئذ فمن سمى الكفر اسلاما . أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر ، فيكون هذا كافرا .

وأما قوله : اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟

فالجواب : يجب عليك أن تنصحه وتدعوه الى الله سبحانه ، وتعرفه قبيح ما ارتكبه ، فان تاب فهذا هو المطلوب ، وان أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه ، ان كان كفرا فكافر ، وان كان معصية أو اثما فعاص آثم ، يجب الانكار عليه . وتأديبه وهجره وابعاده حتى يتوب ، وقد هجر النبى صلى الله عليه وسلم من تخلف عن غزوة واحدة ، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم ، فكيف بمن يوالى الكفار ، ويظهر لهم المودة ؟ ! وهذا ما نقلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله ، ابن الشيخ رحمه الله وعفا عنه .



الرسالة السابعة :

هذا سؤال أورده الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الأحساء ، فأجاب الشيخ العالم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبى بطين هذا الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم — دام فضلكم — فى تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهى ؟ وما معنى الاله ؟ وما معنى الطاغوت الذى أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين .. أما العبادة فى اللغة فهى من الذل : يقال بعير معبد : أى مذلل ، وطريق معبد : اذا كان مذللا ، وقد وطئته الأقدام ، وكذلك الدين أيضا من الذل . يقال : دنته فدان : أى أذللته فذل .

وأما تعريفها فى الشرع . فقد اختلفت عباراتهم فى تعريفها والمعنى واحد ، فعرفها طائفة بقولهم : هى ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى . وعرفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان الى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل فى العبادة . انتهى .

ومن عرفهـا بالحب مع الخضـوع ، فلأن الحب التـام مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له ، فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه . فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته .

فمحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة المـأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعـالى : ليس العبادة غير توحيد لمحبة . مع خصوع القلب والأركان :

والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض مالا يرتضى بجنان

ووفاقه نفس اتبـاعك أمره والقصد وجهالله ذىالاحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ، فمن أحب شيئا وخضع له . فقد تعبد قلبه له ، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلا محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة ، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر ، فمن خضع لانسان مع بغضـه له ، لم يكن عابدا له ، ولو أحب شيئا ولم يخضع له : لم يكن عابدا له ، كما يحب ولده وصديقه ولهـذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شىء . وأن يكون أعظم عنده من كل شىء ، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام الا الله سبحانه . اذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو افراد الله سبحانه بأنواع العبـادة المتقـدم تعريفها ، وهـو نفس العبادة المطلوبة شرعا ، ليس أحدهما دون الآخر ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد فى القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وأبى عن الاقرار به المشركون .

وأما العبادة من حيث هى ، فهى أعم من كونها توحيـدا عموما مطلقا ، فكل موحد عابد لله ؛ وليس كل من عبد الله يكون موحدا .

ولهذا يقال عن المشرك : أنه يعبد الله ، مع كونه مشركا . كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم : ((**افرايتم ما كنتم تعبدون . انتم وآباؤكـم الاقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين**))(١) .

---

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧

وقال عليه السلام : « **انني براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين** »(١) .

فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم ، فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه ، فان قيل : ما معنى النفى فى قوله سبحانه : « **ولا أنتم عابدون ما اعبد** »(٢) .

قيل : انما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد .

وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف فى « بدائع الفوائد » فقال لما انجز كلامه على سورة « **قل يا أيها الكافرون** » :

وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفى فى حقهم الا باسم الفاعل ، وفى جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ، وذلك — والله أعلم — لحكمة بديعة ، وهى أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفى كل وقت ، فأتى أولا بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ، ثم أتى فى هذا النفى بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت . فأفاد فى النفى الأول أن هذا لا يقع منى ، وأفاد فى الثانى أن هذا ليس وصفى ولا شأنى ، فكأنه قال : عبادة غير الله لا تكون فعلا لى ولا وصفا ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفى . وأما فى حقهم فانما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أى الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتا لكم ، وانما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة ، لم يشرك معه فيها أحدا ، وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وان عبدوه فى بعض الأحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : « **واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله** »(٣) اى اعتزلتم معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه . وكذا قول المشركين عن معبوديهم : « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** »(٤) .

فهم كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ، لم ينف عنهم الفعل

---

(١) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ (٢) الكافرون : ٣ ، ٥

(٣) الكهف : ١٦ (٤) الزمر : ٣

لوقوعه منهم ، ونفي الوصف ، لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد لله وان عبده ولا المستقيم على عبادته الا من انقطع اليه بكليته ، وتبتل اليه تبتيلا ، ولم يلتفت الى غيره . ولم يشرك به أحدا في عبادته ، وأنه ان عبده وأشرك به غيره فليس عابدا لله ولا عبدا له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التى هى أحد سورتى الاخلاص التى تعدل ربع القرآن ، كما جاء فى بعض السنن ، وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه الا من منحه الله فهما من عنده ، فله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وأما الاخلاص : فحقيقته أن يخلص العبد لله فى أقواله وأفعاله وارادته ونيته ، وهذه هى الحنيفية ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم التى أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهى حقيقة الاسلام : ((**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**))(١) .

وهى ملة ابراهيم التى رغب عنها فهو من أسفه السفهاء : ((**ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه**))(٢) .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الاخلاص للأعمال والأقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منها الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه .

ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد فى تصحيح نياتهم ، ويرون الاخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، ويعلل الأعمال وآفاتها ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وانما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الامام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

---

(١) آل عمران : ٨٥ (٢) البقرة : ١٣٠

وقال سفيان الثورى : ما عالجت شيئا أشد على من نيتى لأنها تتقلب على .

وقال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد .

وقال سهل بن عبد الله : ليس على النفس شيء أشق من الاخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء فى الدنيا الاخلاص ، وكم أجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ، لأن « الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجهى أو مطلق ؟ فقد قدمنا أن العبادة من حيث هى أعم من توحيد العبادة عموما مطلقا ، وأن العبادة المطلوبة شرعا هى نفس توحيد العبادة ، ودل كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص حيث قال :

فاواحد كن واحدا فى واحد — أعنى سبيل الحق والايمان
هذا وثانى نوعى التوحيد تو — حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبدا ولا — تعبد بغير شريعة الايمان
فتقوم بالاخلاص والايمان وا — احسان فى سر وفى اعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك — التوحيد كالركنين للبنيان

الى أن قال :

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا — د فلا يزاحمه مراد ثانى
والصدق توحيد الارادة هو بذ — ل الجهد لا كسلا ولا متوانى
والسنة المثلى لسالكها فتو — حيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله رحمه الله : والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد ، جعل الاخلاص أحد ركنى توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق بما ذكر وقال فى بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص .

فعرفنا — رحمه الله — أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص ، ولم يذكر الا عموما مطلقا .

وأما العموم الوجهى ، فالظاهر أن المراد به اذا كان أحد الشيئين أعم من وجه وأخص من وجه ، والعموم الذى بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة . والاخلاص مطلقا لا وجهى . وأما الاله فهو الذى تألهه القلوب بالمحبة ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة . والتوكل ، والاستغاثة ، والدعاء ، والذبح ، والنذر ، والسجود ، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو اله بمعنى مألوه ، أى معبود ، واجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله .

قال الجوهرى : أنه — بالفتح — الاهة ، أى عبد عبادة ، قال : ومنه قولنا : الله . وأصله اله على فعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه بمعنى معبود ، كقولنا : امام ، فعال بمعنى مفعول ، لأنه مؤتم به قال : والتأليه : التعبيد . والتأله : التنسك والتعبد . قال رؤبة : سبحن واسترجعن من تأله . انتهى .

وقال فى القاموس : أله الاهة وألوهة ، عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة . واختلاف فيه على عشرين قولا ، يعنى فى لفظ الجلالة قال : وأصله الاه بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبودا اله عند متخذه . قال والتأله : التنسك والتعبد . انتهى .

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بأنه المعبود . وانما غلط فى ذلك بعض أئمة المتكلمين ، فظن أن الاله هو القادر على الاختراع ، وهذه عظيمة وغلط فاحش ، اذا تصوره العامى العاقل تبين له بطلانه ، وكأنه هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين فى مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركى العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون . ومن أبعد الأشياء أن عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : وليس المراد بالاله هو القادر

على اختراع كما ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الألوهية هى القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا اله الا الله ، فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد . كما قال : **« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله »**(١) .

وقال تعالى : **« وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون »**(٢) الآيات .

وقال تعالى : **«وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون »**(٣) .

قال ابن عباس : تسألهم من خلق السموات والأرض ، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره !

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلص بمجرده عن الاشراك الذى هو أكبر الكبائر الذى لا يغفره الله ؛ بل لا بد أن يخلص لله الدين ، فلا يعبد الا اياه ، فيكون دينه لله . والاله هو المألوه الذى تألهه القلوب ، فهو اله بمعنى مألوه لا بمعنى آله . انتهى .

وقد دل صريح القرآن على معنى الاله ، وأنه هو المعبود كما فى قوله تعالى : **« واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه »**(٤) .

قال المفسرون : هى كلمة التوحيد : « لا اله الا الله » باقية فى عقبه ؛ أى ذريته .

قال قتادة : لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده . والمعنى جعل هذه المولاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية فى ذرية ابراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهى كلمة « لا اله الا الله » .

فتبين أن موالاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه ، هو معنى لا اله الا الله .

---

(١) لقمان : ٢٥ — (٢) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥

(٣) يوسف : ١٠٦ — (٤) الزخرف : ٢٦ — ٢٨

اذ تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها . كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ، فقد عبد ذلك الغير ، واتخذه الها ، وأشركه مع الله فى خالص حقه ، وان فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركا .

ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها ، فلو سمى الزنا والربا والخمر بغير أسمائها ، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك . ومن المعلوم أن الشرك انما حرم لقبحه فى نفسه ، وكونه متضمنا مسبة الرب . وتنقصه ، وتشبيهه بالمخلوقين ، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه ، كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين ، وتوقيرا لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن الزانى زان شاء أم أبى ، والمرابى مراب شاء أم أبى .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائرا مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم ، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبنى آدم قديما وحديثا ، أخرج لهم الشرك فى قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغير اسمه بتسميته اياه توسلا وتشفعا ونحو ذلك .. والله الهادى الى سواء السبيل .

وأما تعريف الطاغوت : فهو مشتق من طغا ، وتقديره طغوت ، ثم قلبت الواو ألفا . قال النحويون : وزنه فعلوت ، والتاء زائدة . قال الواحدى : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحدا وجمعا ، ويذكر ويؤنث ، قال تعالى : **« يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به »**(١) فهذا فى الواحد . وقال تعالى فى الجمع : **« والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات »**(٢) . وقال فى المؤنث : **« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها »**(٣) .

---

(١) النساء : ٦٠ . (٢) البقرة : ٢٥٧
(٣) الزمر : ١٧ .

قال : ومثله فى أسماء الفلك، يكون واحدا وجمعا، ومذكرا ومؤنثا. قال الليث وأبو عبيدة والكسائى وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، وقال الجوهرى : الطاغوت : الكاهن والشيطان وكل رأس فى الضلال . وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف : كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت : الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوى جدا ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم اليها ، والاستنصار بها . وقال الواحدى عند قول الله تعالى : ((**يؤمنون بالجبت والطاغوت**))(١) . كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت .

قال ابن عباس فى رواية عطية : الجبت : الأصنام ، والطاغوت تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم ، يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس . وقال فى رواية الوالبى : الجبت : الكاهن ، والطاغوت : الساحر . وقال بعض السلف فى قوله سبحانه : ((**يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت**))(٢) .

أنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم : حيى بن أخطب ، وانما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ، ولافراطهما فى الطغيان، واغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما فى معصية الله ، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ((**يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت**)).

لما ذكر ما قيل : انها نزلت فى طلب التحاكم الى كعب بن الأشرف، أو الى حاكم الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم الى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، فتحصل من مجموع كلامهم — رحمهم الله — أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس فى الضلال يدعو الى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضا كل من نصبه الناس للحكم

---

(١) النساء : ٥١ (٢) النساء : ٦٠

بينهم بأحكام الجاهلية المضـادة لحكم الله ورسوله ، ويشـمل أيضـا الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان الى عبـادة المقبورين وغيرهم بمـا يكذبون من الحكايات المضـللة ، الموهمة أن المقبور ونحـوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وأنه فعل كذا وكذا مما هـو كذب ، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من قصده ، فيوقعهم فى الشرك الأكبر وتوابعه . وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان ، فهو الطاغوت الأكبر .. والله سبحانه وتعالى أعلم .

وهذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبى بطين ، شكر الله سعيه .

* * *

الرسالة الثامنة :

هـــذه رســـالة
أسباب نجاة السول من السيف المسلول

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم علماء المسلمين فى رجل يقول : نحن نقول لا اله الا الله ولا تكفون عنا ، والكفار الأولون اذا قالوها كف عنهم ؟ وأنتم تقولون : انكم تقولونها وتشركون ، فما نقول حتى تكفوا عنا ؟ أفتونا مأجورين .

المسألة الثانية : هـل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهب واحـد من المذاهب الأربعة أم لا ؟ وما يجب عليه فى ذلك ؟ بينــوا لنا الجــواب رحمكم الله .

الحمد لله الذى جبل عباده على طبائع شتى ، فمنهم شاكر ، ومنهم كفور ، وجعلهم فريقين : فـــريق منهم يتقربون اليه بالذبح لغير الله ، والنذر للطواغيت ، وبالدف والطبل والزمور ، وفريق منهم يتقـربون اليه بتوحيده ، واقامة الصـلاة ، وايتاء الزكاة ، والصـوم ، وبالحـج المبرور ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مخلص فى توحيده غير شاك ولا كفور وأشهد أن محمدا عبـده ورسوله الذى أحيا به الملة الحنيفية حتى أضـاء الحق ، وتمزق الديجور ، صـلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان ، صلاة دائمـة الى يوم البعث والنشور ، وسلم تسليما .

أما بعد .. فالجواب عن المسألة الأولى وهى قـول السـائل : ما تقولون فى « لا اله الا الله » ؟ فنقول : « لا اله الا الله » هى كلمـة الاسلام ، وهى مفتاح دار السلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العـروة الوثقى ، وهى التى قامت بها الأرض والسموات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، ولأجلها جردت سـيوف الجهاد ، وهى محض حق الله على العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان ، وهى العمود الحامل للفرض والسنة ، ومن كان آخر

كلامه « لا اله الا الله » دخل الجنة ، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهي المنشور الذى لا يدخل الجنة أحد الا به ، والحبل الذى لا يصل الى الله الا من تعلق بسببه ، وبها انقسم الناس الى شقى وسعيد . ومقبول وطريد ، فهى وان كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال .

فاذا كان امام الحنفاء ، لم تحصل له قول : لا اله الا الله ، ولم تتم له المحبة والموالاة وهو امام المحبين الا بالمعاداة ، كما قال تعالى : ((**أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين**))(١) . فانه لا ولى الا يبرأ ، ولا ولاء لله الا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا اله الا الله ، كما قال تعالى : ((**واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه**))(٢) فأورثها امام الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها الأنبياء بعضهم لبعض .

فلما بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعا اليها ، أمره الله أن يبين هذين الركنين ، كما ذكر الله ذلك فى سورة « الاخلاص » أمره أن يقول : ((**قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون**)) .. الى قوله : ((**لكم دينكم ولى دين**)) (٣) .

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم الى قول : لا اله الا الله ، قالوا : ((**أجعل الآلهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب**))(٤) .

وكذلك ما جرى له صلى الله عليه وسلم مع عمه عند وفاته لما قال له : « يا عم .. قل : لا اله الا الله » وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية ، فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ عرفوا معناها ان فيها التولى والتبرع .

وكذلك صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يدعو أهل الكتاب اليها وهم يقولونها . قال تعالى : ((**قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء**

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧ (٢) الزخرف : ٢٦ — ٢٨
(٣) الكافرون : ١ — ٦ (٤) سورة ص : ٥

بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله))(١) الآية .

وفى « صحيح مسلم » عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قال لا اله الا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل » . فتبين بذلك خطأ المغرورين ، وبطلان حجة المبطلين . فان لا اله الا الله معناها كما تقدم النفى والاثبات . وحقيقتها الموالاة والمعاداة ، ثم لا بد مع ذلك من البغض والاعتزال للداعى والمدعو ، والعابد والمعبود مع الكفر بهم ، كما ذكر الله ذلك . قال تعالى : ((**قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٢) .

وكذلك ما جرى للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة ، وما جرى لسعد مع أمه رضى الله عنه . وكما ذكر الله ذلك أيضا عن الخليل عليه السلام مخبرا ، قال تعالى : ((**واعتزلكم وما تدعون من دون الله**))(٣) الآية . وقال تعالى مخبرا عن اهل الكهف : ((**واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله**))(٤) . فذكر الله عنهم فى هذه الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين ، واعتزلوهم قبل المعبودين ، فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان اذا كان علماؤهم لا يعرفون معناها كما عرف جهال الكفار ؟ ولا يعملون بمقتضاها وهى كلمة عليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، ونبه الله على فضلها ، وعظم شأنها أنبياؤه ورسله .

قال تعالى فى حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ((فاعلم أنه لا اله الا الله))(٥) .

أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة فى السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة ، وكذلك فى الحديث المشهور عنه صلى الله

(١) آل عمران : ٦٤
(٢) الممتحنة : ٤
(٣) مريم : ٤٨
(٤) الكهف : ١٦
(٥) محمد : ١٩.

عليه وسلم : « أن موسى قال : يا رب .. علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به ؟ قال : يا موسى .. قال : لا اله الا الله . قال يا رب .. كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله » .

فليتأمل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة ، وعظم أركانها فى المبتدى ، وفضلها وعظم شأنها فى المنتهى ، فاذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة فى البداية ، والتنبيه على فضلها ، وعظم شأنها فى النهاية مع سيد المرسلين ، وموسى الكليم عليهما السلام ، فما الظن بغيرهما ؟ والآيات والأخبار فى ذلك كثيرة معلومة ، وانما ذكرنا اشارة على ما قيدت به من القيود .

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشراح فى ذلك ، ولكن ما تسعه هذه الأوراق ومعناها الجامع : « لا اله » ، أى لا معبود فى الوجود بحق الا الله ، ولاجل هذا المعنى قال تعالى : **« الر ، كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . الا تعبدوا الا الله »**(١) . فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتابا محكما ، مفصلا ، ألا يعبدوا الا هو . وقوله : **« ان لا تعبدوا »**(٢) .

من : ارادة من أجل ألا تعبدوا الا الله ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضا هو معنى لا اله الا الله .

وأما الاله فأصله فى اللغة من الوله . يقال : وله الفصيل ، وأله الفصيل اذا اشتد حبه الى أمه ، فقلبت الواو همزة ، فالاله من تألهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ، وتوابع ذلك من التوكل والانابة والذبح والنذر والرغبة والرهبة والخشية والتوبة، فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف الا به .

وسر « لا اله الا الله » افراد الله بذلك كله وتوابعه ، والاله صفة تدور مع القصد ، فمن قصد بشىء من أنواع العبادة والتعظيم والتبرك فهو اله ، كما فى حديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى

(١) هود : ١ ، ٢ (٢) هود : ٢٦

الله عليه وسلم الى حنين ــ ونحن حدثاء عهد بكفــر ــ وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط فمررنا بسدرة أخرى ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنــا ذات انواط كما لهم ذات أنواط ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ــ ثلاثا ــ انها السنن قلتم ــ والذى نفسى بيده ــ كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « **اجعل لنــا الها كما لهم آلهــة** »(١) قال : « لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه .

ومن لوازم الاله الا يلجأ الا اليه ، ولا يطــاع الا أمره ، فهــذا هو تحقيق شــهادة أن لا اله الا الله ، فان المحقق هو المتيقن بقلبــه ، القائم بها قولا وفعلا . قال تعالى : « **والذين هم بشهاداتهم قائمــون** »(٢)

فلم يكن قائما بشهادته فى ظاهره وباطنه ، وفى قلبه وقالبه ، الا من كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كمــا ان حياة البدن بوجود الروح فيه ، فلا أنفع للعبد من اقباله على الله ، واشتغاله بذكره وتنعمه بتوحيده ، ومحبته وايثــاره لمرضاته . ويتفاوت فى ذلك الخلق تفاوتا عظيما ، حتى ان منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما فى حديث السبعين الألف ، ووصفهم صلى الله عليــه وسلم بأنهم : « الذين لا يســترقون ، ولا يكتــوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فأهل لا اله الا الله ، المحققون لها فى نعيم الدنيا ، وفى البرزخ ، وفى الآخرة فى الجنة ، وحرمهم الله على النار . وبقــدر ما ينقص العبد فى معرفتها ، والعمــل بها ، والثبــات عليها ، وتحقيق العمل بمقتضاها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط فى الدنيا الا من حقق هذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط فى الآخــرة بقدر سيرهم واستقامتهم ، فمعطى ومحروم ، والفضل بيــد الله ، نسأل الله الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتمة لنــا وللمسلمين عند الوفاة عليهــا برحمته انه أرحم الراحمين .

* * *

(١) الأعراف : ١٣٨ (٢) المعارج : ٣٣

فصـــل

وهنـا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ، فجوابه من ثلاثة أوجـه :

الوجه الأول : أن الله شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبين لنا الحكمة فى ذلك وموجبه ، وما يحصـل به الكف . قال تعـالى : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـة »**(١) . قال المفسرون : اى شرك **« ويكـون الدين كله لله »**(١) والدين اسم عام ، وهـو ما بعث الله به محمـدا صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : **« فاعبد الله مخلصـا له الدين . الا لله الدين الخـالص »**(٢) وقال تعالى : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »**(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به شيئا » ... **الحديث** .

الوجه الثانى : أن الله أمر بقتال المشركين كافة ، وبين لنـا ذلك قال تعـالى : **« فاقتـلوا المشركين حيث وجـدتموهم »** الى قـوله : **« فان تابـوا »** اى عن الشرك : **« واقامـوا الصـلاة وآتوا الزكـاة فخـلوا سبيلهم »**(٤) .

فبين سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الاسـلام الظاهرة ، وهى هذه الثلاثة الأركان كما ذكر الله فى الآية المتقـدمة فى قـوله تعـالى : **« وما أمـروا الا ليعبـدوا الله مخلصـين له الدين »** الى قوله : **« وذلك دين القيمة »**(٥) .

وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال : « أمـرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » .

وهذه الثلاثة الأركان أيضا أمر صلى الله عليه وسلم معاذا لمـا بعثه الى اليمن أن يدعو اليها ، ونبهه على الأهم فالأهم ، كما فى حديثـه ،

---

(١) الأنفال : ٣٩
(٢) الزمر : ٢ ، ٣
(٣) البينة : ٥
(٤) التوبة : ٥
(٥) البينة : ٥

وأخذ بذلك الخلفاء رضى الله عنهم ، فأبو بكر قاتل مانعى الزكاة وهم يقولون : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، وقاتلوا طوائف أهل الردة وهم يقولونها .

وهذا الذى ذكرنا هو الذى يجب به الكف عن قتال العامة اذا أقاموه كما تقدم .

الوجه الثالث : ما يجب به الكف عن الخاصة فى مثل هذا الزمان وغيره ، فهى الكلمة التى تفيد الفعل والترك ، كما فى حديث أبى معبد المقدام بن الأسود قال : قلت : يا رسول الله .. أرأيت ان لقيت رجلا من المشركين ، فاقتتلنا ، فضرب احدى يدى بالسيف ، ثم لاذ بشجرة فقال : أسلمت لله ، أأقتله ؟ قال : « لا ، فانك ان قتلته كان بمنزلتك ، وكنت بمنزلته قبل ذلك » متفق عليه .

والمعنى : أنه بمنزلتك معصوم الدم والمال ، وأنت بمنزلته ، أى مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا بمنزلته فى الدين ، والله أعلم .

فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قيدت به من القيود ، ولابد مع ذلك أن يكون بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فان اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلما كما ذكر الله ذلك وبينه فى كتابه ، فاذا كان الرجل مسلما وعاملا بالأركان ، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام فى غزوة تبوك : **((لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم))**(١) .

وقال تعالى فى حق الآخرين : **((ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم))**(٢) .

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان ؟ جعلوا التلفظ بها عادة وهذيانا ، والقعقعة بحروفها ، فهى عندهم الاسلام ، والايمان ، مع ما هدموه من التوحيد الذى هو حق لله ، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد والأوثان ، وضيعوا الفرائض وسائر الأركان ، وزين لهم ما ارتكبوه من التبدع والتنطع والعصيان ، الا أنهم يقولون : لا اله الا

---

(١) التوبة : ٦٦ (٢) التوبة : ٧٤

الله ، فما أحسن ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : « لا اله الا الله » سماها الله كلمة التقوى ، فجعلوها كلمة الفجور . وذكرنا عليها اشارة على طريق الايجاز والاختصار . خشية الاطالة .. والله المستعان .

وأما الذى يجب به الكف عن القتال ، فهو لابد من اقامة أعلام الاسلام الظاهرة المتقدمة فى الآيات المحكمات ، ذكرها الله بعد الأمر بالقتال ، وكذلك فى الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فبدأ بالتوحيد ، وترك الشرك ، ثم ذكر بعده : ((**واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**))(١) .

ثم ذكر بعد ذلك : ((**فخلوا سبيلهم**)) .

والنبى صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكره الثلاثة : « فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام » وفى بعض الآيات :

((**ويكون الدين كله لله**))(٢) .

وهذا الذى يجب به الكف ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وفعل سلف الأمة ، وهذا الذى عليه الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما الخاصة : فهو كما قدمنا يجب الكف اذا أظهر بقول أو فعل ما يدل على تركه دينه ودخوله فى الاسلام كما تقدم فى الحديث . وليس المراد بالجواب الخاصة ، انما يراد به العامة ، فاذا وجدت طائفة ممتنعة عن احدى الثلاثة المذكورة ، قوتلوا أما التوحيد الذى هو محض حق الله على العبيد ، أو الصلاة التى هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، أو الزكاة التى أجمع الصحابة رضى الله عنهم على قتال مانعيها . وكذلك أجمع العلماء أيضا على ذلك ، وتتبع ما ورد فى ذلك يطول ، اذ كل منصف ذكر ذلك ، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم الله ، وهذا مصرح به فى كتبهم ، ولو قالوا : « لا اله الا الله » لم يكف عنهم ، او عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضا ، ولكن : ((**من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**))(٣) .

* * *

(١) التوبة : ٥ (٢) الانفال : ٣٩

(٣) الكهف : ١٧

فصـــل

وأما المسألة الثانية ، هل يلزم الرجل أن يتبع مذهبا من المذاهب الأربعة أم لا ؟

فالجواب : أن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، كما ذكر الله ذلك فى آى القرآن ، وما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما أمر الله بذلك ، ودلت عليه السنة . وعلق الله النجاة والفلاح باتباعه صلى الله عليه وسلم ، وذكر الله ذلك فى كم موضع . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلا بعينه غيره صلى الله عليه وسلم ، وانقسم فى ذلك الناس أقساما ، وتحزبوا أحزابا ، وصار **« كل حزب بما لديهم فرحون »**(١) .

والاتباع والاقتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر الله عن الكفار : **« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »**(٢) .

وقال تعالى : **« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »**(٣) .

وقال تعالى : **« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا »**(٤) الآية .

وقال تعالى : **« يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا »**(٥) الآيـة .

النوع الثانى : ما ذكره الله عن أهل الكتاب فى تقليدهم ، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وهـذا أيضا يحرم على كل مسلم مشابهتهم .

---

(١) المؤمنون : ٥٣ — (٢) البقرة : ١٧٠
(٣) الزخرف : ٢٣ — (٤) المائدة : ١٠٤
(٥) الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧

قال أبو بكر فى « الجامع » باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتباع :

قال أبو عمر : قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد فى غير موضع من كتابه فقال : ((**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**))(١) .

وروى عن حذيفة رضى الله عنه وغيره قال : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا وحرموا عليهم فاتبعوهم .

وقال عدى بن حاتم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عنقى صليب . فقال : « يا عدى ! ألق هذا الوثن من عنقك » وانتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : ((**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**)) .

قال : فقلت يا رسول الله .. انا لم نتخذهم أربابا . قال : « بلى : أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ، ويحرمون ما أحل لكم فتحرمونه » ؟ فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . والحديث فى « المسند » و « الترمذى » مطولا .

وقال ابو البخترى فى قوله عز وجل : ((**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**))(٢) .

قال : أما انهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أن ليس بيننا وبين الناس اختلاف فى المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ، كما كان هذا هو الواقع من أهل الزمان ، وليس لهم حجة الا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون بأنهم ينتسبون الى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فان من انتسب الى شىء وليس عليه حقيقته ، لم ينفعه ذلك ، فان النصارى لم ينفعهم انتسابهم الى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم الى موسى .

---

(١) التوبة : ٣١ (٢) التوبة : ٣١

وقد قال الله تعالى لنبيه : ((**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**))(١) الى قوله : ((**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**))(٢) ثم بعد ذلك ((**أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم**))(٣) . الى قوله : ((**أفلا تذكرون**))(٤) . ولأن الله تعالى قال : ((**فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم**))(٥) .

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : جمع الله الطرق فى طريقين : اما هدى ، واما هوى ، وكذلك فى الآية المتقدمة : اما متبع لشريعته صلى الله عليه وسلم التى جعلها الله عليها ورضيها لعباده ، واما متخذ الهه هواه ، أعاذنا الله من الآراء المحدثة ، والأهواء المضلة .

وأما الأئمة رضى الله عنهم ، فهم أئمة الهدى ، اجماعهم حجة ، واختلافهم رحمة ، والدين وسط .

واختلف العلماء فى تقليدهم ، فطائفة نفوا لتقليد وأنكروه ، وقالوا : الناس أحد رجلين : اما عامى فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه ، ولا فائدة له فى لزوم مذهب معين ، فانه كالأمى الذى يدعى أنه يقرأ وليس بقارىء ، أو يدعى أنه يكتب وليس بكاتب ، فيدعى أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف .

والرجل الثانى فقيه ، فلا يصح له أن يقدم على شىء بغير حجة ولا دليل . والتقليد أمر ضرورى يباح عند الضرورة ، وطائفة — وهم أكثر الفقهاء — توسطوا فى ذلك لم يخرجوا عما قاله الأئمة رضى الله عنهم ، وهم عندهم أكفاء فى موارد النزاع ، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدهم من السنة ، كما بين ذلك شيخ الاسلام فى كتابه « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » . وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت ، تمسكوا بالسنة حيث بانت لهم واستنارت ، وهم أتباع الأئمة ، وهم أهل النجاة من هذه الأمة ، فان الأئمة رضى الله عنهم نهوا عن تقليدهم — وهو الواجب عليهم — الا فيما وافق السنة ، وهذا التقليد

---

(١) الجاثية : ١٨
(٢) الجاثية : ٢١
(٣) الجاثية : ٢٣
(٤) الجاثية : ٢٣
(٥) القصص : ٥٠

والاتباع هو النوع الثالث الممدوح ، لا كما تقدم . ولنذكر طرفا من مقالة الأئمة :

قال ابن القاسم : عن مالك قال : ليس كل ما قال رجل قولا — وان كان له فضل — يتبع عليه ، لقول الله عز وجل « **فبشر عبادى . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه** »(١) .

وقال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : هذا رأى ، فمن جاءنا برأى خير منه قبلناه . وقال : هل لأحد قول مع قول النبى صلى الله عليه وسلم ؟ وقال مالك رضى الله عنه : كل يؤخذ من قوله ويرد الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وقد صرح مالك رضى الله عنه بأن : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول ابراهيم النخعى أنه يستتاب ، فكيف من ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هو دون ابراهيم ومثله . وذكر البيهقى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدرى ، وقال رضى الله عنه : اذا صح الحديث فهو مذهبى ، الى غير ذلك عنه . وقال أبو داوود : قلت لأحمد : الأوزاعى هل هو أهل أن يقلد أم مالك ، قال: لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ، الا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذه . وفى لفظ : وخذ من حيث أخذوا . وقال رضى الله عنه : من قلة فقه الرجل أن يقلد فى دينه الرجال ، وتتبع ذلك يطول .

النوع الرابع من التقليد مذموم ، وهو الغلو فيه ، وتعلق به طائفة ، اذا التزموا مذهبا من المذاهب الأربعة ، قالو : لا يجوز مخالفته ، ولابد من اتباعه على كل حالة ، وجعلوا كل امام فى أتباعه بمنزلة النبى فى أمته ، وهذا تبديل للدين .

---

(١) الزمر : ١٧ ، ١٨

قال أحمد رضى الله عنه : عجيب لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأى سفيان ، والله يقول : **« فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »(١)** .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينة : اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى فقال : ما يبكيك ؟ قال : رياء ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم ، ما نهوهم عنه انتهوا ، وما أمروهم به ائتمروا . قال عبد الله بن المعتمر : لا فرق بين بهيمة تنقاد ، وانسان يقلد .

وقال ابن مسعود : لا يقلد أحدكم رجلا ، ان آمن آمن ، وان كفر كفر ، فانه لا أسوة فى الشر .

وقال أيضا رضى الله عنه : اغد عالما ، أو متعلما ولا تغد امعة فيما بين ذلك .

وروى عن على رضى الله عنه مثل ذلك . والكلام على هاتين المسألتين يطول ، وانما ذكرنا عليهما ما يتيسر مع التقصير ، لأنهما يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا أجبتم المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة .

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة . آخره . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

---

(١) النور : ٦٣

الرسالة التاسعة :

هـذه رسـالة
فى مقادير فىء الزوال
بسـم الله الرحمن الرحيم

اذا كان قبل النوروز بيومين فظـل الزوال ثلاثة أقـدام وثلث ، وفى اثنى عشر ظل الزوال أربعة أقدام وفى أربعة وعشرين ظل الزوال أربعة أقدام وربع • وفى ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف • وفى ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام • وفى الستين ظل الزوال ستة أقدام ونصف • وفى ثلاث وسبعين ظل الزوال سـبعة أقـدام • وفى ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف • وفى اثنين وتسعين ظل الزوال ثمانية أقدام الاربع • وفى مـائة وأحد عشر ظـل الزوال سبعة أقدام ونصف • وفى مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وثلث • وفى مائة وسبعة وعشرين ظـل الزوال سبعة أقـدام وربع • وفى مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام • وفى مائة وثمانيـة وأربعين ظل الزوال ستة أقدام ونصف • وفى مائة وثمانية وخمسـين ظل الزوال ستة أقدام • وفى مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسـة أقدام ونصف • وفى مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسـة أقدام • وفى مائة وأحد وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفى مائة وسـتة وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفى مائتين وأحد عشر ظـل الزوال ثلاثة أقدام • وفى مائتين وستة عشر ظل الزوال قدمان ونصف • وفى مائتين وسبعة وعشرين ظل الزوال قدمان • وفى مائتين واثنين وأربعين ظل الزوال قدم وثلث • وفى مائتين وست وأربعين ظل الزوال قـدم • وفى مائتين وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم • وفى مائتين وسبع وسـتين ظـل الزوال ثلث قدم • وفى مائتين وسبع وسـبعين يحتـاط للزوال بثلث قدم • وفى مائتين وواحد وثمانين بعدم ظهور ظل الزوال • وفى ثلاثمائة وواحد يحتاط للزوال بثلث قدم • وفى ثلاثمائة وثمانيـة عشر ظل الزوال ثلث قدم • وفى ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظـل الزوال

قدم • وفى ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قدمان • وفى ثلاثمائة وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلث •

اللهم انا نستعينك ونستهديك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك •

اللهم اياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق •

* * *

الرسالة العاشرة :

بســم الله الرحمن الرحيم
وبه نســتعين

كتــاب التوحيــد
الذى هو حق الله على العبيد

تــاليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وقول الله تعــالى : ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبــدون**))(١) . وقــوله : ((**ولقــد بعثنــا فى كل امــة رســـولا أن اعبــدوا الله واجتنبوا الطــاغوت**))(٢) الآية . وقوله : ((**وقضى ربك الا تعبــدوا الا اياه وبالوالدين احســانا**))(٣) . الآية .

وقوله : ((**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**))(٤) الآية .

وقـوله : ((**قــل تعــالوا أتل ما حــرم ربكم عليكم ، الا تشركوا بــه شــيئا**))(٥) الآيات .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصيــة محمد صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : ((**قــل تعالوا اتــل ما حـــــرم ربكم عليكم**)) ـ الى قـــوله ـ ((**وأن هـــــذا صراطى مستقيما ..**))(٦) الآية .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله » ؟ فقلت : الله ورســوله أعلم . قال : « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد

(١) الذاريات : ٥٦
(٢) النحل : ٣٦
(٣) الاسراء : ٢٣
(٤) النساء : ٣٦
(٥) الأنعام : ١٥١ ــ ١٥٣
(٦) الانعام : ١٥٣

على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » فقلت : يا رسول الله .. أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه فى « الصحيحين » .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة فى خلق الجن والانس .

الثانية : أن العبادة هى التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : ان من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : **((ولا انتم عابدون ما أعبد))(١)** .

الرابعة : الحكمة فى ارسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت ، ففيه معنى قوله : **((فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله))(٢)** الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها النهى عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات فى سورة الاسراء ، وفيها ثمانى عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : **((لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا))(٣)** وختمها بقوله : **((ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا))(٤)** . ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : **((ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة))(٥)** .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التى تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله تعالى بقوله : **((وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا))(٦)** .

---

(١) الكافرون : ٣ ، ٥ — (٢) البقرة : ٢٥٦
(٣) الاسراء : ٢٢ — (٤) الاسراء : ٣٩
(٥) الاسراء : ٣٩ — (٦) النساء : ٣٦

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه اذ أدوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الارداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الارداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم هذه المسألة .

* * *

بـاب

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : ((**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم**))(١) .

الآية . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على

---

(١) الانعام : ٨٢ .

ما كان من العمل » أخرجاه . ولهما فى حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » .

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال موسى : يا رب .. علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به . قال : قل يا موسى : لا اله الا الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

وللترمذى وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لاتشرك به شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » .

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التى فى سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة .

السادسة : أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول : « لا اله الا الله » وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الا الله .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات . مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عمارا .

الثانية عشرة : اثبات الصفات ، خلافا للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك اذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قـولـه فى حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله ، يبتغى بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمـــد عبدى الله ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .



بـــاب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : **« ان ابراهيم كان امـة قانتا لله حنيفـا ولم يك من المشركين »**(١) .

وقوله : **« والذين هم بربهم لا يشركون »**(٢) .

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ فقلت : أنا . ثم قلت : أمـا أنى لم أكن فى صلاة ، ولكنى لدغت ، قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت . قال : فماحملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبى ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية الا من عين أو حمة . قال : قد أحسن من انتهى الى ما سمع . ولكن حـدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الأمم ،

---

(١) النحل : ١٢٠ . (٢) المؤمنون : ٥٩

فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجـــل والرجلان ، والنبي وليس معه أحــد ، اذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقيل لي : هــذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب • ثم نهض فدخل منزله • فخاض النــاس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليــه وسلم فأخبروه ، فقال : « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقــام عكاشة بن محصن • فقال : ادع الله أن يجعــلني منهم • قال : « أنت منهم » ، ثم قام رجل آخـــر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم • فقال « سبقك بها عكاشة » •

فيه مســائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد •

الثانية : ما معنى تحقيقه •

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين •

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك •

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد •

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل •

السابعة : عمق علم الصــــحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك الا بالعمل •

الثامنة : حرصهم على الخير •

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية •

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى •

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، الصلاة والسلام •

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها •

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتى وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد فى القلة .

السادسة عشرة : الرخصة فى الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى الى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : قوله : « أنت منهم » علم من أعلام النبوة .

العشرون : فضيلة عكاشة .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

* * *

باب
الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(١) . وقال الخليل عليه السلام : **« واجنبنى وبنى ان نعبد الأصنام »**(٢) .

وفى الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فسئل عنه فقال : « الرياء » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » رواه البخارى . ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقى الله لا يشرك به شيء دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » .

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

---

(١) النساء : ٤٨   (٢) ابراهيم : ٣٥

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما فى حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الاكثر ، لقوله : ((**رب انهن اضللن كثيرا من الناس**))(١) .

العاشرة : فيه تفسير « لا اله الا الله » كما ذكره البخارى .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

* * *

باب

الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى : ((**قل هذه سبلى ادعوا الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعنى**))(٢) الآية .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذا الى اليمن قال له : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله — وفى رواية : الى أن يوحدوا الله — فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك . فأعلمهم أن

---

(١) ابراهيم : ٣٦ (٢) يوسف : ١٠٨

الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوك لذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه •

ولهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه • فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه فأرسلوا اليه ، فأتى به فبصق فى عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم » ، يدوكون : أى يخوضون •

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم •

الثانية : التنبيه على الاخلاص • لأن كثيرا لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه •

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض •

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة •

الخامسة : أن من قبح الشرح كونه مسبة لله •

السادسة : — وهى من أهمها — ابعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك •

السابعة : كون التوحيد أول واجب •

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شىء ، حتى الصلاة •

التاسعة : أن معنى : « أن يوحدوا الله » معنى شهادة : أن لا اله الا الله •

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب ، وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها •

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج •

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم •

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة •

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم •

الخامسة عشرة : النهى عن كرائم الأموال •

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم •

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب •

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء •

التاسعة عشرة : قوله : « لأعطين الراية » الخ • علم من أعلام النبوة •

العشرون : تفله فى عينيه علم من أعلامها أيضا •

الحادية والعشرون : فضيلة على رضى الله عنه •

الثانية والعشرون : فضل الصحابة فى دوكهم تلك الليلة عن بشارة الفتح •

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى •

الرابعة والعشرون : الأدب فى قوله : « على رسلك » •

الخامسة والعشرون : الدعوة الى الاسلام قبل القتال •

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا •

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما يجب عليهم » •

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى فى الاسلام •

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد •

الثلاثون : الحلف على الفتيا •

* * *

بـــاب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

وقوله تعالى : « **أولئك الذين يدعــون يبتغون الى ربهم الوســـيلة أيهم أقرب** »(١) الآية .

وقوله : « **واذ قال ابراهيم لأبيه وقـــومه انني براء مما تعبــدون الا الذى فطرنى** »(٢) الآية .

وقوله : « **اتخــذوا أحبـــارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** »(٣) الآية .

وقــوله : « **ومن النــاس من يتخـــذ من دون الله أندادا يحبــونهم كحب الله** » (٤) الآية .

وفى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليــه وسـلم أنه قال : « من قال « لا اله الا الله » وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل » وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها : وهى تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة .

منها آية الاسراء بين فيهـــا الرد على المشركين الذين يدعــون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهــل الكتاب اتخـذوا أحبــارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا الا بأن يعبدوا الهــا واحدا ، مع أن تفسيرها الذى لا اشــكال فيه طاعة العلماء والعبــاد فى المعصية ، لادعاؤهم اياهم .

ومنها قــول الخليل عليه الســلام للكفار : « **انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى** »(٥) .

فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكــر سبحانه أن هذه البراءة وهذه

---

(١) الاسراء : ٥٧
(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧
(٣) التوبة : ٣١.
(٤) البقرة : ١٦٥
(٥) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

الموالاة : هي تفسير شهادة لا اله الا الله . فقال : ((**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**))(١) .

ومنها آية البقرة : في الكفار الذين قال الله فيهم : ((**وما هم بخارجين من النار**))(٢) .

ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ، ولم يدخلهم في الاسلام ، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله ؟! فكيف بمن لم يحب الا الند وحده ؟! ولم يحب الله ؟!

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا اله الا الله » وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا اله الا الله » فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، لايحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيان ما أوضحه ، وحجة ماأقطعها للمنازع .

* * *

باب

من الشرك : لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : ((**قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره**))(٣) الآية .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال « ما هذا » ؟ قال : من الواهنة . قال : « انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ، فانك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبدا » رواه أحمد بسند لا بأس به . وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ،

(١) الزخرف : ٢٨ (٢) البقرة : ١٦٧
(٣) الزمر : ٣٨

ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » • وفى رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » • ولابن أبى حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلا فى يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله : « **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** »(١) •

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك •

الثانية : أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح • فيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر •

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة •

الرابعة : أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك الا وهنا » •

الخامسة : الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك •

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئا وكل اليه •

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك •

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك •

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة •

العاشرة : أن تعليق الودع على العين من ذلك •

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أى لا ترك الله له •

* * *

---

(١) يوسف : ١٠٦

بـاب
ما جاء فى الرقى والتمائم

فى « الصحيح » عن أبى بشير الأنصارى رضى الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، فأرسل رسـ ولا أن لا يبقين فى رقبـة بعير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه أحمـد وأبو داوود وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا : « من تعـلق شـيئا وكل اليه » رواه أحمد والترمذى .

التمائم : شىء يعلق على الأولاد من العين ، لكن اذا كان المعـلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضـهم لم يرخص فيـه ، وجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه .

الرقى : هى التى تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خـلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليـه وسلم من العـين والحمى .

والتولة : شىء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المـرأة الى زوجـها والرجل الى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لى رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « يا رويفع .. لعل الحياة تطول بك ، فأخبـر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظـم ، فان محمدا برىء منه » .

وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ، قال : « من قطـع تميمة من انسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع . وله عن ابراهيم قال : كـانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك.

الخامسة : أن التميمة اذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هى من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترا .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من انسان .

التاسعة : أن كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

* * *

باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : « **أفرأيتم اللات والعزى** »(١) الآيات .

عن أبى واقد الليثى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر .. انها السنن ، قلتم — والذى نفسى بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « **اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون** »(٢) لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

---

(١) النجم : ١٩ — ٢٢ (٢) الاعراف : ١٣٨

الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم اذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله : « الله أكبر .. انهـــا السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطلبـة بنى اسرائيل لما قالوا لموسى : « **اجعل لنا الها** »(١) .

التاسعة : أن نفى هذا ، من معنى « لا اله الا الله » مع دقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف الا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافا لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « انها السنن » .

الثامن عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنـا .

---

(١) الاعراف : ١٣٨

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبـادات مبناها على الأمـر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبـر ، أما « من ربك » ؟ فواضـح ، وأما « من نبيك » ؟ فمن اخبـاره بأنباء الغيب ، وأما « ما دينك » ؟ فمن قولهم : « **اجعل لنا الها** .. » الخ .

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

* * *

بـاب
ما جاء فى الذبح لغير الله

وقول الله تعـالى : « **قـل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـالمين . لا شريك له** »(١) الآيـة ، وقـوله : « **فصـل لربك وانحـر** »(٢) .

عن على رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والديه . لعن الله من آوى محدثا . لعن لله من غير منار الأرض » رواه مسـلم .

وعن طارق بن شهاد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب » . قـالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟! قال : « مـر رجلان على قـوم لهم صـنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحـدهما : قـرب . قال : ليس عندى شيء أقرب ، قالوا له : قـرب ولو ذبابا ، فقـرب ذبابا ، فخلوا سبيله ، فدخـل النار ، وقالوا للآخـر : قرب . قال : ما كنت لأقرب لأحـد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجـنة » رواه أحمـد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسـير : « **ان صلاتى ونسكى** » .

---

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) الكوثر : ٢

الثانية : تفسير « **فصل لربك وانحر** » .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه . ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى محدثا وهو يحدث شيئا يجب فيه حق لله فيلتجىء الى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهى المراسيم التى تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهى قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده ، بل فعله تخلصا من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ، ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه الا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذى دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافرا لم يقل : « دخل النار فى ذباب » .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

* * *

بـاب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : « لا تقم فيه أبدا » الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر ابلا ببوانة ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيد من أعيادهم » ؟ قالوا : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوف بنذرك ، فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داوود ، واسناده على شرطهما .

فيه مسائل :

الأولى تفسير قوله : « لا تقم فيه أبدا » .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر فى الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة الى المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه اذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لايجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر فى معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

بـــاب
من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ((**يوفون بالنــذر**))(١) ، وقوله : ((**وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه**))(٢) .

وفي « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

* * *

بـــاب
من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعـالى : ((**وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**))(٣) .

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحــل من منزله ذلك » رواه مسلم .

فيه مســائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

---

(١) الانســان : ٧ (٢) البقرة : ٢٧٠

(٣) الجن : ٦

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر ، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

* * *

باب
من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : ((**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو**))(١) الآية .

وقوله : ((**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه**))(٢) . الآية .

وقوله : ((**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة**))(٣) الآيتان .

وقوله : ((**أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء**))(٤) .

وروى الطبراني باسناده : أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انه لا يستغاث بى ، وانما يستغاث بالله عز وجل » .

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

---

(١) يونس : ١٠٦ ، ١٠٧ (٢) العنكبوت : ١٧
(٣) الأحقاف : ٥ (٤) النمل : ٦٢

الثـــانية : تفســـير قـــوله : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك »(١) •

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر •

الرابعـــة : أن أصلح النـــاس لو يفعله ارضـــاء لغيره صـــار من الظـــالمين •

الخامسة : تفسير الآية التى بعدها •

السادسة : كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرا •

السابعة : تفسير الآية الثالثة •

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغى الا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب الا منه •

التاسعة : تفسير الآية الرابعة •

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله •

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه •

الثـــانية عشرة : أن تلك الدعـــوة سبب لبغض المدعـــو للداعى وعداوته له •

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو •

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة •

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس •

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة •

الســـابعة عشرة : الأمر العجيب وهـــو اقرار عبـــدة الأوثان : أنه لا يجيب المضطر الا الله ، ولأجـــل هذا يدعونه فى الشـــدائد مخلصين له الدين •

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأديب مع الله عز وجل •

* * *

---

(١) يونس : ١٠٦

بـــاب

قـــول الله تعـــالى : « **ايشركون مالا يخلق شـــــيئا وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصرا** »(١) الآية .

وقوله : « **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير** »(٢) الآية .

وفى « الصحيح » عن أنس قال : شج النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » ؟ فنزلت : « **ليس لك من الأمر شيء** »(٣) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه ســـمع رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأســـه من الركوع فى الركعة الأخـــيرة من الفجر : « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله : « **ليس لك من الأمر شيء** »(٤) .

وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث ابن هشام ، فنزلت : « **ليس لك من الأمر شيء** » .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام رســـول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه : « **وانذر عشيرتك الاقربين** »(٥) .

قال : « يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا أغنى عنك من الله شـــيئا ، ويا فاطمة بنت محمـــد ، سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا » .

فيه مســـائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصـــة أحـــد .

---

(١) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢
(٢) فاطر : ١٣
(٣) آل عمران : ١٢٨
(٤) آل عمران : ١٢٨
(٥) الشعراء : ٢١٤

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون فى الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار . منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل الله عليه فى ذلك : ((**ليس لك من الأمر شىء**)) .

السابعة : قوله : ((**او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون**))(١) فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت فى النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لعنة المعين فى القنوت .

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه : ((**وانذر عشيرتك الاقربين**))(٢) .

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر ، بحيث فعل ما نسب بسببه الى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : « لا أغنى عنك من الله شيئا » حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا » فاذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الانسان أنه لا يقول الا الحق ، ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

* * *

بـــاب

قوله تعالى : ((**حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير**))(٣) .

---

(١) آل عمران : ١٢٨ (٢) الشعراء : ٢١٤
(٣) سبأ : ٢٣

وفى « الصحيح » عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك **« حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير »** .

فيسمعها مسترق السمع — ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض . وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته . حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى أخذت السموات منه رجفة — أو قال : رعدة شديدة — خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : **« قالوا الحق ، وهو العلى الكبير »**(١) .

فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . فينتهى جبريل بالوحى الى حيث أمره الله عز وجل » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصا من تعلق على الصالحين ، وهى الآية التى قيل : انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله : **« قالوا الحق ، وهو العلى الكبير »** .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

---

(١) سبأ : ٢٣ .

الخامسة : أن جبريل هو الذى يجيبهم بعد ذلك بقوله : « قال كذا وكذا » .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقوله لأهل السموات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشى يعم أهل السموات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى الى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا .

الثالثة عشرة : ارسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الانس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق فى بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه ولا بتلك الكلمة التى سمعت عن السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟ !

التاسعة عشرة : كونهم يلقى بعضهم الى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى (كانا) خوفا من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سجدا .

* * *

بـاب الشـفاعة

وقول الله تعالى : ((**وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع**))(١) .

وقوله : ((**قل لله الشفاعة جميعا**))(٢) .

وقوله : ((**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**))(٣) .

وقوله : ((**وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى**))(٤) .

وقوله : ((**قـل ادعـوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقـال ذرة فى السموات ولا فى الأرض**))(٥) الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله ، ولم يبق الا الشـفاعة ، فبين أنها لا تنفع الا لمن أذن له الرب ، كما قال تعـالى : ((**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**))(٦) .

فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون ، هى منتفيـة يوم القيـامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه يأتى فيسجد لربه ويحمده — لا يبدأ بالشفاعة أولا — ثم يقـال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع » .

وقال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسـول الله ؟ قال : « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » فتلك الشـفاعة لأهـل الاخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهـل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشـفع ليكرمه وينـال المقـام المحمود فالشفاعة التى نفـاها القرآن ما كان فيها شرك ولهـذا أثبت الشفاعة باذنه فى مواضع ، وقـد بين النبى صلى الله عليه وسلم أنهـا لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

---

(١) الأنعام : ٥١ — (٢) الزمر : ٤٤
(٣) البقرة : ٢٥٥ — (٤) النجم : ٢٦
(٥) سبأ : ٢٢ — (٦) الأنبياء : ٢٨

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة . ذكر الشفاعة الكبرى ، وهى المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولا بل يسجد ، فاذا أذن الله له شفع .

السادسة : من أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

* * *

باب

قول الله تعالى : « **انك لا تهدى من احببت** »(١) الآية .

وفى الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله ابن أبى أمية وأبو جهل ، فقال له : يا عم .. قل لا اله الا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله . فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فأعاد عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا اله الا الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل : « **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** »(٢) الآية .

وأنزل الله فى ابى طالب : « **انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** » .

---

(١) القصص : ٥٦ (٢) التوبة : ١١٣

فيه مسـائل :

الأولى : تفسير قوله : « انك لا تهـدى من احببت ولكن الله يهـدى من يشـاء »(١) .

الثانية : تفسير قوله : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يسـتغفروا للمشركين »(٢) الآية .

الثالثة : وهى المسألة الكبرى ـ تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « قل : لا اله الا الله » بخلاف ما عليه من يدعى العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى صلى الله عليـه وسلم اذ قال للرجل : « قـل لا اله الا الله » فقبح الله من أبو جهـل أعلم منه بأصل الاسلام .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته فى اسلام عمه .

السادسة : الرد على زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفـر له ، بل نهى عن ذلك .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين فى ذلك ، لاستدلال أبى جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالهـا لنفعتـه .

الثانية عشرة : التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين . لأن فى القصة أنهم لم يجـادلوه الا بها ، مع مبالغتـه صلى الله عليه وسلم وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها ، اقتصروا عليها .

* * *

(١) القصص : ٥٦ (٢) التوبة : ١١٣

بـــاب

ما جاء ان سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين

وقول الله عز وجل : « **يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم** »(١) .

وفى « الصحيح » عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : « **وقالوا لا تــذرن آلهتكم ولا تــذرن ودا ولا ســـواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** »(٢) .

قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصـــابا وسموها بأســـمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم ، عبدت » .

وقال ابن القيم : قال غير واحـــد من السلف : لمـــا ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... ولا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه ، ولمسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « اياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » . ولمسلم عن ابن مســـعود أن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا .

فيه مســـائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الاسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حـــدث على وجه الأرض أنه بشـــبهة الصالحين .

الثالثة : أول شىء غير به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم .

---

(١) النساء : ١٧١ (٢) نوح : ٢٣

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين . والثانى فعل اناس من أهل العلم والدين شيئا ارادوا به خيرا . فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التى فى سورة نوح .

السابعة : جبلة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه ، والباطل يزيد .

الثامنة : أن فيه شاهدا لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

التاسعه : معرفة الشيطان بما تئول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهى النهى عن الغلو ، ومعرفة ما يئول اليه .

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهى عن التماثيل ، والحكمة فى ازالتها .

الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة : وهى أعجب وأعجب : قراءتهم اياها فى كتب التفسير والحديث . ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح انهم لم يريدوا الا الشفاعة .

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته ايانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسخ العلم . ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

* * *

بـــاب
ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبـــده ؟

في الصحيح « عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح — أو العبد الصالح — بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصـــور . أولئك شرار الخـــلق عند الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها : قالت : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهـــو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصـــارى ، اتخـــذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صـــنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا ، أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبى صلى الله عليـــه وسلم قبل موته بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل ، فان الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخـــــذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » .

فقد نهى عنه فى آخر حياته — ثم انه لعن — وهو فى السياق من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها : خشى أن يتخذ مسجدا ، فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حـــول قبره مسجدا . وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كـــل موضع يصلى فيه يسمى مســـجدا ، كما قال صلى الله عليه وســـلم :

« جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم فى « صحيحه » .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح . ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهى عن التماثيل ، وغلظ الأمر فى ذلك .

الثالثة : العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا أولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه اياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره ايانا عن قبره .

الثامنة : العلة فى عدم ابراز قبره .

التاسعة : فى معنى اتخاذها مسجدا .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره فى خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف من الاثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة ، والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور . وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بلى به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : **الاشارة الى خلافته** .

* * *

بـــاب
ما جاء ان الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبـــد من دون الله

روى مالك فى « الموطأ » : أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشـتد غضب الله على قـوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله تعـالى : « **افرايتم اللات والعـزى** »[١] قال : كـان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره . وكذا قال أبو الجـوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لعن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، والمتخـذين عليها المسـاجد ، والسرج ، رواه أهل السنن[٢] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

السادسة : وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

---

(١) النجم : ١٩

(٢) قال ناصر الدين اسناده ضعيف . لكن للجملة الاولى والثانيـة شواهد كثيرة ذكرتها فى « تحذير الساجد » .

التاسعة : لعنه زوارات القبور .

العاشرة : لعنه من أسرجها(١) .

* * *

بـاب

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى : ((لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم))(٢) الآية .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على . فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » رواه أبو داوود باسناد حسن ، ورواته ثقات . وعن على بن الحسين : أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا على ، فان تسليمكم يبلغنى أين كنتم » رواه البخارى .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

---

(١) لكن الحديث فى ذلك ضعيف كما سبق آنفا ، وليس له شاهد يقويه كما بينته فى « ارواء الغليل » فيكفى فى النهى عن ذلك أنه اضاعة للمال وتشبيه بالكفار .

(٢) التوبة : ١٢٨

السادسة : حثه على النافلة فى البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة .

الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد . فلا حاجة الى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه .

* * *

باب
ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاوثان

وقول الله تعالى : ((**الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت (١) والطاغوت**))(٢) .

وقوله تعالى : ((**قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**))(٣) .

وقوله تعالى : ((**قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا**))(٤) .

عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : ((**فمن**)) ؟ — أخرجاه . ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ان الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة . وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وان ربى قال:

(١) الجبت : كل من عبد من دون الله ، والكاهن ، والساحر ، والسحر
(٢) النساء : ٥١ (٣) المائدة : ٦٠
(٤) الكهف : ٢١

يا محمد .. اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وانى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها . حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » ورواه البرقانى فى « صحيحه » وزاد : « وانما أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبد فئام من أمتى الأوثان ، وانه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خـاتم النبيين ، لا نبى بعـدى . ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خـذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : — وهى أهمها — : معنى الايمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع ؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها ، مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين .

السادسة : — وهى المقصود بالترجمة — أن هـذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة ، كما تقرر فى حديث أبى سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمـة فى جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجاب خروج من يدعى النبوة ، مثل المختـار ، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حـق وأن القرآن حق ، وفيه أن محمدا خاتم النبين ، ومع هذا يصـدق فى

---

(١) رواه بهذه الزيادة ابو داوود ايضـا بسند صحيح .

هذا كله مع التضاد الواضح . وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى. بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط الى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة . منها : اخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر . بخلاف الجنوب والشمال . واخباره بأنه أعطى الكنزين ، واخباره باجابة دعوته لأمته فى الاثنتين ، واخباره بأنه منع الثالثة ، واخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع اذا وقع ، واخباره باهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، واخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة ، واخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون فى العقول.

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

* * *

باب
ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى : ((**ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق**))(١) .

وقوله : ((**يؤمنون بالجبت والطاغوت**))(٢) .

قال عمر : « الجبت » : السحر ، « والطاغوت » : الشيطان وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، فى كل حى واحد .

---

(١) البقرة : ١٠٢   (٢) النساء : ٥١

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[1] . وعن جندب مرفوعا : « حد الساحر ضربه بالسيف » . رواه الترمذى ، وقال : الصحيح أنه موقوف . وفى « صحيح البخارى » عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وصح عن حفصة رضى الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت . وكذلك صح عن جندب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الانس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى .

السادسة : أن الساحر يكفر .

السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟ !

* * *

باب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت » .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

قال عوف : العيافة : زجر الطير . والطرق . الخط يخط بالأرض . والجبت . قال الحسن : رنة الشيطان . اسناده جيد ولأبى داوود والنسائى وابن حبان فى « صحيحه » المسند منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داوود ، واسناده صحيح .

وللنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه » .

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا هل أنبئكم ما العضة ؟ هى التميمة ، القالة بين الناس » رواه مسلم .

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من البيان لسحرا » .

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق .

الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : أن النميمة من ذلك .

السادسة : أن من ذلك بعض الفصاحة .

* * *

بـاب
ما جاء فى الكهان ونحوهم

روى مسلم فى « صحيحه » عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه بما يقول ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو داوود . وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » ولأبى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفا .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه مرفوعا : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » . رواه البزار باسناد جيد ، ورواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى .. » الى آخره .

قال البغوى : العراف : الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل . وقيل الذى يخبر عما فى الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس — فى قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون فى النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

بـــاب
ما جـاء فى النشرة

عن جابر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سـئل عن النشرة فقال : « هى من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد . وأبو داوود، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفى « البخارى » عن قتادة : قلت لابن المسـيب : رجل به طب أو يؤخـذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، انمـا يريدون به الاصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . اهـ .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر الا ساحر .

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان :

أحدهما : حل بسحر مثله ، وهـو الذى من عمل الشيطان . وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر الى الشـيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثانية : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال .

* * *

بـاب
ما جاء فى التطير

وقـول الله تعـالى : ((الا انمـا طـائرهم عنـد الله ولكن اكثرهـم لا يعلمون))(١) .

وقوله : ((قالوا طائركم معكم))(٢) الآية .

---

(١) الأعراف : ١٣١ (٢) يس : ١٩

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه : زاد مسلم : « ولا نوء ، ولا غول » .

ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل » قالوا : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » .

ولأبى داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك .. وما منا الا[1] ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أبو داوود ، والترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عمر : « ومن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك » . وله من حديث الفضل ابن العباس رضى الله عنهما : انما الطيرة ما أمضاك أو ردك .

فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على قوله : ((**ألا انما طائرهم عند الله**))[2] ، مع قوله : ((**طائركم معكم**))[3] .

الثانية : نفى العدوى .

الثالثة : نفى الطيرة .

الرابعة : نفى الهامة .

الخامسة : نفى الصفر .

---

(١) فى هذا الحديث حذف يعرف بالقرينة ، أى : الا ويقع فى نفسه شىء .

(٢) الأعراف : ١٣١ (٣) يس : ١٩.

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب •

السابعة : تفسير الفأل •

الثامنة : أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل •

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده •

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك •

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة •

* * *

بـاب
ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى « صحيحه » : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها • فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به • ا • هـ •

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه • ذكره حرب عنهما ، ورخص فى تعلم المنازل أحمد واسحاق •

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر » رواه أحمد وابن حبان فى « صحيحه » •

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة فى خلق النجوم •

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك •

الثالثة : ذكر الخلاف فى تعلم المنازل •

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر ولو عرف أنه باطل •

* * *

بـاب
ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون »(١) .

عن أبى مالك الأشـعرى رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب . والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » . وقال : « النائحة ان لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليهـا سربال من قطران ودرع من جرب » . رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : صلى لنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سـماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هـل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمتـه ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى ، مؤمن بالكواكب » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيـه ، قال بعضهم : لقـد صدق : نوء كـذا وكـذا . فانزل الله هـذه الآية : « فلا أقسـم بمواقـع النجوم »(٢) إلى قوله : « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون »(٣) .

فيه مسـائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر فى بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة : قوله : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر » بسبب نزول النعمة .

---

(١) الواقعة : ٨٢ (٢) الواقعة : ٧٥
(٣) الواقعة : ٨٢

السادسة : التنطن للايمان فى هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر فى هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله : « لقد صدق نوء كذا وكذا » .

التاسعة : اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

العاشرة : وعيد النائحة .

* * *

بـاب

قول الله تعالى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله »**(١) الآية . وقوله : **« قل ان كـان آباؤكم وابناؤكم »** الى قوله : **« احب اليكم من الله ورسوله »**(٢) لآية .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه.

ولهما عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعـود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » وفى رواية « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى .. » الى آخره .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من أحب فى الله ، وأبغض فى الله . ووالى فى الله ، وعـادى فى الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصـومه حتى يكون كذلك . وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجـدى على اهله شيئا ، رواه ابن جـرير . وقال ابن عباس فى قوله تعالى : **« وتقطعت بهم الأسباب »**(٣) قال : المودة .

---

(١) البقرة : ١٦٥

(٢) التوبة : ٢٤

(٣) البقرة : ١٦٦

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم (وتقديمها) على النفس والأهل والمال .

الرابعة : أن نفى الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله الا بها ، ولا يجد أحد طعم الايمان الا بها .

السابعة : فهم الصحابى للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير : « **وتقطعت بهم الأسباب** »(١) .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية(٢) أحب اليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا تساوى محبته محبة الله ، فهو الشرك الأكبر .

* * *

باب

قول الله تعالى : « **انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** »(٣) .

وقوله : « **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله** »(٤) الآية .

---

(١) البقرة : ١٦٦

(٢) يشير بذلك الى قوله تعالى : « **قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم ...** » التوبة ، ٢٤ .

(٣) آل عمران : ١٧٥ (٤) التوبة : ١٨

وقوله : **« ومن النـــاس من يقول آمنا بالله ، فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله »**(١) الآية .

عن أبى سعيد رضى الله عنه مرفوعا : « ان من ضـــعف اليقين : أن ترضى الناس بســخط الله ، وأن تحمـــــدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، ان رزق الله لا يجـره حــرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره » .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من التمس رضى الله بســخط الناس ، رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بســخط الله ، ســخط الله عليـه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان فى « صحيحه » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث(٢) .

السادسة : أن اخلاص الخوف لله من الفرائض

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

* * *

---

(١) العنكبوت : ١٠ .

(٢) يقصد حديث أبى سعيد المتقدم

بـــاب

قول الله تعالى : ((**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**))(١) .

وقــوله : ((**انما المؤمنون الذين اذا ذكـــر الله وجـلت قلوبهم**))(٢) الآية .

وقــوله : ((**يا ايها النبى حســبك الله ومن اتبعـك من المؤمنين**))(٣)

وقــوله : ((**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**))(٤) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**))(٥). قالها ابراهيم صلى الله عليــه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالهـا محمد صلى الله عليه وســلم حين قالوا له : ((**ان الناس قــد جمعــوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**))(٦) .

رواه البخارى والنسائى .

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الايمان .

الثالثة تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة(٦) ، وأنها قول ابراهيم ومحمــد صلى الله عليهما وسلم فى الشدائد .

* * *

---

(١) المــائدة : ٢٣

(٢) الانفال : ٢

(٣) الانفال : ٦٤

(٤) الطلاق : ٣

(٥) آل عمران : ١٧٣

(٦) وهى : ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**))

بـــاب

قول الله تعـــالى : ((افامنوا مكر الله ، فلا يامن مكر الله الا القـــوم الخاسرون))(١) .

وقوله : ((ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون))(٢) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر . فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنـــه قال : « أكبر الكبائر : الاشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمـــة الله ، واليأس من روح الله » رواه عبد الرزاق .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

* * *

بـــاب

من الايمان بالله الصـــبر على اقدار الله

وقول الله تعالى : ((ومن يؤمن بالله يهد قلبه))(٣) .

قال علقمة : هـــو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عنـــد الله ، فيرضى ويسلم .

وفى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت » . ولهما عن ابن مســـعود مرفوعا : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

---

(١) الاعراف : ٩٩ (٢) الحجر : ٥٦

(٣) التغابن : ١١

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا . واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذى .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الايمان بالله .

الثالثة : الطعن فى النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة ارادة الله بعبده الخير .

السادسة : ارادة الله به الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء .

* * *

باب

ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى : ((**قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد**))(١) الآية .

وعن أبى هريرة مرفوعا : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى غيرى تركته وشركه » . رواه مسلم .

---

(١) الكهف : ١١٠ .

وعن أبى سعيد مرفوعا : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيخ الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « الشرك الخفى ، يقوم الرجل فيصلى ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل » . رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم فى رد العمل الصالح اذا دخله شيء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل اليه .

* * *

بـاب

من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : ((**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها**)) (١) الآيتين .

فى « الصحيح » عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة(٢) ، تعس عبد الخميلة(٣) ، ان أعطى رضى ، وان لم يعط

---

(١) هـود : ١٥ ، ١٦

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٣) الخميلة : القطيفة ، والثوب المخمل ، كالكساء .

سخط . تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش(١) . طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة . ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » .

فيه مسائل :

الأولى : ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والخميصة والقطيفة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تعس وانتكس » .

السادسة : قوله : « واذا شيك فلا انتقش » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

* * *

بـاب

من اطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما احـل الله او تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم اربابا من دون الله

وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟ !

وقال الامام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »(٢) .

---

(١) أى اذا أصابته شوكة فلا يقدر على اخراجها بالمناقيش ، وهى جملة دعائية .

(٢) النور : ٦٣

أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنــة : الشرك ، لعــله اذا رد بعض قوله ان يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك .

عن عدى بن حاتم : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هــذه الآية : « **اتخــذوا أحبــارهم ورهبــانهم اربابا من دون الله** » الآية . فقلت له : انا لسنا نعبدهم قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ؟ » فقلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » رواه أحمد ، والترمذى وحسنه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التى أنكرها عدى .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الخامسة : تغير الأحوال الى هذه الغاية ، حتى صـار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال ، وتسـمى الولاية . وعبادة الأحبار ، هى العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين .

* * *

بــاب

قول الله تعالى : « **الم تر الى الذين يزعمــون انهم آمـنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطـاغوت وقـد أمـروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا** »(٢) الآيات .

وقوله : « **واذا قيــل لهم لا تفســدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون** »(٣) .

وقوله : « **ولا تفســدوا فى الأرض بعــد اصلاحها**»(٤) الآية .

وقوله : « **افحكم الجاهلية يبغون** »(٥) الآية .

---

(١) التوبة : ٣١ — (٢) النساء : ٦٠

(٣) البقرة ١١ — (٤) الاعراف : ٥٦

(٥) المائدة : ٥٠

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » قال النووى : حديث صحيح ، رويناه فى كتاب « الحجة » بإسناد صحيح .

وقال الشعبى : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم الى محمد — لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة — وقال المنافق : نتحاكم الى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكما اليه ، فنزلت : **« ألم تر الى الذين يزعمون .. »**(١) الآية .

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : الى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا الى عمر ، فذكر له أحدهما القصة . فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت .

الثانية : تفسير آية البقرة : **« واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض »**(٢) .

الثالثة : تفسير آية الاعراف : **« ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها »**(٣) .

الرابعة : تفسير : **« أفحكم الجاهلية يبغون »**(٤) .

الخامسة : ما قاله الشعبى فى نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

(١) النساء : ٦٠ . (٢) البقرة : ١١
(٣) الاعراف : ٥٦ (٤) المائدة : ٥٠ .

بـــاب
من جحد شيئا من الأسماء والصـــفات

وقول الله تعالى : ((**وهم يكفرون بالرحمن**))(١) الآية ».

وفى « صحيح البخارى » قال على : « حـــدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس : أنه رأى رجلا انتفض — لما ســـمع حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصفات ، استنكارا لذلك — فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه » انتهى .

ولما سمعت قريش رســـول الله صلى الله عليـــه وســـلم يذكـــر : « الرحمن » أنكروا ذلك . فأنزل الله فيهم : ((**وهم يكفرون بالرحمن**))(٢).

فيه مسائل :

الأولى : عدم الايمان بجحد شىء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحدث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة أنه يفضى الى تكذيب الله ورســـوله ، ولو لم يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك . وأنه هالكه .

* * *

بـــاب

قول الله تعـــالى : ((**يعـــرفون نعمـــة الله ثم ينكـــرونها وأكثرهم الكافرون**))(٣) .

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالى ، ورثته عن آبائى.

---

(١) الرعـــد : ٣٠ (٢) الرعـــد : ٣٠
(٣) النحل : ٨٣

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو العباس — بعد حديث زيد بن خالد الذى فيه : « ان الله تعالى قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ... » الحديث ، وقد تقدم — وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ، ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وانكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام انكارا للنعمة .

الرابعة : اجتماع التضدين فى القلب .

* * *

بـاب

قول الله تعالى : « فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون »(١) .

قال ابن عباس فى الآية : الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتى . وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلانا هذا كله به شرك » رواه ابن أبى حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد كفر — أو أشرك — » رواه

---

(١) البقرة : ٢٢

الترمذى وحسنه ، وصــححه الحاكم . وقال ابن مســعود : لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا .

وعن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وســلم قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شــاء فلان » رواه أبو داوود بسند صحيح .

وجاء عن ابراهيم النخعى ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك . قال : ويقــول : لولا الله ثم فــلان . ولا تقولوا : لولا الله وفلان .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة فى الأنداد .

الثانية : أن الصحابة رضى الله عنهم يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه اذا حلف بغــير الله صــــادقا ، فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين « الواو » و « ثم » فى اللفظ .

* * *

بــاب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمــر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، ومن حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض . ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بســند حسن .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

* * *

بـاب
قـول ما شـاء الله وشـئت

عن قتيلة ، أن يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وسـلم فقال : انكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشـئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائى وصححه .

وله أيضا عن ابن عباس : أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » .

ولابن ماجـه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال : رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود ، قلت : انكم لأنتم القـوم ، لولا أنكم تقـولون : عزير ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القـــوم ، لولا أنكم تقـولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفـر من النصارى فقلت : انكـم القوم ، لولا أنكم تقـولون : المسيـــح ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شـاء الله وشـاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبى صلى الله عليـه وسلم فأخبرته . قال : « هل أخبرت بها أحـدا » ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد .. فان طفيلا رأى رؤيا ، أخبر بهـا من أخبر منكم ، وأنكم قلتم كلمـة كان يمنعنى كذا وكذا أن أنهـاكم عنهـا . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهم الانسان اذا كان له هوى .

الثالثة : قـــوله صلى الله عليه وسـلم : « أجعلتنى لله ندا » ؟ فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به سـواك ... والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هـــذا ليس من الشرك الأكبر ، لقـوله : « يمنعنى كذا وكذا » .

الخامسة : أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام .

* * *

بـاب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : « **وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيـا نموت ونحيـا وما يهلكنا الا الدهر** »(١) الآية .

فى « الصحيح » عن أبى هـريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : يؤذينى ابن آدم ، يسـب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفى رواية : « لا تسـبوا الدهر ، فان الله هـو الدهـر » .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن سب الدهر .

الثانية : تسميته أذى لله .

الثالثة : التأمل فى قوله : « فان الله هو الدهر » .

الرابعة : أنه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه .

* * *

بـاب

التسـمى بقاضى القضاة ونحـوه

فى « الصحيح » عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « ان أخنع اسم عند الله ، رجـل تسـمى ملك الأملاك ، لا مالك الا الله » قال سفيان : مثل « شاهان شاه » .

وفى رواية : « أخنع » يعنى أوضع .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن التسمى بملك الأملاك .

---

(١) الجاثية : ٢٤

الثانية : التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه •

الرابعة : التفطن أن هذا الاجلال لله سبحانه •

* * *

بــاب
احترام اسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبى شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو الحكم ، واليه الحكم » ، فقال : ان قومى اذا اختلفوا فى شىء أتونى ، فحكمت بينهم ، فرضى كلا الفريقين • فقال : « ما أحسن هذا ! فما لك من الولد » ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله • قال فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح ، قال : « فأنت أبو شريح » رواه أبو داوود وغيره •

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه •

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك •

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية •

* * *

بــاب
من هزل بشىء فيه ذكر الله او القرآن او الرسول

وقــول الله تعــالى : « **ولئن سـألتهم ليقولن انما كنـا نخـوض ونلعب** »(١) الآية .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة — دخل حديث بعضهم فى بعض — : أنه قال رجل فى غـزوة تبوك : ما رأينـا

---

(١) التوبة : ٦٥

مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء — فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله .. انما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عنا الطريق . فقال ابن عمر : كأني انظر اليه متعلقا بنسعة[1] ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحجارة تنكب رجليه — وهو يقول : انما كنا نخوض ونلعب — فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**))[2] ما يلتفت اليه وما يزيده عليه .

فيه مسائل :

الأولى : وهي العظيمة ، أن من هزل بهذا فهو كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

* * *

بـــاب

ما جاء في قول الله تعالى : ((**ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي**))[3] الآية .

قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي .

---

(١) النسع جمع نسعة : وهو سير عريض تشد به الرحال .

(٢) التوبة : ٦٥ — (٣) فصلت : ٥٠ .

وقوله : ((**قال انما أوتيته على علم عندى**))(١) . قال قتادة : على علم منى بوجوده المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أنى له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان ثلاثة من بنى اسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى . فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث اليهم ملكا ، فأتى الابرص ، فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس (به) قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الابل — أو البقر — شك اسحاق — فأعطى ناقة عشراء ، وقال بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال شعر حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس (به)(٢) فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطى شعرا حسنا . فقال : أى المال أحب اليك ؟ قال : البقر — أو الابل — فأعطى بقرة حاملا ، قال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله الى بصرى ، فأبصر به الناس ، فمسحه ، فرد الله اليه بصره ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الغنم . فأعطى شاة والدا ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم انه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيرا اتبلغ به فى سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا ، فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال : وأتى الأقرع فى صورته ،

---

(١) القصص : ٧٨

(٢) كلمة (به) ليست فى « الصحيحين » هنا ولا فيما بعدها ، ولعلها تفسير .

فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هـذا ، فقـال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت • وأتى الأعمى فى صورته ، فقـال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك • أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بهـا فى سفرى • فقال : كنت أعمى فرد الله الى بصرى ، فخـذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله • فقال : أمسك مالك ، فانما ابتليتم فقـد رضى الله عنك ، وسـخط على صـاحبيك » أخرجـاه •

فيه مسـائل :

الأولى : تفسير الآية •

الثانية : ما معنى : ((**ليقولن هذا لى**))(١) .

الثالثة : ما معنى قوله : ((**أوتيته على علم عندى**))(٢) •

الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة •

* * *

بـــاب

قول الله تعـالى : ((**فلمـا آتاهمـا صـالحا جعلا له شركاء فيمـا آتاهمـا**))(٣) الآية .

قال ابن حـزم : اتفقـوا على تحريم كل اسـم معبـد لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب(٤) .

وعن ابن عباس فى الآية قال : لمـا تغشاها آدم حملت : فأتاهمـا ابليس فقال : انى صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة ، لتطيعـانى أو لأجعلن له قرنى أيـل : فيخرج من بطنك فيشـقه ، ولأفعلن ولأفعلن ــ يخوفهما ــ سـمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتـا • ثم حملت ، فأتاهما ، فقال مثل قوله ، وأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتـا • ثم حملت ، فأتاهمـا ، فذكر لهمـا ، فأدركهمـا حب الولد ، فسـمياه

---

(١) فصلت : ٥٠ . (٢) القصص : ٧٨

(٣) الأعراف : ١٩٠ .

(٤) أى لم يتفقوا بل اختلفوا على تحريم هذا الاسم .

عبد الحارث فذلك قوله تعالى : ((**جعلا له شركاء فيما آتاهما**))
رواه ابن أبى حاتم •

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء فى طاعته ، ولم يكن فى عبادته . وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله : ((**لئن آتيتنا صالحا**))(١) •

قال : أشفقا أن لا يكون انسانا ، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما •

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله •

الثانية : تفسير الآية •

الثالثة : أن هذا الشرك فى مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها •

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية ، من النعم •

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك فى الطاعة ، والشرك فى العبادة •

* * *

باب

قول الله تعالى : ((**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه**))(٢) الآية .

ذكر ابن ابى حاتم عن ابن عباس : ((**يلحدون فى اسمائه**)) يشركون • وعنه : سموا اللات من الاله ، والعزى من العزيز ، وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها •

فيه مسائل :

الأولى : اثبات الأسماء •

الثانية : كونها حسنى •

---

(١) الأعراف : ١٨٩ (٢) الأعراف : ١٨٠

الثالثة : الأمر بدعائه •

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين •

الخامسة : تفسير الالحاد فيها •

السادسة : وعيد من ألحد •

* * *

بـــــاب
لا يقال : السلام على الله

فى « الصحيح » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا اذا كنـا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قلنـا : السـلام على الله من عبـاده • السلام على فـلان ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا السلام على الله ، فان الله هو السلام » •

فيه مســائل :

الأولى : تفسير السلام •

الثانية : أنه تحيــة •

الثالثة : أنها لا تصلح لله •

الرابعة : العلة فى ذلك •

الخامسة : تعليمهم التحية التى تصلح لله •

* * *

بـــــاب
قول : اللهم اغفر لى ان شئت

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رســول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « لا يقول أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له » • ولمسلم : « وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء أعطاه » •

فيه مسـائل :

الأولى : النهى عن الاستثناء فى الدعاء .

الثانية : بيان العلة فى ذلك .

الثالثة : قوله يعزم المسألة .

الرابعة : اعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

* * *

بـــاب
لا يقول عبـدى وأمتى

فى « الصحيح » عن أبى هـريرة أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضىء ربك . وليقل سيدى ومولاى . ولا يقل أحدكم : عبدى وأمتى . وليقـل : فتـاى وفتـاتى وغلامى » .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن قول : عبدى وأمتى .

الثانية : لا يقول العبد : ربى ، ولا يقال له : أطعم ربك .

الثالثة : تعليم الأول قول : فتاى وفتاتى وغلامى .

الرابعة : تعليم الثانى قول : سيدى ومولاى .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ .

* * *

بـــاب
لا يرد من سـأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فأعيـذوه ، ومن سـأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبـوه ، ومن

صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه ، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داوود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الأولى : اعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : اعطاء من سأل بالله .

الثالثة : اجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .



بـــــاب
لا يسئل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسئل بوجه الله الا الجنة » رواه أبو داوود .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسئل بوجه الله الا غاية المطالب .

الثانية : اثبات صفة الوجه .

* * *

بـــــاب
ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : « **يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا** »(١) .

---

(١) آل عمران : ١٥٤

وقـوله : ((**الذين قالوا لاخـوانهم وقعـدوا لو اطاعونا ما قتلوا**))(١) الآيـة .

في ((الصحيح)) عن أبي هريرة ، أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قال : ((احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن .. وان أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قـدر الله وما شاء فعل ، فان ((لو)) تفتح عمل الشيطان)) .

فيه مسـائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول ((لو)) اذا أصابك شيء .

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الارشاد الى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

* * *

بـــاب

النهي عن سب الريـح

عن أبي بن كعب رضي الله عنـه ، أن رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم قال : ((لا تسـبوا الريح ، فاذا رأيتم ما تكرهـون فقـولوا : اللهم انا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمـرت به ، ونعوذ بك من شر هـذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمـرت بـه)) . صححه الترمذي .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سبب الريح .

---

(١) آل عمران : ١٦٨

الثانية : الارشاد الى الكلام النافع اذا رأى الانسان ما يكره .

الثالثة : الارشاد الى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

* * *

بـــاب

قول الله تعالى : ((**يظنــون بالله غير الحق ظن الجاهليــة ، يقولون هــل لنا من الأمر من شيء ، قــل ان الأمــر كله لله**))(١) الآيــة . وقــوله : ((**الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء**))(٢) الآية .

قال ابن القيم في الآيــة الأولى : فسر هــذا الظن بأنه ســبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفسر أن ما أصــابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بانكار الحكمة ، وانكار القدر ، وانكــار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله . وهــذا هو ظن الســوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وانما كان هــذا ظن السوء . لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمتــه وحمــده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يديل الباطــل على الحق ادالة مســتقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليهــا الحمــد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا .

((**فويل للذين كفروا من النار**))(٣) .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيمــا يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وأســماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفســه بهذا ، وليتب الى الله ويســتغفره من ظنــه بربه ظن الســوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتــاً على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كــذا وكــذا فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

---

(١) آل عمران : ١٥٤ — (٢) الفتح : ٦

(٣) سورة ص : ٢٧

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة ، والا فانى لا أخالك ناجيـا .

فيه مسـائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر .

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك الا من عرف الأسـماء والصفـات وعرف نفسـه .

* * *

بـــــاب

ما جاء فى منكرى القـدر

وقال ابن عمر : والذى نفس ابن عمر بيده : لو كان لأحدهم مثـل أحد ذهبا ، ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقـدر . ثم استـدل بقول النبى صلى الله عليـه وسلم : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبـه ، ورسله ، واليوم الآخـر ، وتؤمن بالقـدر خيره وشره » رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بنى .. انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطـأك لم يكن ليصيبك ، سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول ما خلق الله القلم ، فقـال له : اكتب . فقـال : رب .. وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقـادير كل شىء حتى تقوم السـاعة » يا بنى .. سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « من مات على غـير هـذا فليس منى » .

وفى رواية لأحمـد : « أن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » .

وفى رواية لابن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ... فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » .

وفى « المسند » و « السنن » عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى ابن كعب ، فقلت : فى نفسى شىء من القدر ، فحدثنى بشىء لعل الله يذهبه من قلبى ، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . حديث صحيح رواه الحاكم فى « صحيحه »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الايمان به .

الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الاخبار بأن أحدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة الى قيام الساعة .

السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف فى ازالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم نسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

* * *

باب

ما جاء فى المصورين

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

---

(١) أى فى « مستدركه » .

ولهما عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله » .

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها فى جهنم » .

ولهما عنه مرفوعا : « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ » .

ولمسلم عن أبى الهياج قال : قال لى على : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة الا طمستها ، ولا قبرا مشرفا الا سويته .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد فى المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرة أو شعيرة » .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفسا يعذب بها فى جهنم .

السادسة : أن يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها اذا وجدت .

* * *

بـــــاب
ما جاء فى كثرة الحلف

وقول الله تعالى : ((واحفظوا أيمانكم))(١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجـاه .

وعن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « ثلاثـة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم : أشـيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشترى الا بيمينـه ولا يبيع الا بيمينه » رواه الطبرانى بسند صحيح .

وفى « الصحيح » عن عمـران بن حصـين رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « خـير أمتى قـرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ــ قال عمران : فلا أدرى اذكر بعـد قـرنه مرتين أو ثلاثا ؟ ــ ثم ان بعـدكم قوما يشـهدون ولا يستشـهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وفيه عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خـير النـاس قـرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثـم يجىء قـوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

قال ابراهيم : كانوا يضربوننا على الشـهادة والعهد ونحن صغار .

فيه مســائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشترى الا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثنــاؤه صلى الله عليـه وسلم على القـرون الثلاثة ، أو الأربعة ، وذكر ما يحدث بعده .

---

(١) المـائدة : ٨٩

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون على الشهادة والعهد .

* * *

بـــــاب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى : **« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها »**(١) الآية .

عن بريدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، فقال : « اغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فاسألهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه ، واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك . فانك لا تدرى : أتصيب حكم الله فيهم أو لا » ؟ رواه مسلم .

---

(١) النحل : ٩١

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية : الارشاد الى أقل الأمرين خطرا .

الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله فى سبيل الله » .

الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السابعة : كون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى أيوافق حكم الله أم لا ؟

* * *

بـــاب
ما جاء فى الاقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان ؟ انى قد غفرت له وأحبطت عملك » رواه مسلم .

وفى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته .

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التألى على الله .

الثانية : كون النار أقرب الى أحدنا من شراك نعله .

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ... » الخ .

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور اليه .

* * *

بـــــاب
لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال : جـاء أعـرابى الى النبى صلى الله عليـه وسلم فقال : يا رسول الله .. نهكت الأنفس ، وجاع العيـال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فانا نسـتشفع بالله عليك وبك على الله . فقـال النبى صلى الله عليـه وسـلم : « سـبحان الله ! سـبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجـوه أصحابه ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، اتدرى ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يسـتشفع بالله على أحـد من خلقـه » وذكـر الحديث . رواه أبو داوود .

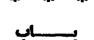
فيه مسـائل :

الأولى : انكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيرا عرف فى وجوه أصحابه من هذه الكلمـة .

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : « نستشفع بك على الله » .

الرابعة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .



بـــــاب
ما جاء فى حماية النبى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبـد الله بن الشـخير ، قال : انطلقت فى وفـد بنى عامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنـا : أنت سـيدنا ، فقال : « السـيد الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقـال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داوود بسند جيد .

وعن أنس رضى الله عنـه ، أن ناسـا قالوا : يا رسـول الله .. يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس ..

قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة : قوله : « ولا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا الا الحق .

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

* * *

باب

ما جاء في قول الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة »(١) الآية .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد .. انا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم **« وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة »** الآية .

وفي رواية لمسلم : « والجبال والشجر على اصبع ، ثم يهزهن ، فيقول : انا الملك ، أنا الله » وفي رواية للبخاري : « يجعل السموات على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع » أخرجاه .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين

---

(١) الزمر : ٦٧

المتكبرون ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » ؟

وروى عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع والأرضون السبع فى كف الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ، أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثنى أبى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع فى الكرسى الا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس » . قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض » .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شىء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قاله الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق . وعن العباس ابن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون كم بين السماء والأرض » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماعة السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شىء من أعمال بنى آدم » أخرجه أبو داوود وغيره(١) .

---

(١) ولكن ذكر أن المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة ، لا خمسمائة ، رواه أحمد بلفظ (خمسمائة) كما فى الكتاب وفى سند الحديث مجهول ، وهو علته ، وليست العلة ابن أبى ثور كما ظن السيد رشيد رضا فانه قد توبع ، كما بينه الشيخ أحمد شاكر فى التعليق على المسند ١٧٧٠ و١٧٧١ ، ولكنه خفيت علة الحديث الحقيقية فصححه .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير قوله : ((**الأرض جميعا قبضته يوم القيامة**))(١) .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يأولوها .

الثالثة : أن الحبر لما ذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم صدقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السموات فى اليد اليمنى ، والأرضين فى اليد الأخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله : « كخردلة فى كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسى بالنسبة الى السموات .

العاشرة : عظم العرش بالنسبة الى الكرسى .

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسى والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء الى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والعرش .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسى والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

---

(١) الزمر : ٦٨

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذى فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .



الرسالة الحادية عشرة :

حكم موالاة أهل الاشراك

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله ان الانسان اذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، فانه كافر مثلهم ، وان كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الاسلام والمسلمين . هذا اذا لم يقع منه الا ذلك ، فكيف اذا كان فى دار منعة ، واستدعى بهم ، ودخل فى طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعدما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله ؟! فان هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستثنى من ذلك الا المكره ، وهو الذى يستولى عليه المشركون فيقولون له : اكفر ، أو افعل كذا ، والا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا فى الدنيا ؟ !

وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده .

الدليل الأول : قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم »(١) .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم ، ويشهد أنهم على حق . ثم قال تعالى : **« قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير »(١)** وفى الآية الأخرى : **« انك اذن لمن الظالمين »(٢)** .

فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يوافقهم على دينهم ظاهرا من غير عقيدة القلب ، لكن خوفا من شرهم ومداهنة ، كان من الظالمين ، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم ؟! فانهم لا يرضون الا بذلك .

---

(١) البقرة : ١٢٠ (٢) البقرة : ١٤٥

الدليل الثاني : قوله تبارك وتعالى : ((**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**))(١) .

فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم ان استطاعوا ، ولم يرخص فى موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة ، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد ، فان مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فانه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟! فاذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ، عرفت أن الذين يأتون اليهم يسارعون فى الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأنهم كفار مرتدون .

والدليل الثالث : قوله تبارك وتعالى : ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة**))(٢) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وان كانوا خائفين منهم ، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله فى شىء ، أى لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة فى الآخرة ، الا أن تتقوا منهم تقاة ، وهو أن يكون الانسان مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم ، فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر ، استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله ، فما جعل الله الخوف منهم عذرا ، بل قال تعالى : ((**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**))(٣) .

الدليل الرابع : قوله تعالى : ((**يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**))(٤) .

---

(١) البقرة : ٢١٧
(٢) آل عمران : ٢٨
(٣) آل عمران : ١٧٥
(٤) آل عمران : ١٤٩

فأخبر تعالى أن المؤمنين ان أطاعوا الكفار فلابد أن يردوهم على أعقابهم عن الاسلام ، فانهم لا يقنعون منهم بدون الكفر ، وأخبر أنهم ان فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين فى الدنيا والآخرة ، ولم يرخص فى موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم ، وهذا هو الواقع ، فانهم لا يقنعون ممن وافقهم الا بشهادة أنهم على حق ، واظهار العداوة والبغضاء للمسلمين ، وقطع اليد منهم . ثم قال : ((**بل الله مولاكم وهو خير الناصرين**))(١) .

فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين ففى ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار ، فياحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ، ونشأوا فيه ، ودانوا به زمانا ، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين ، وخير الناصرين ، الى ولاية القباب وأهلها ، ورضوا بها بدلا عن ولاية من بيده ملكوت كل شىء ؟! بئس للظالمين بدلا .

الدليل الخامس : قوله تعالى : ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**))(٢) .

فأخبر تعالى أنه لا يستوى من اتبع رضوان الله ، ومن اتبع ما يسخطه ، ومأواه جهنم يوم القيامة . ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الانسان من أهلها ، من رضوان الله ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله ، فلا يستوى عند الله من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات ، وكان مع المشركين . فان قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتم . وأيضا فما جعل الله الخوف عذرا فى اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه وكثير من أهل الباطل انما يتركون الحق خوفا من زوال دنياهم والا فيعرفون الحق ويعتقدونه ، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : ((**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا**))(٣) .

---

(١) آل عمران : ١٥٠ . (٢) آل عمران : ١٦٢
(٣) النساء : ٩٧

أى فى أى فريق كنتم ، أفى فريق المسلمين ، أم فى فريق المشركين ؛ فاعتذروا عن كونهم ليسوا فى فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم : **((ألم تكن أرض الله الواسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا))**(١) .

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفى فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت فى أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون الى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأنزل الله فيهم هذه الآية . فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الاسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا فى طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم ، والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم فى ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعا لا كرها ، واختيارا لا اضطرارا ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحا بالوطن ، وخوفا من الكفار ، وخرجوا فى جيشهم مكرهين خائفين .
فان قال قائل : هلا كان الاكراه على الخروج عذرا للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذرا ، لأنهم فى أول الأمر لم يكونوا معذورين اذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالاكراه ، لأنهم السبب فى ذلك قاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السابع : قوله تعالى : **((وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم))**(٢) .

فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين فى الكتاب أنهم اذا سمعوا آيات الله يكفر بها ، ويستهزأ بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله ؛ المستهزئين

---

(١) النساء : ٩٧ (٢) النساء : ١٤٠.

بها في حال كفرهم واستهزائهم ، فهو مثلهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره . الا المكره ، هذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام ، فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده : فدعا الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها الى بلاده ، واتخذوهم أولياء وأصحابا وجلساء . وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم ، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم ؟

الدليل الثامن : قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، أن الله لا يهدى القوم الظالمين** »(١) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذهم اليهود والنصارى أولياء . وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم ، فان جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بمشركين ، بان أمره واتضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره : بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفا من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر ؛ لما في قلوبهم من عدم الايمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا الى أهل الشرك ، خوفا أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : « **فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين** »(٢) .

الدليل التاسع : قوله تعالى : « **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون** »(٣) فذكر الله تعالى ان موالاة الكفار موجبة لسخط الله ، والخلود في العذاب بمجردها ، وان كان الانسان خائفا . الا من أكره بشرطه ، فكيف اذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟!

الدليل العاشر : قوله تعالى : « **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى** ،

---

(١) المائدة : ٥١ (٢) المائدة : ٥٢
(٣) المائدة : ٨٠

وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسـقون »(١) . فذكر تعالى ان موالاة الكفار منافية للايمان بالله والنبى صلى الله عليـه وسلم وما انزل اليه • ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسـقون ، ولم يفرق بين من خـاف الدائرة وبين من لم يخف ، وهكذا حـال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسـقون ، فجرهم ذلك الى موالاة الكفار ، والردة عن الاسلام ، نعوذ بالله من ذلك •

الدليل الحادى عشر : قـوله تعالى : « **وان الشـياطين ليوحون الى أوليائهم ليجـادلوكم وان اطعتمـوهم انكم لمشركون »(٢)** . وهـذه الآيـة نزلت لما قال المشركون : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتـل الله ، فأنزل الله هذه الآية • فاذا كان من أطـاع المشركين فى تحليل الميتة مشركا من غير فرق بين الخائف وغيره الا المكره ، فكيف بمن أطاعهم فى تحليـل موالاتهم ، والكون معهم ونصرهم ، والشهادة أنهم على حق ، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم ، والخـروج عن جماعة المسلمين الى جمـاعة المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفـر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال•

الدليل الثانى عشر : قوله تعالى : « **واتل عليهم نبـأ الذى آتينـاه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشـيطان فكان من الغـاوين »(٣)** وهـذه الآية نزلت فى عالم عابد فى زمان بنى اسرائيـل ، يقال له بلعـام ، وكان يعلم الاسم الأعظم •

قال ابن أبى طلحة عن ابن عبـاس ، لمـا نزل بهم موسى عليـه السلام ـ يعنى بالجبارين ـ أتاه بنو عمه وقـومه فقالوا : ان موسى رجل حديد ، ومعـه جنود كثيرة ، وأنه ان يظهـر علينا يهلكنا ، فـادع الله أن يرد عنا موسى ومن معـه • قال : انى ان دعـوت ذهبت دنيـاى وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعـا عليهم ، فسـلخه الله مما كان عليـه • فذلك قـوله تعالى : « **فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين** » •

وقال ابن زيد : كان هواه مع القـوم ، يعنى الذين حاربوا موسى وقومه ، فذكر تعالى أمر هـذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطـاه

(١) المـائدة : ٨١ (٢) الأنعام : ١٢١
(٣) الأعراف : ١٧٥

الله اياها . وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منهـا . أى ترك العمل بها ، وذكر فى انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرة المشركين ومعـاوتتهم برأيه : والدعاء على موسى عليه السـلام ومن معه . أن يردهم الله عن قـومه خوفا على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحـق ، ويشـهد به ، وبتعبد . ولكن صده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهـواه واخلاده الى الأرض ؛ فكان هذا انسلاخا من آيات الله تعالى . وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين ، وأعظم . فان الله أعطاهم آياته التى فيهـا الأمـــر بالتوحيد ، ودعوته وحـده لا شريك له ، والنهى عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصـام بحبـل الله جميعا ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاداة المشركين ، وبغضـهم وجهادهم وفراقهم ، والأمر بهدم الأوثان ، وازالة القحـاب[1] واللواط والمنكرات ، وعرفوها وأقروا بها ؛ ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثالث عشر : قـوله تعالى : ((**ولا تركنـوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**))[2] .

فذكر تعالى أن الركون الى الظلمـة من الكفـار والظالمين موجب لمسيس النار ؛ ولم يفرق بين من خاف منهم وغـــيره الا المكـره . فكيف بمن اتخذ الركون اليهم دينا ورأيا حسنا ، وأعانهم بما قـدر عليـه من مال ورأى ، وأحب زوال التوحيد وأهله ، واسـتيلاء أهـل الشرك عليهم ؟! فان هذا أعظم الكفر والركون .

الدليل الرابع عشر : قـوله تعالى : ((**من كفـر بالله من بعـد ايمانه الا من أكـره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفـر صـدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بانهم اسـتحبوا الحيـاة الدنيـا على الآخـرة وأن الله لا يهدى القـوم الكافرين**))[3] فحكم تعـالى حكمـا لا يبدل أن من رجع عن دينه الى الكفر ، فهو كافر ، سـواء كان له عذر خوفا على نفس أو مال أو أهل ، أم لا ، وسواء كفـر بباطنه أم بظاهره

(١) القحاب : جمع قحبة ، وهى البغى الفاجر .
(٢) هـود : ١١٣ (٣) النحل : ١٠٦ ، ١٠٧

دون باطنه ، وسواء كفر بفعاله ومقاله ، أو بأحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعا فى دنيا ينالها من المشركين أم لا . فهو كافر على كل حال ، الا المكره ، وهو فى لغتنا : المغصوب ، فاذا أكره الانسان على الكفر وقيل له : اكفر والا قتلناك أوضربناك ، أو أخذه المشركون فضربوه ، ولم يمكنه التخلص الا بموافقتهم ، جاز له موافقتهم فى الظاهر ، بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان ، أى ثابتا عليه ، معتقدا له فأما ان وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرها .

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه فى الصورة الأولى لا يكون مكرها حتى يعذبه المشركون ، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض ، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فما زال يعتذر ويقول حديث عمار . وقال الله تعالى : ((**الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان**))(١) ، فقلب أحمد وجهه الى الجانب الآخر ، فقال يحيى : لا يقبل عذرا .

فلما خرج يحيى قال أحمد : يحتج بحديث عمار ، وحديث عمار : مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربونى وأنتم قيل لكم : نريد أن نضربكم ، فقال يحيى : والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه فى دين الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد وان كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا الا خوفا ، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وانما سببه أن له فى ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين . فقال : ((**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين**))(٢) . فكفرهم تعالى . وأخبر انه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .

---

(١) النحل : ١٠٦ (٢) النحل : ١٠٧

ثم أخبر خبرا مؤكدا محققا أنهم فى الآخـرة هم الخاسرون •

الدليل الخامس عشر : قـوله تعـالى عن اهـل الكهف : ((**انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيـدوكم فى ملتهم ولن تفلحـوا اذن ابدا**))(١) فذكر تعالى عن أهـل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهـم ان ظهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين : اما ان يرجموكم ، أى يقتلوكم شـر قتـلة بالرجم ، واما أن يعيدوكم فى ملتهم ودينهم ، ولن تفلحـوا اذن أبدا ، أى ان وافقتموهم على دينهم بعـد ان غلبوكم وقهروكم ، فلن تفلحوا اذن أبدا ، فهذا حال من وافقهم بعـد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقـهم وراسلهم من بعيـد ، وأجابهم الى ما طلبـوه من غير غلبـة ولا اكراه ، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟!

الدليل الـسادس عشر : قوله تعـالى : ((**ومن النـاس من يعبـد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمان به ، وان اصـابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**))(٢) •

فأخبر تعالى أن من الناس من يعبـــد الله على حـرف ، أى على طرف ((**فان اصابه خير**)) اى نصر وعـز وصـحة وسـعة وامن وعافيـة ، ونحو ذلك ــ ((**اطمان به**)) ــ اى ثبت وقال : هـذا دين حسن ما رأينـا فيه الا خيرا ــ ((**وان اصابته فتنة**)) ــ أى خوف ومرض وفقـر ونحـو ذلك ــ ((**انقلب على وجهـه**)) ــ اى ارتـد عن دينـه ورجـع الى أهـل الشرك •

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم فى هذه الفتنة ، ويعبدون الله على حرف ، أى على طرف ، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات ، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقـة المشركين وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين : فهم معهم فى الآخرة ، كما هم معهم فى الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخـرة ، ذلك هـو الخسران المبين هذا مـع أن كثيرا منهم فى عافية ، ما آتاهم من عدو ، وانما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحـق وأهله ، فأرداهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء : ((**وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصـبحتم من الخـاسرين**))(٣)

---

(١) الكهف : ٢٠ (٢) الحج : ١١
(٣) فصلت : ٢٣

وأنت يا من من الله عليه بالثبات على الاسلام ، احــذر أن يدخــل فى قلبك شيء من الريب ، أو تحسين أمــر هؤلاء المرتدين ، أو أن موافقتهم للمشركين واظهار طاعتهم رأى حسن ، حــذرا على الأنفس والأمــوال والمحارم ، فان هــذه الشبهة هى التى أوقعت كثيرا من الأولين والآخرين فى الشرك بالله ، ولم يعذرهم الله بذلك ، والا فكثير منهم يعرفون الحق ، ويعتقدونه بقلوبهم ، وانما يدينون بالشرك للأعــذار الثمانية التى ذكرها الله فى كتابه ، فلم يعــذر بها احــدا ولا ببعضها ، فقال : ((**قــل ان كــان آباؤكم وابناؤكم واخــوانكم وازواجكم وعشــيرتكم وامــوال اقترفتموها وتجارة تخشــون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله رســوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامــره ، والله لا يهدى القــوم الفاسقين**))(١) .

الدليل السابع عشر : قــوله تعالى : ((**ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعــد ما تبين لهم الهــدى الشيطان سول لهم واملى لهم . ذلك بانهم قــالوا للذين كرهــوا ما نزل الله ســنطيعكم فى بعض الأمر والله يعــلم أسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكــة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بانهم اتبعوا ما اســخط الله وكــرهوا رضــوانه فاحبط اعمــالهم**))(٢) فذكر تعالى عن المرتدين على أدباهم أنهم من بعــد ما تبين لهم الهــدى ارتدوا على علم ، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة ، وغــرهم الشيطان بتسويله . وتزيين ما ارتكبوه من الردة ، وهكذا حال هؤلاء المرتدين فى هذه الفتنة غرهم الشيطان ، وأوهمهم أن الخــوف عذر لهم فى الردة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرهم ما فعــلوه ، ونسوا أن كثيرا من المشركين يعرفون الحــق ويحبونه ويشــهدون به ، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا ، وخوفا على الأنفس والأموال ، والمآكل والرئاسات .

ثم قال تعــالى : ((**ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر**))(٣) فأخبر تعــالى أن ســبب ما جــرى عليهم من الــردة ، وتسويل الشيطان ، واملائه لهم ، هــو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم فى بعض الأمر ، فاذا كان من وعــد المشركين الكارهين لمــا

---

(١) التوبة : ٢٤ (٢) محمد : ٢٥ — ٢٨
(٣) محمد : ٢٦

أنزل الله بطاعتهم فى بعض الأمر كافرا ، وان لم يفعل ما وعدهم به ، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما انزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات ، وأظهر أنهم على هدى ، وأن أهل التوحيد مخطئون فى قتالهم ، وأن الصواب فى مسالمتهم ، والدخول فى دينهم الباطل ؟! فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم فى بعض الأمر ، ثم اخبر عن حالهم الفظيع عند الموت ، ثم قال ((**ذلك**)) الأمر الفظيع عند الوفاة ((**بانهم اتبعوا ما اسخط الله ، وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم**))(١) ، ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين ، والدخول فى جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ، ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع ما يسخطه الله ، وكراهة رضوانه ، وان ادعوا أن ذلك لأجل الخوف ، فان الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين ، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول : ما جرى منا شىء ونحن على ديننا .

الدليل الثامن عشر : قوله تعالى : ((**الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا ، وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون**))(٢) فعقد تعالى الاخوة بين المنافقين والكفار ، واخبر أنهم يقولون لهم فى السر : ((**لئن اخرجتم لنخرجن معكم**)) ، اى لئن غلبكم محمد صلى الله عليه وسلم واخرجكم من بلادكم ((**لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا**)) اى لا نسمع من أحد فيكم قولا ، ولا نعطى فيكم طاعة . ((**وان قوتلتم لننصرنكم**)) ، اى ان قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم لننصرنكم ونكون معكم ، ثم شهد تعالى أنهم كاذبون فى هذا القول ، فاذا كان وعد المشركين فى السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم ان أجلوا ، نفاقا وكفرا وان كان كذبا ، فكيف بمن أظهر ذلك صادقا ، وقدم عليهم ، ودخل فى طاعتهم ، ودعا اليها ، ونصرهم وانقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأعانهم بالمال والرأى ، هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك الا خوفا من الدوائر كما قال تعالى : ((**فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة**))(٣) .

(١) محمد : ٢٨ (٢) الحشر : ١١ (٣) المائدة : ٥٢

فكذا حال كثير من المرتدين فى هذه الفتنة ، فان عذر كثير منهم هو هذا العذر الذى ذكر الله عن الذين فى قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال الله تعالى : ((**فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم ، حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين**))(١) .

ثم قال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**))(٢)

فأخبر تعالى أنه لابد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين والعزة والغلظة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص ؛ فكفى بهذا دليلا على كفر من وافقهم وان ادعى أنه خائف . فقد قال تعالى: ((**ولا يخافون لومة لائم**))(٣) ، وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفا من المشركين ، ثم قال تعالى : **يجاهدون فى سبيل الله**))(٤) . أى فى توحيده ، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هى العليا . ولا يخافون لومة لائم ، أى لا يبالون بمن لامهم وآذاهم فى دينهم ، بل يمضون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه ، انما همهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطه .

وهذا بخلاف من كان همه وغاية مطلوبه رضى عباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ورجاءهم ، والهرب مما يسخطهم ، فان هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : ((**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**)) فاخبر تعالى ان هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل الايمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن ؛ ليس بحولهم ولا بقوتهم ، وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ،

---

(١) المائدة : ٥٢ ، ٥٣ (٢) المائدة : ٥٣
(٣) المائدة : ٥٤ (٤) المائدة : ٥٤

ثم قال : « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** »(١) •

فاخبر تعالى خبرا بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين — وفى ضمنه النهى عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين • ولا يخفى أى الحزبين أقرب الى الله ورسوله — واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة فالمتولى لضدهم ، واضع للولاية فى غير محلها ، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب • ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال : « **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون** »(٢) •

الدليل التاسع عشر : قوله تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم** »(٣) الآية . فاخبر تعالى انك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الاخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا مناف للايمان ، مضاد له ، لا يجتمع هو والايمان الا كما يجتمع الماء والنار •

وقد قال تعالى فى موضع آخر : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** »(٤) . ففى هاتين الآيتين البيان الواضح انه لا عذر لأحد فى الموافقة على الكفر خوفا على الأموال والآباء والابناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، اذا كان لم يرخص لأحد فى موادتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفا منهم ، وايثارا لمرضاتهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحابا ، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفا على بعض الأمور ومحبة بها ؟ ! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له ، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام •

الدليل العشرون : قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** » الى قوله : « **ومن يفعله**

---

(١) المائدة : ٥٥ (٢) المائدة : ٥٦
(٣) المجادلة : ٢٢ (٤) التوبة : ٢٣

منكم فقد ضل سواء السبيل »(١) . فاخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وان كانوا أقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ، أى أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه الى الضلالة .

فأين هذا ممن يدعى أنه على الصراط المستقيم ، لم يخرج عنه ؟ فان هذا تكذيب لله ، ومن كذب الله نهو كافر ، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ، ومن استحل محرما فهو كافر .

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال : « **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير** »(٢) .

فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليهم ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغنى من عذاب الله شيئا ، كما قال فى الآية الأخرى : « **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** »(٣) .

الدليل الحادى والعشرون : من السنة ما رواه أبو داود وغيره ، عن سمرة بن جندب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله » . فجعل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث من جامع المشرك — أى اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟ فان قالوا : خفنا ، قيل لهم : كذبتم .

وأيضا فليس الخوف بعذر ، كما قال تعالى : « **ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** »(٤) .

فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف ، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف ؟ ! وانما جاءوا الى الباطل محبة له وخوفا من الدوائر .

والأدلة على هذا كثيرة وفى هذا كفاية لمن أراد الله هدايته .

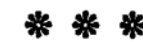
---

(١) الممتحنة : ١ — (٢) الممتحنة : ٣

(٣) المؤمنون : ١٠١ — (٤) العنكبوت : ١٠

وأما من أراد الله فتنته وضلالته ، فكما قال تعالى : **((ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم))**(١) .

ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين ، وأن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، برحمته ، فهو أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم آمين .



(١) يونس : ٩٦ ، ٩٧

الرسالة الثانية عشرة :

هذا كتاب

بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك

جمع شيخنا احمد بن على بن عتيق النجدى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما بلا اعوجاج ، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه فى الاحتجاج ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بايضاح الشرعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على محمد الذى مزق الله ظلام الشرك بما معه من السراج ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد .. فانى قد كنت تكلمت وشددت فى النهى عن موالاة المشركين ، ودعوت من حولى من المسلمين الى عداوة الكافرين . ثم كتبت فى ذلك بعض الآيات الدالة عليه ، مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين ، وكنت اظن أن من قرأ القرآن ، وآمن أنه كلام الله ، وأن الله تعبدنا بالعمل به ، والقيام ، اذا سمع ذلك أذعن له وانقاد ، وبادر الى السمع والطاعة لحكمه ، لقول الله تعالى : ((**اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون**))(١) . وقال تعالى : ((**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**))(٢) .

وقال تعالى ((**فاما ياتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**))(٣) .

---

(١) الأعراف : ٣ (٢) النساء : ٦٥
(٣) طه : ١٢٣ — ١٢٦

فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين انكـار لذلك ، وجحدوا لمـا أوجب الله الاقرار به والقيام : فصـار المنتسـبون الى العلم المدعـون انهم من طلبته فى ذلك على أقسام :

طائفة منهم استحسنت المعارضـة الجاهلة الضـالة ورضيتها ، وان لم تصرح بذلك ، فانه ظاهر على وجوهها •

وطائفة كرهت المعارضة ، واستجهلت صاحبها ، لكنها لم تفعل ما أوجب الله عليها من رد ذلك ، والانكار على سالكه ، ولولا ما وقع لهؤلاء ، لمـا كان المعارض مساويا لمن يجاوبه •

فلأجل ذلك كتب شـيخنا الشيخ عبـد الرحمن بن حسن رسـالة مفيدة فى الرد على هـذا المعارض ، نقض فيها أقواله نقضا بديعا ، وهى كافية فى الرد عليه ، فصار شيخنا هو امام الطائفة ، الراد لأقوال أهـل الباطل المنكرة لها ، والله ناصر دينه ، ومظهره على الدين كله ولو كـره الكافرون • ثم انى ـ كتبت ـ ان شـاء الله ـ كلمات فيها بيان لأشـياء وقع الغلط فيها ممن ينتسـب الى العـلم : لقول الله تعالى : **« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينـات والهدى من بعد ما بينـاه للناس فى الكتـاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »**(١) •

وقوله تعالى : **« واذ أخـذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشـتروا به ثمنـا قليـلا فبئس ما يشترون »**(٢) •

منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم ، ومنها ما يصير به الرجل مرتدا ، ومنها ما يعذر الرجل به على موافقـة المشركين ، ويظهـر الطاعة لهم ، ومنها مسـألة اظهار الدين ، ومنها مسـألة الاستضعاف ، ومنها وجوب الهجرة ، وأنها باقية ، وسميت هذا الكتاب « سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك » وأسـأل الله تعـالى أن يجعله مبنيا على الاخلاص ، وأن ينفع به من قرأه طلبا للنجاة والخلاص •

* * *

(١) البقرة : ١٥٩   (٢) آل عمران : ١٨٧

فصـــل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ، بعث محمـدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، فبين للناس ما نزل اليهم ، فما من خير الا دلهم عليه ، وعرفهم الطرق الموصلة اليه ، وما من شر الا حـذرهم منه ، وسد عليهم أبوابه المفضية اليه ، ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ .

وأخبرهم بظهور الفتن التى كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ، ويمسى كافرا ، ويمسى كافرا ويصبح مؤمنا ، يبيع دينـه بعرض من الدنيا ، فكان وقوع هذا لما وقع ، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله .

ومما أخبر به أن أمته تقاتل الترك ، (و) وصفهم بأنهم صغار العيون ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة . ومعنى ذلف الأنوف ، أنها قصار مبطحة .

والمجان : جمع مجن . وهو الترس ، أراد وجوههم مستديرة ناتئـة وجنتها . هذا معنى كلام البغوى فى « شرح السنة » فكان من حكمـة الله وعـدله أن سلطهم ، لما ظهرت فيهم الملة الحنيفيـة ، ودعـوا الى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه الدولة الكفرية . فجرى ما هو ثابت فى الأقدار الأزلية ، وان كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية . والله تعـالى : ((**لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون**))(١) .

وامتحن أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعـالى فى حادثة ظهور التتار فى زمنـه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فان هذه الفتنة التى ابتلى بها المسـلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، قد جرى فيها شبه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسـول الله صلى الله عليه وسـلم فى المغازى التى أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أسـوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخـر ، وذكـر الله كثيرا الى يوم

---

(١) الأنبيـاء : ٢٣

القيامة ، فان نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، تتنـاول عموم الخلق بالعموم اللفظى . وبالعموم المعنوى وعهود الله فى كتابه وسنته ، تتناول آخر هذه الأمة كما نالت أولها .

وانما قص الله علينا قصص من قبلنا من الامم ، لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلهـا فيكون للمؤمن من المستأخرين شبه بما كان للمؤمن من المستقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين .

كما قال تعالى لمـا قص قصة يوسف مفصلة ، وأجمل ذكر قصص الأنبياء ((**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب**))(١) .

وقال لما ذكـر قصـة فرعون : ((**فاخذه الله نكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى**))(٢) .

وقال فى محاصرة بنى النضير : ((**هـو الذى اخرج الذين كفـروا من أهل الكتاب من ديارهم**)) الى قوله : ((**فاعتبروا يا أولى الأبصار**))(٣) .

فأمر أن نعتبر بأحوال المستقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلنا ، وذكر فى غير موضع ، أن سنته فى ذلك مطردة وعادة مستمرة ، فقـال تعالى : ((**لئن لم ينتـه المنافقون والذين فى قلوبهم مـرض والمرجفـون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين اين ما ثقفوا أخـذوا وقتلوا تقتيلا . سـنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجـد لسنة الله تبديلا**))(٤) .

وقال تعالى : ((**ولو قاتلكم الذين كفـروا لولوا الأدبار ثم لا يجـدون وليا ولا نصـيرا . سنة الله التى قـد خلت من قبل ، ولن تجـد لسنة الله تبديلا**)))(٥) .

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين .

فينبغى للعقلاء أن يعتبروا بسـنة الله وأيامه فى عباده ودأب الأمم وعاداتهم ، لا سيما فى مثل هذه الحادثة العظيمـة التى طبق الخـافقين خبرها ، واستطار فى جميع الديار شررها ، واطلع فيها النفـاق ناصيـة

---

(١) يوسف : ١١١
(٢) النازعات : ٢٥ ، ٢٦
(٣) الحشر : ٢
(٤) الاحزاب : ٦٠ — ٦٢
(٥) الفتـح : ٢٢ ، ٢٣

رأسه ، وكشر فيها الكفر عن أنيابه واضراسه ، وكاد فيها عمود الكتاب ان يجتث ويخترم ، وحبل الايمان ان ينقطع ويصطلم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن ، ((**واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا**))(١) •

ان لن ينقلب حزب الله ورسوله الى أهليهم ابدا ، وزين ذلك فى قلوبهم ، وظنوا ظن السوء وكانوا قوما بورا •

ونزلت فتنة تركت الحليم حيران ، وأنزلت الرجل الصادق منزلة السكران •

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى ان الرجل بنفسه شغل عن ان يغيث اللهفان ، وميز الله فيها أهل البصائر والايقان من الذين فى قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف ايمان • ورفع بها أقواما الى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقوامها الى المنزلة الهاوية ، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى •

فان الناس تفرقوا فيها ما بين شقى وسعيد ، كما يتفرقون كذلك فى اليوم الموعود ، ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى الا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ، وظهرت الخبايا التى تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يكون صاحبه أحوج ما كان اليه فى المآل ، وذم سادته وكبراءه من أطاعهم فأضاره السبيلا ، كما حمد ربه من صدق فى ايمانه واتخذ مع الرسول سبيلا وبان صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الاخبار بما يكون ، وواطأتها قلوب الذين هم فى هذه الأمة محدثون — أى ملهمون — كما تواطأت عليها المبشرات التى أريها المؤمنون ، وتبين أنها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد فى نصرة الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر

(١) الاحزاب : ١٢

خارج عن شريعة الاسلام ، واقسم الناس بين مأجور ومغرور ، وآخر قد غره بالله الغرور وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما .
« ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما »(١) .

قلت : وما ذكره من الافتتان قد رأينا ما هو نظيره . أو اعظم منه فى هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس أقساما .

أحدها : ناصر لدين الاسلام ، وساع فى ذلك بكل جهده . وهم القليلون عددا ، الأعظمون عند الله أجرا .

القسم الثانى : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمعونتهم .

القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم . وقد روى الطبرانى عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة نبيه »(٢) .

* * *

فصل

وهذا أوان الشروع فى المقصود ، فأما معاداة الكفار والمشركين . فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد ايجابه ، وحرم موالاتهم وشدد فيها ، حتى أنه ليس فى كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده ، قال الله تعالى : **« واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون »**(٣) .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : فأهل النفاق مفسدون فى الأرض بمعصيتهم ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم فى دينه الذى لا يقبل من أحد التصديق الا به ، والايقان بحقيقته ، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم ، غير ما هم عليه مقيمون من

---

(١) الأحزاب : ٢٤

(٢) رواه الطبرانى فى المعاجم الثلاثة . وفى اسناد « الكبير » حنش وهو متروك ، وفى اسناد الصغير والاوسط : سعيد بن رحمة وهو ضعيف

(٣) البقرة : ١١

الشك والتكذيب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

قال ابن كثير : وهذا الذى قاله حسن ، فان من الفساد فى الأرض، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء . كما قال تعالى : ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**))(١) .

فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) (٢) الآية .

وقوله : ((**انما نحن مصلحون**)) أى نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء . يقول الله : ((**الا انهم هم المفسدون**))(٣) .

يقول : ألا ان هذا الذى يعتمدون ويزعمون أنه اصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد . ا . هـ . وهذا الذى ذكره ، قد والله سمعناه ورأينا أهله اذا قيل لهم ، ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ؟ قالوا : نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم ؛ ويكون (لنا) يد عندهم . وبعضهم اذا ظن بالله ظن السوء من (ايذاء) أهل الباطل ، ورأى من له اتصال بهم ، وتوصل اليهم ، اتخذه صديقا ، ورضى به ، قائلا بلسان حاله : ((**نخشى أن تصيبنا دائرة**))(٤) . ((**ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**))(٥) .

وقال تعالى : ((**بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا**))(٦) الى قوله : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا**))(٧) .

قال ابن كثير : ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعنى معهم فى الحقيقة ، يوالونهم ويسرون اليهم بالمودة ، ويقولون لهم اذا خلوا بهم : ((**انا معكم انما نحن مستهزئون**))(٨) .

---

(١) الأنفال : ٧٣ — (٢) النساء : ١٤٤
(٣) البقرة : ١٢ — (٤) المائدة : ٥٢
(٥) البقرة : ١٢ — (٦) النساء : ١٣٨ ، ١٣٩
(٧) النساء : ١٤٤ — (٨) البقرة : ١٤

أى بالمؤمنين فى اظهارنا لهم الموافقة . قال الله تعالى منكرا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين : ((**أيبتغون عندهم العزة**))(١) .

ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له ؛ ولمن جعلها له . كما قال تعالى فى الآية الأخرى : ((**من كان يريد العزة فلله العزة جميعا**))(٢) .

وقال تعالى : ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**))(٣) الآية .

والمقصود من هذا : التهييج على طلب العزة من جانب الله تعالى . والالتجاء الى عبوديته ، والانتظام فى جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قلت : فاذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين . فهذا كاف فى تحريمها والنهى عنها ، وقال تعالى : ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء**))(٤) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ثم قال : ((**ومن يفعل ذلك**)) .

أى ومن يوال الكافرين ، فليس من الله فى شىء ، أى فقد برىء من الله ؛ وبرىء الله منه . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ؛ حفظا للاسلام والتوحيد .

وقال تعالى : ((**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيرا منهم فاسقون**))(٥) .

قال شيخ الاسلام : فبين سبحانه (أن) الايمان بالله والنبى وما أنزل اليه ، ملتزم بعدم ولايتهم . فثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ؛ لأن عدم اللازم يقتضى عدم الملزوم .

قلت : رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه ، والخلود فى العذاب . وأخبر أن ولايتهم لا تحصل الا ممن ليس بمؤمن . وأما أهل

---

(١) النساء : ١٣٩
(٢) فاطر : ١٠
(٣) المنافقون : ٨
(٤) آل عمران : ٢٨
(٥) المائدة : ٨٠ ، ٨١

الايمان بالله وكتابه ورسـوله ، فانهم لا يوالونهم ، بل يعادونهم كمـا أخبر الله عن ابراهيم والذين معه من المرسلين . كما يأتي بيانه ان شـاء الله تعـالى . وقال تعالى : **« يا أيهـا الذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانـه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظـالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسـارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان يأتى بالفتح أو أمـر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى انفسهم نادمين »(١) .**

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى .

وذكر أن من تولاهم فهو منهم . أى من تولى اليهود فهو يهودى . ومن تولى النصارى فهو نصرانى .

وقد روى ابن أبى حاتم ، عن محمـــد بن سـيرين . قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر. قال : فظنناه يريد هذه الآية :

« يا أيهـا الذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أوليـاء » الى قوله : **« فانه منهم »(٢) الآية .**

وكذلك المشرك ، فهو مشرك ، ومن تولى الأعـاجم فهو أعجمى ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار .

ثم أخبر تعالى أن الذين فى قلوبهم مرض ، أى شـك فى الدين وشبهة ، يسارعون فى الكفر قائلين : **« نخشى أن تصيبنـا دائرة »(٣) .**

أى اذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين . قـالوا : نخشى أن تكون الدولة لهم فى المستقبل ، فيتسلطوا علينا ، فيأخذوا أموالنا ، ويشردوننا من بلداننا .

وهذا هو ظن السوء بالله الذى قال فيه : **« الظانين بالله ظن السـوء ، عليهم دائرة السـوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعـد لهم جهنم وسـاءت مصـيرا »(٤) .**

---

(١) المـائدة : ٥١ ، ٥٢
(٢) المـائدة : ٥١
(٣) المـائدة : ٥٢
(٤) الفتح : ٦

ولهذا قال تعالى فى هــذه الآية : ((**فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمــر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين**))(١) .

وعسى من الله واجب والحمد لله الذى أتى بالفتح . فأصـــبح أهــل الظنون الفاســدة على ما أسروا فى أنفســهم نادمين . وقال تعــالى : ((**يا أيهــا الذين آمنوا لا تتخــذوا الذين اتخــذوا دينكم هــزوا ولعبــا من الذين أوتوا الكتـــاب من قبلكم والكفــار أوليــاء ، واتقــوا الله ان كنتم مؤمنين**))(٢) .

فنهى سبحانه وتعــالى المؤمنين عن موالاة أهــل الكتابين وغيرهم من الكفار وبين ان موالاتهم تنافى الايمــان . وقال تعــالى : ((**يا أيهــا الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أوليــاء ان استحبوا الكفر على الايمــان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظــالمون . قــل ان كان آباؤكــم وأبنــاؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشــيرتكم وأموال اقترفتموها وتجـــارة تخشــون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهــاد فى ســبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين**))(٣) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيــه وأخيه ــ اللذين مما أقرب الناس اليه ــ اذا كان دينهما غير الايمان ، وبين أن الذى يتــولى أباه وأخاه اذا كانا كافرين فهـــو ظالم فكيف بمن تولى الكافـرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ؟! أفلا يكون هـــذا ظــالما ؟ بلى والله انه لمن أظلم الظالمين .

ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذرا فى موالاة الكافرين ، فليس لأحد أن يواليهم خوفا على أبيه ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو مــاله ، أو مشحته بعشيرته ، أو مخافته على زوجاته ، فان الله قد سد على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعــذر . فان قيل : قد قال كثير من المفسرين : ان هذه الآية نزلت فى شــأن الجهاد ، فالجواب من وجهين :

أحدهما أن نقول : اذا كانت هــذه الثمانية ، ليس بينها عـــذرا فى ترك الجهاد الذى هو فرض على الكفاية ، فكونها لا تكون عذرا فى ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

---

(١) المـائدة : ٥٢ (٢) المـائدة : ٥٧
(٣) التوبة : ٢٣ ، ٢٤

الوجه الثانى : أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا . كما دلت على الجهاد ، فانه قال : ((**أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله**))(١) .

فمحبة الله ورسوله توجب ايثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية ، وتقديمها عليها . كما أن محبة الجهاد توجب ايثاره عليها . وبالله التوفيق .

وهذا اذا سمعه المنصف يكون (عنده) ظاهرا . وأما من أعمى الله بصيرته بسبب تعصبه ، كما قال تعالى : ((**ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**))(٢) .

وقال تعالى : ((**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا**))(٣) .

ثم قال : ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**))(٤) .

فأخبر أن الكافرين اذا لم يوال بعضهم بعضا بأن ينحازوا عن المسلمين ، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، والا وقعت الفتنة والفساد الكبير ، فتبين أن موالاة المسلم للكافر سبب الافتتنان فى الدين بترك واجباته ، وارتكاب محرماته ، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان فى الأديان والأبدان والأموال . فأين هذا من أقوال المفسدين : أن موالاة المشركين صلاح وعافية وسلامة . وقال تعالى : ((**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ، فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا**))(٥) .

فأخبر تعالى عن الكفار ، أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا ، ثم نهى أهل الايمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الاسلام وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء**

---

(١) التوبة : ٢٤
(٢) يونس : ٩٦ ، ٩٧
(٣) الأنفال : ٧٢
(٤) الأنفال : ٧٣
(٥) النساء : ٨٩

تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ، ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شىء ، ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » . الى قوله : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » . الى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور »(١) .

وقد ثبت فى «الصحاح» أن هذه السورة نزلت فى رجل من الصحابة لما كتب الى أهل مكة يخبرهم بمسير النبى صلى الله عليه وآله وسلم اليهم عام الفتح ، فأنزل الله هذه الآيات يخبر (عن) هذا الكتاب .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى أثر المرأة التى ذهبت بالكتاب ، فوجده فى عقيصة رأسها ، فجاء الرجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يعتذر ويحلف أنه ما شك ، ولكنه ليس له من يحمى (من وراءه) من أهله بمكة وأنه أراد بهذا يدا عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة فى قتله . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب .

ففى هذه السورة مع سبب نزولها ، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلة كثيرة ، فنهى تعالى أهل الايمان عن اتخاذ

---

(١) الممتحنة : ١ ــ ٤ ، ٩ ، ١٣

عدوه وعدوهم . وهـذا تهييج على عداوتهم ، فان عداوة المعادى لربك باعثة وداعية الى عداوتك ، ولنضرب لذلك مثـلا ، ولله المثـل الأعلى ، فقدر نفسك مملوكا لانسان هو سيدك ، والسبب فى حصـول مصالحك ومنع مضارك ، وسيدك له عدو من الناس ، فهل يصح عندك ويجـوز فى عقلك أن تتخـذ عدو سيدك وليا ، ولو لم ينهك عن ذلك ؟! فكيف اذا نهاك عن ذلك أشد النهى ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل اليك ما تكره ، ويمنع عنك ما تحب ؟! فكيف اذا كان هذا العدو ، لسيدك ، عدو لك ؟! فاذا واليته مع ذلك كـله ، انك اذن لمن الظالمين الجاهلين .

ثم قال : ((**تلقون اليهم بالمـودة**))(١) وهـذا كاف فى ابطـال شـبهة المشبهين . فانه اذا أنكـر عليهم موالاة المشركين ومـوادتهم قـالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بألسنتهم ، ويكاتبونهم بعورات المسلمين .

فأين هذا من الكتاب الذى نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله القاء بالمودة ، وهذا ظاهر جدا .

ثم قال : ((**وقـد كفروا بمـا جاءكم من الحق يخرجـون الرسـول واياكم ، ان تؤمنوا بالله ربكم**))(٢) .

فذكر ما يدعو الى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذى جـاء من عند الله ، واخراجهم النبى صلى الله عليه وسـلم وأهـل الاسـلام لأجـل الايمان بالله .

ثم حذر تعالى من موالاتهم ، بأنه يعلم السر والعـلانية ، وهـذا تهديد شديد .

ثم قال : ((**ومن يفعله منكم فقد ضل سـواء السـبيل**))(٣) اى من يتولى أعداء الله ويلقى اليهم بالمـودة ، ويسر اليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب .

ثم قـال : ((**ان يثقفـوكم يكـونوا لكم أعـداء**))(٤) الآيـة . فبين

---

(١) الممتحنة : ١ (٢) الممتحنة : ٢

أنهم ان قدروا على المسلم واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ، ((**ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم**))(١) بالضرب والقتل ، وبالكلام الغليظ ولو كان يواليهم ويكاتبهم فى حال بعده عنهم ، فانهم لا يرضون عنه و (لا) يسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال : ((**وودوا لو تكفرون**))(٢) كما قال : ((**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**))(٣) .

ثم قال : ((**لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة**))(٤) الآية : فبين أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح له موالاتهم كما اعتذر هذا الرجل بأن له فى مكة أرحاما وأولادا ، فلم يعذره الله تعالى . فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب الى الانسان من ولده ووالده والناس اجمعين . فقوله : ((**لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة**)) اى : لن ينجوكم من عذاب الله ، فكيف تقدمونهم على مراد الله ، ولأجلهم توالون أعداء الله ! والله تعالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بين أن هذا الذى دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم عنه من موالاة الكافرين ، ليس هو أمرا لهم وحدهم ، بل هو الصراط المستقيم الذى عليه جميع المرسلين . فقال : ((**قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه**)) من المرسلين ((**اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٥) .

فقوله : ((**قد كانت لكم أسوة حسنة**)) كقوله تعالى : ((**ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا**))(٦) .

فأمرنا سبحانه أن نتأسى بابراهيم الخليل ومن معه من المرسلين فى قولهم لقومهم ((**انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله**)) الى آخره . واذا كان هذا واجبا على المسلم أن يقول هذا لقومه الذى

---

(١) الممتحنة : ٢ (٢) البقرة : ١٢٠
(٣) الممتحنة : ٣ (٤) الممتحنة : ٤
(٥) النحل : ١٢٣ (٦) النحل : ١٢٣

هو بين أظهرهم ، فكونه واجبا مع الكفار الأبعدين عند المخالفين له فى جميع الأمور أبين وأبين •

وهاهنا نكتة بديعة فى قوله : ((**انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله**)) وهى أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم من الثانى ، فانه من يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه • وأما اذا تبرأ من المشركين ، فان هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم . وهذا كقوله تعالى : ((**واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا**))(١) فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم . وكذا قوله : ((**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله**))(١) وقوله : ((**واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله**))(٢) فعليك بهذه النكت ، فانها تفتح بابا الى عداوة أعداء الله فكم من انسان لا يقع منه الشرك ، ولكنه لا يعادى أهله ، فلا يكون مسلما بذلك اذا ترك دين جميع المرسلين •

ثم قال : ((**كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٣) فقوله : ((وبدا)) أى ظهر وبان . وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فان الانسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولابد أيضا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين •

واعلم أنه وان كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فانها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين • وأما اذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فان ذلك يدل على عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فانه يجلو عنك شبهات كثيرة •

ثم قال : ((**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**))(٤) . فذكر سبحانه وتعالى أفعالا تدعو الى مقاطعتهم ،

(١) مريم : ٤٨ ، ٤٩ (٢) الكهف : ١٦
(٣) الممتحنة : ٤ (٤) الممتحنة : ٩

وترك موالاتهم وهى أنهم يقاتلون فى الدين — أى من أجل — يعنى أن الذى حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم . وأيضا يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على اخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين .

وفى هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالاتهم محرمة منافية للايمان . وذلك انه قال : « **انما ينهاكم الله** » فجمع بين لفظة « انما » المفيدة للحصر ، وبين النهى الصريح ، وذكر الخصال الثلاث ، وضمير الحصر وهو لفظة « هم » .

ثم قال : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور** »(١) .

فنهى سبحانه أهل الايمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالى من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فان موالاته له تنافى الايمان بالله تعالى .

* * *

فصل

وهاهنا أمور يجب التنبيه عليها ، وتعيين الاعتناء بها ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين .

الأمر الأول : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها قال تعالى : « **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير** »(٢) .

قال شيخ الاسلام : فانظر كيف قال فى الخبر « ملتهم » ، وقال فى النهى : « أهواءهم » . لأن القوم لا يرضون الا باتباع الملة مطلقا ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم فى قليل أو كثير ، وقال تعالى لموسى وهارون : « **فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** »(٣) « **وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل**

---

(١) الممتحنة : ١٣ (٢) البقرة : ١٢٠

(٣) يونس : ٨٩

المفسدين))(١) وقال تعالى : ((**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ، وساءت مصيرا))**(٢) وقال تعالى : ((**وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق))**(٣) الى قوله : ((**ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك))**(٤) وقال تعالى : ((**ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون • انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين))**(٥) •

وقال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بنى اسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجىء العلم بغيا من بعضهم لبعض ، ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته ، واهواءهم ما يهوونه •

قال : فاذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسلوك ما يحبونه منهيا عنه [illegible] ، فهذا هو المطلوب • وما ذاك الا خوفا من اتباعهم فى أصل دينهم الباطل •

وقال تعالى : ((**وكذلك انزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق))**(٦) •

فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكما عربيا ، ثم (ذكر) توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد •

وقال تعالى : ((**ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين**

---

(١) الأعراف : ١٤٢
(٢) النساء : ١١٥
(٣) المائدة : ٤٨
(٤) المائدة : ٤٩
(٥) الجاثية : ١٦ — ١٩
(٦) الرعد : ٣٧

لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون»(١) الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين ، وتحريم اتباعهم وأنه من أعظم القوادح فى الدين .

الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فان الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين . وأخبر أن المسلمين ان اطاعوهم ردوهم عن الايمان الى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين**»(٢) وقال تعالى : «**ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا**»(٣) .

وقال تعالى : «**وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون**»(٤) قال تعالى : «**وان تطع اكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون**»(٥) وقال تعالى : «**ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**»(٦) . وقال تعالى : «**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**»(٧) وقال تعالى : «**يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما**»(٨) . وقال تعالى اخبارا عمن اطاع رؤساء الكفر : «**وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا**»(٩) وقال تعالى : «**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون**»(١٠) .

وفسر النبى صلى الله عليه وسلم اتخاذهم أربابا أنها طاعتهم فى تحريم الحلال وتحليل الحرام ، فاذا كان من اطاع الأحبار وهم العلماء والرهبان ، وهم العباد فى ذلك ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، فمن اطاع الجهال والفساق فى تحريم ما أحل الله ، أو تحليل

---

(١) الأنعام : ١٥٠ — (٢) آل عمران : ١٠٠
(٣) الكهف : ٢٨ — (٤) الأنعام : ١٢١
(٥) الأنعام : ١١٦ — (٦) الفرقان : ٥١ ، ٥٢
(٧) التوبة : ٧٣ — (٨) الأحزاب : ١
(٩) الأحزاب : ٦٧ — (١٠) التوبة : ٣١

ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، بل ذلك أولى وأحرى •

الأمر الثالث : ترك الركون الى الكفرة والظالمين •

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : ((**ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**))(١) •

فنهى سبحانه وتعالى عن الركون الى الظلمة ، وتوعد على ذلك بمسيس النار ، وعدم النصر ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم كما قال تعالى : ((**ان الشرك لظلم عظيم**))(٢) فمن ركن الى أهل الشرك ، أى مال اليهم ورضى بشىء من أعمالهم ، فانه مستحق لأن يعذبه الله بالنار ، وأن يخذله فى الدنيا والآخرة •

وقال تعالى : ((**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا**))(٣)

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لركن الى المشركين شيئا قليلا ، وأنه لو ركن اليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفا ، ولكن الله ثبته فلم يركن اليهم ، بل عاداهم وقطع اليد منهم ، ولكن اذا كان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم مع عصمته ، فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به •

الأمر الرابع : ترك موادة أعداء الله ، قال الله تعالى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم**))(٤) •

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يواد كافرا ، فمن واد كافرا فليس بمؤمن •

قلت : فاذا كان الله قد نفى الايمان عمن واد أباه وأخاه وعشيرته اذا كانوا محادين الله ورسوله ، فمن واد الكفار الأبعدين عنه ، فهو أولى بأن لا يكون مؤمنا •

---

(١) هود : ١١٣ (٢) لقمان : ١٣
(٣) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥ (٤) المجادلة : ٢٢

الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار فى الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة فى الباطن . كما أن المحبة فى الباطن تورث المشابهة فى الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ، حتى ان الرجلين اذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا فى در غربة ، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم • وان كانا فى مصرهما ، لم يكونا متعارفين ، أو كانا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف به اختصاص عن بلد الغربة • بل لو اجتمع رجلان فى سفر أو بلد غريب ، فكانت بينهما مشابهة فى العمامة ، أو الثياب ، أو الشعر ، أو المركب ، ونحو ذلك ، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا ما لا يألفون غيرهم ، حتى ان ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة ، أما على الدين ، فتجد الملوك من الرؤساء وان تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض ، وهذا كله موجب الطباع ، ومقتضاها ، الا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فاذا كانت المشابهة فى أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم ، فكيف بالمشابهة فى أمور دينية ؟! فان افضاءها الى نوع من الموالاة أكثر وأشد • هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية •

قلت : فاذا كانت مشابهة الكفار فى الأفعال الظاهرة انما نهى عنها لأنها وسيلة وسبب يفضى الى موالاتهم ، ومحبتهم بالنهى عن هذه الغاية ، والمحذور أشد والمنع منه وتحريمه أوكد ، وهذا هو المطلوب ، ذكر بعض الدليل على النهى عن مشابهة الكفار والمشركين ، روى أبو داوود فى « سننه » عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » • قال شيخ الاسلام : اسناده جيد • وأقل أحواله أن يقتضى تحريم التشبه بهم ، وان كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم . كما فى قوله تعالى : **﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾**(١) وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو انه قال : « من بنى بأرض المشركين ، وصنع نيروزهم ، ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة » •

---

(١) المائدة : ٥١

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة[1] . وقالت : « لا تشبهوا باليهود » .

وروى البيهقي باسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال عمر بن الخطاب : « لا تعلموا رطانة الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ، فان السخط ينزل عليهم » .

وورد باسناد صحيح عن أبي أسامة ، قال : حدثنا عوف عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة » .

فهذا عمر نهى عن تعلم لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم (فكيف بمن) يفعل بعض أفعالهم ، أو فعل ما هو من مقتضيات دينهم ؟! أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة ؟ أو ليس عمل بعض أعمالهم — أي أعمال عيدهم — أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم ؟! واذ كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم ، فمن يشركهم في العمل أو بعضه ، أليس قد تعرض الى العقوبة ؟

وأما عبد الله بن عمرو فصرح : أنه من بنى ببلادهم ، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم ، وهذا يقتضي أنه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الأطوار ، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وان كان الأول ظاهر لفظه ، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية ، لأنه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزءا من المقتضى ، اذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس الذم على بعض ذلك مشروطا ببعض ، الا أن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفردا .

وعن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : قال عمر رضي الله عنه : كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليهم وسلم ، وأفاض قبل طلوع الشمس ، وقد روى في هذا الحديث فيما أظنه أنه قال : « خالف هدينا هدى المشركين » وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب

---

(١) أي وضع اليدين على الخصر أثناء الصلاة .

الشمس ، فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم . فالافاضة بعد الغروب .

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين . فقال : « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها » رواه مسلم ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار .

وفى كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عتبة بن فرقد : « واياك وزى أهل الشرك » ، وهو فى « الصحيحين » .

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتا ، فرأى فيه شيئا من زى العجم ، فخرج وقال : من تشبه بقوم فهو منهم .

وقال على بن أبى صالح السواق : كنا فى وليمة ، فجاء أحمد ابن حنبل ، فلما دخل نظر الى كرسى فى الدار عليه فضة ، فخرج ، فلحقه صاحب الدار ، فنفض يده فى وجهه وقال : زى المجوس ، زى المجوس !!

وعن قيس بن أبى حازم قال : دخل أبو بكر رضى الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجة مصمتة . فقال لها : تكلمى فان هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين . قالت : أى المهاجرين ؟ قال : من قريش . قالت : من أى قريش ؟ قال : انك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم . قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم رؤساء وأشراف يأمرونكم فتطيعونهم ؟ قالت : بلى . قال : فهم أولئك على الناس . رواه البخارى فى « صحيحه » .

فأخبر أبو بكر رضى الله عنه : أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب ذلك بقوله : هذا من عمل الجاهلية ، قاصدا بذلك عيب هذا العمل وذمه وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية ، وصف يوجب النهى عنه ، والمنع منه .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى المسلمين المقيمين ببلاد فارس : اياكم وزى أهل الشرك .

وهذا النهى منه للمسلمين من كل ما كان من زى المشركين ، وفى

كتابه الى عتبة بن فرقد : اياكم والتنعم ، وزى أهـل الشرك ، ولبوس الحرير .

وروى أحمد فى « المسند » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـه ، كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حماد بن سلمة : فحـدثنى أبو سـنان عن عبيـد بن آدم قال : سمعت عمر رضى الله عنـه يقول لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضى الله عنـه : ضـاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقـدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسـة فى ردائه ، وكنس الناس . فعاب رضى الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، أى مشابهتها فى مجرد اسـتقبال الصخرة ، لمـا فيه من مشـابهة من يعتقدها قبلة باقية ، وان كان المسلم لا يقصد أن يصلى اليها .

وقد كان لعمر رضى الله عنه فى هذا الباب من السياسات المحكمة . ما هى مناسـبة لسـائر سيرته المرضية ، فانه رضى الله عنـه هو الذى استحالت ذنوب الاسـلام فى يـده غربا ، فلم يفر عبقرى فريـه حتى صدر الناس بعطن ، فأعز الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شـعار الدين الحنيفى . ومنع من كل أمر فيه تذرع الى نقض عرى الاسـلام ، مطيعا فى ذلك لله ولرسوله ، وقافا عند كتاب الله ، ممتثلا لسـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محتذيا حذو صاحبه ، مشاورا فى أموره السابقين الأولين ، حتى ان العمدة فى الشروط على أهل الكتاب على شروطـه ، وحتى منع من استعمال كافر ، وائتمانه على الأمة واعزازه بعد اذلاله ، أى (بعد أن) أذله الله .

وحتى روى أنه حرق الكتب العجميـة ، وهو الذى أمر بأهـل البدع أن ينفوا وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل : أأحتقن . قال : لا تبد العورة ولا تستن بسنة المشركين .

فقوله : لا تستن بسنة المشركين ، عام .

ورى أبو داوود عن أنس ، أنه دخـل عليـه غـلام وله قرنان — أو قصتان — فقال : احلقوا هذين — أو قصوهما — فان هـذا زى

اليهود • علل النهى عنهما بأن ذلك زى اليهـود . وتعليل النهى بعـلة يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوبا عدمها • نقل ذلك شيخ الاسلام ، وقال أيضا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « هـل بها عيد من أعيـاد الجاهلية » ؟

وهذا نهى شديد عن أن يفعـل شيء من أعيـاد الجاهلية على أى وجه كان • وأعياد الكفار من الكتابيين والأميين فى دين الاسـلام من جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء فى التحريم . وان كان بعضـه أشد تحريما ، واذا كان الشـارع قد حسم مادة أعيـاد أهل الأوثـان خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذى يئس الشيطان أن يقيم أمرهم فى جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين أشد ، والنهى عنه أوكد ، الى أن قال : وقد بالغ صلى الله عليـه وسلم فى أمر أمته بمخالفتهم فى كثير من المباحات وصفات الطاعات ، لئلا يكون ذريعة الى موافقتهم فى غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة فى ذلك حاجزا ومانعا عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهـل الجحيم ، كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم •

فليس بعد حرصه صلى الله عليه وسلم على أمتـه ، ونصحه لهم غاية ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى النـاس ولكن أكثر النـاس لا يعلمون •

قلت : فاذا كانت مبالغته صلى الله عليه وسلم فى أمر أمتـه بمخالفة الكفار ، انما هى خوفا من أن تكون مشابهتهم فى الهدى الظاهر مؤدية وجارة الى الموافقة والموالاة ، فما بال كثير ممن يدعى الاسـلام قد وقع فى المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟!

وروى أبو داوود فى « سننه » وغيره من حديث هيثم ، وأخبرنا أبو بشر ، عن أبى عمير بن أنس ، عن عمومة له من الأنصـار ؛ قال : اهتم النبى صلى الله عليـه وآله وسلم (للصلاة) كيف يجمع النـاس لها فذكروا له شبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هـو من أمـر اليهود » قال : فذكروا له الناقوس ، فقال : « هو من أمر النصـارى » • الحديث • قال فى « القاموس » : شـبور كتنور : البـوق الذى ينفخ فيه ويزمر ، انتهى •

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم . لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم ، وناقوس النصارى المضروب باليد . علل هذا بأنه من أمر اليهود ، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى . لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له .

وهذا يقتضى نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ويقتضى كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقا فى غير الصلاة ايضا ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالنواقيس فى أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم . وانما شعار الدين الحنيف الأذان المتضمن للاعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذى به تفتح أبواب السماء ، ويهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد ابتلى كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودى والنصرانى ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى ، والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق ، هى وأمثالها مما خالفوا به هدى المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ، سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا فى العباد والبلاد ما لم يجر فى دولة الاسلام مثله . وذلك تصديق قوله صلى الله عليه وسلم : « لتركبن سنن من كان قبلكم » انتهى من « الاقتضاء » .

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدى المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الاسلام ، وقع نظيره فى هذه الأزمان . فان المنتسبين الى الاسلام سلكوا كثيرا من هدى اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبهوا بهم فى كثير من الأمور ، سلط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الاسلام ، فجرى على الاسلام محن عظيمة وأمور كبيرة ، حتى أنهم يذلون الرئيس ، ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان . ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، ويأبى الله الا اظهار دين الرسول : **« يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون : هو الذى ارسل رسوله**

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »(١) .

فاذا محص الله أهل الايمان ، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وظنوا أن الدولة لهم فى غابر الأزمان ، أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام . فمزقهم بها فى أقرب أوان ، وشردهم الى أقصى البلدان .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه ورسوله فى سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حزبه ذا حكمة مذ كانت الفئتان

وقال أيضا :

والحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذه سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه ولأجل ذاك الناس طائفتان

وقال شيخ الاسلام فى الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضى اجماع المسلمين عن التمييز عن الكفار ظاهرا ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون فى تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهانى أن عمر رضى الله عنه كتب أن لا تكاتبوا أهل الذمة فتجرى بينكم وبينهم المودة ، ولاتكنوهم ، وأذلوهم ، ولا تظلموهم . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء منكرات دينهم ، وترك اظهارها ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم . فاتفق عمر رضى الله عنه ، والمسلمون معه ، وسائر العلماء ، وبعدهم من وفقه — الله عز وجل — من ولاة الأمر ، على منعهم من أن يظهروا فى الاسلام شيئا مما يختصمون به مبالغة فى أن لا يظهر فى دار الاسلام خصائص المشركين ، فكيف اذا عملها المسلمون وأظهروها ؟!

ومنها ما يعود بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذى شرعه الله تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع من نوع اكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرون به ، كما يغتمون باهمال أمر دينهم الباطل .

---

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣

قال الشيخ ايضا : وقال تعالى : « **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء** »(١) وذلك يقتضى تبريه منهم فى جميع الأشياء ، ومن تابع غيره فى بعض أموره فهو منه فى ذلك الأمر لأن قول القائل : أنا من هذا وهذا منى • أى أنا من نوعه وهو من نوعى لأن الشخصين لا يتحدان الا بالنوع ، كما فى قوله : « **بعضهم من بعض** »(٢) ، وقوله عليه السلام لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقول القائل : لست من هذا فى شىء ، أنا متبرىء من جميع أموره . واذا كان الله ورسوله قد برىء من جميع أمورهم ، فمن كان متابعا لرسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئا لتبريه ؛ ومن كان موافقهم كان مخالفا للرسول صلى الله عليه وسلم بقدر موافقته فان الشخصين المختلفين من كل وجه ، كلما شابهه أحدهما خالفه الآخر •

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** »(٣) الآية ، وقال تعالى : « **الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم** »(٤) . يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، الى قوله : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر** »(٥) الى آخر السورة . وقال تعالى : « **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** »(٦) الى آخر السورة . فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار ؛ وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد الى يوم القيامة ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق الى يوم القيامة . وقال تعالى : « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** »(٧) الآتيتين . ونظائر هذا فى غير موضع من القرآن . ويأمركم سبحانه بموالاة المؤمنين حقا . الذين هم حزبه وجنده ؛ ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم • والموالاة والمودة وان كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة فى الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين•

---

(١) الأنعام : ١٥٩
(٢) التوبة : ٦٧ وأولها « **المنافقون والمنافقات** » .
(٣) المائدة : ٥١ — (٤) المجادلة : ١٤
(٥) المجادلة : ٢٢ — (٦) الانفال : ٧٢
(٧) المائدة : ٥٥

ومباينتهم ومشاركتهم فى الظاهر . أن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا الى نوع ما من الموالاة والمودة ، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة ، مع انها تدعو الى نوع ما من المواصلة كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه أبعاده . ولهذا كان السلف رضى الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم فى الولايات .

فروى الامام أحمد باسناد صحيح ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قلت لعمر رضى الله عنه : ان لى كاتبا نصرانيا . قال لى : مالك ؟! قاتلك الله . أما سمعت قول الله : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليا** »(١) الا اتخذت حنيفا ؟! قال : قلت : يا أمير المؤمنين .. لى كتابته ، وله دينه . قال : لا أكرمهم اذ أهانهم الله . ولا أعزهم اذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله . وكما دل عليه معنى الكتاب ، جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة خلفائه الراشدين التى أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم ، وترك التشبه بهم ، ففى « الصحيحين » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » أمر بمخالفتهم ، وذلك يقتضى أن يكون جنس مخالفتهم أمرا مقصودا للشارع ، لأنه ان كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود ، وان كان الأمر بالمخالفة فى الشعر فقط ، فهو لأجل ما فيه من المخالفة ، فالمخالفة أما علة مفردة ، أو علة أخرى ، أو بعض علة ، وعلى التقديرات تكون مامورا بها ، مطلوبة من الشارع ، فقال تعالى : « **والذين لا يشهدون الزور** »(٢) . قال الضحاك : الزور : عيد المشركين ، رواه ابو الشيخ وباسناده عنه الزور : كلام الشرك ، وباسناده عن مرة : لا يسائلون أهل الشرك على شركهم ، ولا يخالطونهم ، وباسناده عن عطاء بن يسار ، قال : قال عمر : اياكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم فى كنائسهم . وقول هؤلاء التابعين انه أعياد الكفار ليس مخالفا لقول بعضهم أنه شرك أو صنم كان فى الجاهلية ، ولقول بعضهم : أنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : أنه الغناء ، لأن عادة السلف فى تفسيرهم ، هكذا يذكر الرجل نوعا من أنواع المسمى لحاجة المستمع (اليها) ، أو للتنبيه على الجنس . ووجه تفسير التابعين تارة بما

---

(١) المائدة : ٥١ (٢) الفرقان : ٧٢

يظهر حسنه لشبهة ، أو لشهوة ، فالشرك ونحــوه يظهر حســنه لشبهة والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة ، واما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة ، وهى باطلة ، اذ لا منفعــة فيها فى الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها الى ألم ، فصــارت زورا ، وشــهودها محظورا . واذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذى هو مجرد الحضور برؤية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذى هو عمل الزور لا مجرد شــهوده ؟!

واعلم أنا لو نعلم أن موافقتهم قــد أفضت الى هــذه القبائح ، (لما وافقت) الطباع عليــه ، واوفق استدلال (على ذلك) بأن اصول الشريعة توجب النهى عن هذه الذريعة . فكيف وقد رأيناه من المنكرات التى أفضت اليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الاسلام بالكلية ؟! وسر هذا أن المشابهة تفضى الى كفر أو معصــية غالبا ، أو تفضى اليهما فى الجملة ، وما أفضى الى ذلك كان محرما .

فهذا بعض ما جــاء من الأدلة فى النهى عن مشــــابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تنبــه لسر الذى ســبق الكلام لاجله ، وهو أن المشابهة فى الظاهر انما نهى عنهــا لأنها تورث نوع مــودة وموالاة فى الباطن ، وتفضى أيضا الى كفــر أو معصية ، وهذا هــو السبب فى جرمها والنهى عنها . فاذا علمت ذلك ، وتبين لك ما وقــع فيــه كثير من الناس أو أكثرهم من مــوالاة الكفار والمشركين ، التى انما نهى عن هذه الأمور خــوفا من الوقــوع فيها ، تبين لك أنهم وقعــوا فى نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهادى الى سواء الصراط .

* * *

فصــــل

فى ذكر جــــوابات عن ايرادات أوردها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، فأجابوا عنهــا رحمهم الله وعفــا عنهم فمن ذلك : ما قولكم فى رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يعادى المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال : أنا مسلم ولكن (لا أستطيع أن) أكفر أهل لا اله الا الله ولو لم يعرفوا معناها ؟ ورجل دخل هــذا الدين وأحبه ، ولكن يقول : لا أتعرض القباب ، وأعلم أنهــا لا تنفــع ولا تضر ولكن لا أتعرضها ؟

فالجواب : أن الرجل لا يكون مسلما الا اذا عرف التوحيد ، ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، واطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به فمن قال : لا أعادى المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم . أو قال : لا أتعرض أهل لا اله الا الله ولو فعلوا الكفر والشرك ، وعادوا دين الله . أو قال : لا أتعرض القباب ، فهذا لا يكون مسلما ، بل هو ممن قال الله : **« ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا »**(١) .

والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ، ومنابذتهم وتكفيرهم . فقال : **« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم أو عشيرتهم »**(٢) . وقال تعالى : **« ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين »**(٣) . وقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول »**(٤) الآيات . والله اعلم .

نقل من جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه عبد الله ، وفى أجوبة أخرى : ما قولكم فى الموالاة والمعادة هل هم من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال والله أعلم : حسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وأوجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم .

وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وانما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه وأوجب العمل به ، فهذا الفرض والحتم الذى لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها ، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدال فى ذلك

---

(١) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ (٢) المجادلة : ٢٢
(٣) المائدة : ٥١ (٤) الممتحنة : ١ .

والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين ، الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا فى الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت عن ذلك متعين . وهذا ما ظهر لى على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم .

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين ، وهى المسألة الأولى .

وأما المسألة الثانية وهى : الأشياء التى يصير بها المسلم مرتدا : فأحدها : الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله ندا من مخلوقاته ، يدعى كما يدعى الله ، ويخافه كما يخاف الله ، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يصرف له شيئا من عبادات . فاذا فعل ذلك كفر وخرج من الاسلام ، وان صام النهار وقام الليل . والدليل على ذلك قول الله تعالى : **« واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك من اصحاب النار »(١)** .

وقوله تعالى : **« ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون »(٢)** .

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى فى عبادته مخلوقا من المخلوقين ، فقد كفر وخرج من الاسلام ، وحبطت أعماله . كما قال الله تعالى : **« ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون »(٣)** .

الثانى : اظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم ، والدليل قوله تعالى : **« ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر ، والله يعلم اسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم »(٤)** .

وذكر الفقيه سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد

---

(١) الزمر : ٨ — (٢) المؤمنون : ١١٧

(٣) الأنعام : ٨٨ — (٤) محمد : ٢٥ — ٢٨

ابن عبد الوهاب فى هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ؛ وحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استدل بها أن المسلم اذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير اكراه ، أنه يكون بذلك مرتدا خارجا من الاسلام . وان كان يشهد أن لا اله الا الله ، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه .

وقال شيخ الاسلام المذكور امام هذه الدعوة الحنيفية فى كلامه على آخر سورة « الزمر » . الثانية : أن المسلم اذا أطاع من أشار عليه فى الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فانهم لم يريدوا من النبى صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب الى الاسلام فى اظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم ، وبطن أنه لا يكفر اذا كان قلبه كارها له .. الى أن قال : الثالثة : أن الذى يكفر به المسلمين ،ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فان هؤلاء الذين ذكرهم الله ، لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم ، بل اذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم ، فهذا كافر، لا من أكره .. الى أن قال: ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام وهو المعنى الذى نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم فى شىء من دينهم الظاهر . مع كون القلب بخلاف ذلك ، فان هذا هو الذى أرادوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فافهمه فهما حسنا ، لعلك تعرف شيئا من دين ابراهيم عليه السلام ، بادأ أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال فى سورة « الكهف » .

التاسعة : المسألة المشكلة على أكثر الناس : أنه اذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم ، فقد كذب فى قول : لا اله الا الله ، واتخذ الهين اثنين ، وما أكثر الجهل بهذه والتى قبلها !

العاشرة : أنه لو يصدر منهم ، أعنى موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك ، فهو قوله شطط ، والشطط : الكفر .

واعلم أن اظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتى فى المسألة الثالثة ان شاء الله تعالى .

الأمر الثالث مما يصير به المسلم مرتدا : موالاة المشركين والدليل

قوله تعالى : ((**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين**))(١) . وقوله تعالى : ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء**))(٢) . فذكر فى الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم . ذكر معناه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله : ((**ومن يتولهم منكم فانه منهم**)) : ليتق احدكم أن يكون يهوديا او نصرانيا وهو لا يشعر . وقال ابن جرير فى قوله : ((**فليس من الله فى شىء**)) . يعنى فقد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه . وأما قوله ((**الا ان تتقوا منهم تقاة**))(٣) . فهى كقوله : ((**الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان**))(٤) وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى .

الأمر الرابع : الجلوس عند المشركين فى مجالس شركهم من غير إنكار والدليل قوله تعالى : ((**وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم اذن مثلهم ، أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا**))(٥) .

وفى أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى : سئلوا عن هذه الآية ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » قالوا : الجواب أن الآية على ظاهرها ، أن الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فهو كافر مثلهم ، وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر ، والرضا بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضى بالذنب ، كفاعله، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافرا .

---

(١) المائدة : ٥١
(٢) آل عمران : ٢٨
(٣) النحل : ١٠٦
(٤) النساء : ١٤٠

ولهذا لما وقعت الردة وادعى أناس منهم « أنهم » كـارهوا ذلك . لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، الا من أنكر بلسانه . وكذلك قوله فى الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فهو مثله ، على ظاهره ، وهـو ان الذى يدعى الاسـلام ، ويكون مع المشركين فى الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعـده المشركون منهم ، فهو كـافر مثلهم وان ادعى الاسـلام ، الا أن يكون يظهـر دينـه ، ولا يتـولى المشركين . انتهى .

وقلت : ويأتى مخاطبة خالد لمجـاعة ، وفيـه : يا مجاعة ! تركت اقرارا له الى آخره .

وتقدم قول عبد الله بن عمرو . من بنى ببلاد المشركين ، فصـنع نيروزهم ومهرجانهم وتشـبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة . وقال تعـالى : « **ولكن من شـرح بالكفـر صـدرا فعليهم غضـب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيـا على الآخـرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين** »(١) .

الأمر الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسـوله . والدليل على ذلك قـوله تعالى : « **قل أبالله وآياته ورسـوله كنتم تسـتهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ، ان نعف عن طائفة منكم نعـذب طائفـة بانهم كانوا مجرمين** »(٢) .

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذى نزلت الآية ، فيه ، وهو قولهم . ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطـونا ، ولا أكذب ألسـنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين ، كقول بعضهم : دينكم هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق . وقول الآخر ، اذا رأى الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكـر : جاءكم أهل الديك ـ بالكاف بدل النون ـ ، وقول الآخر اذا رأى طلبة العلم : هؤلاء الطلبة ـ بسكون اللام ـ ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى الا بكلفة ، مما هـو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية .

النوع الثانى غـير الصريح : وهـو البحر الذى لا ساحل له ، مثل

---

(١) النحل : ١٠٦ ، ١٠٧ . (٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

الرمز بالعين . واخراج اللسان . ومد الشفة ، والغمزة باليد عند كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الأمر السادس : ظهور الكراهة والغضب عند الدعوة الى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ، قل افأنبئكم بشر من ذلكم ، النار وعدها الله الذين كفروا ، وبئس المصير** »(١) . فذكر الله هذا الصنف فى أول هذه الآية وآخرها .

الأمر السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والسنة والدليل قول الله : « **ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فاحبط أعمالهم** »(٢) .

الأمر الثامن : عدم الاقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث. والمجادلة فى ذلك . والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد** »(٣) .

الأمر التاسع : جحد الناس شيئا من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئا مما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا** »(٤) . وهذا أخص من الذى قبله .

الأمر العاشر : الاعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك ، والدليل قوله تعالى : « **والذين كفروا عما انذروا معرضون** »(٥) .

الأمر الحادى عشر : كراهة اقامة الدين والاجتماع عليه ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى**

---

(١) الحج : ٧٢ (٢) محمد : ٩
(٣) غافر : ٤ (٤) النساء : ١٥٠ ، ١٥١
(٥) الأحقاف : ٣

اوحينا اليك وما وصـينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيـه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليـه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب »(١) فذكـر أنه لا يكـره اقامـة الدين الا مشرك ، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو كافر ٠

الأمر الثـاني : السـحر ٠ تعلمـه وتعليمـه والعمـل بموجبـه ، والدليل قول الله تعـالى : « **وما يعلمان من أحـد حتى يقـولا انمـا نحن فتنة فلا تكفر** »(٢) ٠

الأمر الثالث عشر : انكـار البعث ، والدليـل قـول الله تعالى : « **وان تعجب فعجب قولهم ائـذا كنـا ترابا ائنـا لفي خلق جـديد ، أولئك الذين كفروا بربهم** »(٣) . الى قوله : « **خالدون** » ٠

الأمر الرابع عشر : التحاكم الى غير كتاب الله وسـنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم ٠

قال ابن كثير : كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهـالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخـوذة عن جنكـز خان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام اقتبسها من شرائع شتى ، فصار في بيته يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سـواه في قليل ولا كثير ٠

قال تعـالى : « **افحكم الجـاهلية يبغـون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** »(٤) ٠

قلت : ومثل هؤلاء ما وقـع فيه عامة البوادي ومن شـابههم ، من تحكيم عادات آبائهم (ومـا) وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها شرع الرفاقة ، يقدمونها على كتاب الله وسـنة رسـوله ٠ ومن فعل ذلك فانه كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ٠

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولا ريب أن من لم يعتقـد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين

---

(١) الشورى : ١٣ (٢) البقرة : ١٠٢
(٣) الرعـد : ٥ (٤) المـائدة : ٥٠

الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف(١) البادية وكانوا « الأمراء » المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به ، دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون .

فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار . انتهى من « منهاج السنة النبوية » ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون** »(٢) . فرحمه الله وعفا عنه ، فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها ، وان كان قد يقال : ان بعضها يغني عن بعض ، أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح .

وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى ، فكثير جدا وقد ذكر صاحب « الاقناع » أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بعد اسلامه ، وقد لخصت منه مواضيع يسيرة ، فمن ذلك قوله : قال الشيخ : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقا .

ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا . ومنه قوله : أو وجد منه امتهان القرآن ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : وسخر بوعد الله أو وعيده ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : أو لم يكفر من دان بغير الاسلام ، أو شك في كفرهم ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : قال الشيخ : ومن استحل الحشيشة كفر بلا نزاع .

قلت : ومن استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم واعانتهم على المسلمين ، فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك آكد وأشد من تحريم الحشيشة .

---

(١) أي عادات أهل البادية .   (٢) المائدة : ٤٤

ومنها قوله : ومن سب الصحابة أو أحدا منهم ، واقترن سبه بدعوى أن عليا اله أو نبى أو أن جبريل غلط ، فلا شك فى كفر هــذا ولا شك فى كفر من توقف فى تكفيره ٠

ومنها قوله : أو زعم أن للقرآن تأويلات باطنــة تســقط الأعمال المشروعة ، ونحو ذلك ، فلا خلاف فى كفر هؤلاء ٠

ومنها قوله : أو زعم أن الصحابة ارتدوا بعــد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نفرا قليلا لا يبلغون بضــعة عشر ، أو أنهم فســـقوا ، فلا ريب أيضــا فى كفر قائل ذلك ، بل من شك فى كفره فهو كافر ٠ انتهى ملخصا وعزاه « الصارم المسلول » ٠

ومنها قوله : ومن أنكــر أن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وســلم ، فقــد كفر ، لقــوله تعالى : ((**اذ يقــول لصــاحبه**))(١) ٠

قلت : فاذا كان من جحد مدلول آية كفــر ٠ ولم تنفعه الشهادتان ولا الانتساب الى الاســلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آيــة أو أربعين ؟! أفلا يكون كافرا لا تنفعــه الشهادتان ولا ادعــاء الاسلام ؟ بلى والله ، بلى والله ، ولكن نعــوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه ٠

ومنها قوله : أو جحد الخبز أو اللحــم والمــاء ، أى فيكفر بذلك ٠

ومنها قوله : أو أحــل الزنا ونحوه ، أى فيكفر بذلك ، ومن أحل الركون الى الكافرين وموادة المشركين ، فهو أعظم كفــرا ممن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة ٠

وكلام العلماء رحمهم الله تعــالى فى هــذا الباب لا يمكن حصره ٠ حتى ان بعضهم ذكــر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها بالارتداد عن الاسلام ، وأنه يستتاب منها ٠ فان تاب والا قتل مرتدا ٠ ولم يغسل ولم يصل عليه ، ولم يدفن مــع المسلمين ٠ وهــو مع ذلك يقول : لا اله الا الله ، ويفعل الأركان الخمســة ، ومن له أدنى نظــر واطلاع على كلام أهل العلم ، فلابد أن يكون قد بلغه بعض ذلك ٠

وأما هذه الأمور التى تقــع فى هــذه الأزمان من المنتســبين الى الاسلام ، بل من كثير ممن ينتسب الى العلم ، فهى من قواصم الظهور ،

---

(١) التوبة : ٤٠ .

وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفرات ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء ، لما كان أكثرها محتاجا لمن ينبه عليه .

* * *

فصل

وأما المسألة الثالثة وهى ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ، واظهار الطاعة لهم ، فاعلم أن اظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الحال الأولى : أن يوافقهم فى الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره ويميل اليهم ويوادهم بباطنه ، فهذا كافر خارج من الاسلام ، سواء أكان مكرها على ذلك او لم يكن . وهو ممن قال الله فيه **((ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم))**(١) .

الحال الثانى : أن يوافقهم ويميل اليهم فى الباطن مع مخالفته لهم فى الظاهر : فهذا كافر أيضا ، ولكن اذا عمل بالاسلام ظاهرا عصم ماله ودمه ، وهو المنافق .

الحال الثالث : أن يوافقهم فى الظاهر مع مخالفته لهم فى الباطن وهو على وجهين :

أحدهما : أن يفعل ذلك لكونه فى سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له ، ويهددونه بالقتل ، فيقولون له : اما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا ، والا قتلناك ، فانه والحالة هذه يجوز له موافقتهم فى الظاهر مع كون قلبه مطمئنا بالايمان ، كما جرى لعمار حين انزل الله تعالى : **((من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان))**(٢) وكما قال تعالى : **((الا أن تتقوا منهم تقاة))** (٣) فالآيتان تبينان أن من خاف شرهم فله أن يتقيه بظاهره ، لا بباطنه ونيته كما نبه عن ذلك ابن كثير فى تفسير آية آل عمران .

الوجه الثانى : أن يوافقهم فى الظاهر مع مخالفته لهم فى الباطن ، وهو ليس فى سلطانهم ، وانما حمله على ذلك اما طمع فى رياسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال ، أو خوف مما يحدث فى المآل ، فانه فى

(١،٢) النحل : ١٠٦ (٣) آل عمران : ٢٨

هذه الحال يكون مرتدا ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ؛ وهو ممن قال الله فيهم : « **ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وأن الله لا يهدى القوم الكافرين** »(١) . فاخبر انه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه ، ولا محبة الباطل ، وانما هو أن لهم حظا من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين .

هذا معنى كلام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذرا ، فانه من تزيين الشيطان . وتسويله ، وذلك أن بعضهم اذا خوفه أولياء الشيطان خوفا لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك اظهار الموافقة للمشركين ، والانقياد لهم . وآخر منهم اذا زين له الشيطان طمعا دنيويا ، تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين لأجل ذلك ، وشبه على الجهال بأنه مكره ، وقد ذكر العلماء صفة الاكراه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكره ، فليس فى كلمات الكفر كالاكراه المعتبر فى الهبة ونحوها ، فان أحمد قد نص فى غير موضع على أن الاكراه على الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قيد . ولا يكون الكلام اكراها . وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه ، فلها أن ترجع على أنها لا تهب له الا اذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة اكراها ولفظه في موضع آخر : لأنه أكرهها ؛ ومثل هذا لا يكون اكراها على الكفر ، فان الأسير ان خشي الكفار ، أن يحولوا بينه وبين امرأته ، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر » اهـ .

والمقصود منه ان الأكراه على كلمة الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قتل ، وأن الكلام لا يكون اكراها ، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته ، لا يكون اكراها . فاذا علمت ذلك ، وعرفت ما وقع من كثير من الناس ، تبين لك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » ، وقد عاد غريباً ، وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة .. وبالله التوفيق .

---

(١) النحل : ١٠٧

فصـــــل

وأما المسألة الرابعـة : وهي مسـألة اظهار الدين ، فان كثيرا من الناس قد ظن أنه اذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين ، وأن يصلي الصلوات الخمس ، ولا يرد عن المسجد ، فقد أظهر دينه وان كان مع ذلك بـين المشركين ، أو في أماكن المرتدين ، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط .

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات ، وقـد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفه من طوائف الكفران ، اشـتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهرا لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشـتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته والبراءة منه ، فمن كـان كفره بالشرك ، فاظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد ، والنهي عن الشرك والتحـذير منـه . ومن كان كفره بجحد الرسـالة ، فاظهار الدين عنـده التصريح بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعوة الى اتباعه ، ومن كان كفره بترك الصلاة ، فاظهار الدين عنده فعل الصلاة والأمـر بها ، ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، فاظهار الدين عنـده التصريح بعداوته والبراءة منه ومن المشركين .

وبالجملة فلا يكون مظهرا لدينه الا من صرح لمن سـاكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهـذا الشيء الذي صار به كافرا ، وبراءته منه . ولهـذا قال المشركون للنبي صلى الله عليـه وسـلم : عاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وشتم آلهتنا .

وقال الله تعـالى : « **قل يا أيهـا الناس ان كنتم في شـك من ديني فلا أعبد الذين تعبـدون من دون الله ولكن أعبـد الله الذي توفاكم ، وأمـرت أن أكـون من المؤمنين . وأن أقـم وجهك للدين حنيفـا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعـك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين** »(١) . فأمر الله تعالى نبيـه صلى الله عليـه وسـلم أن يقول لهم : « **يا أيها الناس ...** » الى آخـره ، أي اذا شككتم في الدين الذي أنا عليه فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهـاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

---

(١) يونس : ١٠٤ — ١٠٦

وقال تعالى : **« قل يا ايهـا الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبـد »**(١) الى آخر السورة ، فامر الله رسوله صلى الله وسلم ان يقول للكفار : دينكم الذى أنتم عليه أنا برىء منـه ، ودينى الذى أنا عليـه أنتم برآء منـه ، والراد التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه برىء منهم ومن دينهم .

فمن كان متبعا للنبى صلى الله عليـه وسلم (فعليه) أن يقـول ذلك ، ولا يكون مظهرا لدينه الا بذلك ، ولهذا لما عمـل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون ، أمـرهم النبى صلى الله عليه وسـلم بالهجرة الى الحبشة ولو وجـد لهم رخصة فى السكوت عن المشركين لمـا أمـرهم (بالهجرة) الى بلد الغربة .

وفى السيرة أن خالد بن الوليد لمـا وصل الى العرض فى مسيره الى أهل اليمامة لمـا ارتدوا ، قـدم مائتى فارس وقال : من أصبتم من الناس فخذوه ، فأخذوا مجاعة فى ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ، فلما وصل الى خالد قال له : يا خالد .. لقد علمت أنى قدمت على رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فبايعته على الاسـلام ، وأنا اليـوم على ما كنت عليه أمس ، فان يك كذابا قد خرج فينا ، فان الله يقـول : **« ولا تزر وازرة وزر اخرى »**(٢) **فقال : يا مجـاعة .. تركت اليـوم** ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسـكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة ــ وقد بلغك مسيرى ــ اقرارا له ورضـاء بما جـاء به ، فهلا (أبديت) عذرا وتكلمت فيمن تكلم ؟! فقد تكلم ثمـامة فـرد وأنكر ، وتكلم اليشـكرى .

فان قلت : أخاف قومى ، فهلا عمدت الى أن بعثت الى رسـولا ؟! فقال : ان رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ؟ فقال : قـد عفوت عن دمك ، ولكن فى نفسى حرج من تركك . انتهى .

وسيأتى فى ذكر الهجرة قول أولاد الشـيخ : ان الرجـل اذا كان فى بلد كفر ، وكان يقدر على اظهار دينه حتى يتبرأ من أهـل الكفـر الذى هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم بأنهم كفار ، وأنه عـدو لهم . فان لم يحصل ذلك ، لم يكن اظهار الدين حاصلا .

---

(١) سورة الكافرون (٢) الانعام : ١٦٤

فصـــــل

وأما المسألة الخامسة : وهي مسـألة الاستضعاف ، فان كثيرا من الناس ، بل أكثر من ينتسب الى العـلم في هذه الأزمان غلطـوا في معنى الاستضعاف ، وما هو المراد به .

وقد بين الله ذلك في كتابه بيانا شافيا ، فقال تعـالى : **((وما لكم لا تقاتلون في سـبيل الله والمستضعفين من الرجـال والنسـاء والولدان الذين يقولون ربنـا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعـل لنـا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا))**(١) .

فبين تعالى مقالتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقـام ، وذلك أنهم يدعون الله أن يخـرجهم ، فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذر عليهم .

ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم ، وسـؤالهم ربهم أن يجعل لهم وليا يتولاهم ويتولونه ، وأن يجعـل لهم ناصرا ينصرهم على أعدائهم الذين هـم بين أظهـرهم . وقال تعـالى : **((الا المستضعفين من الرجال والنسـاء والولدان لا يسـتطيعون حيـلة ولا يهتدون سبيلا))**(٢) . فذكر في هذه الآية حالتهم التي هـم عليها : وهي أنهم لا يستطيعون حيـلة .

قال ابن كثير : لا يقدرون على التخلص من أيدي المشـركين ، ولو قـدروا ما عـرفوا يسلكون الطريق ، ولهـذا قال : **((لا يستطيعون حيلة))** . قال عكرمة : يعني نهوضـا الى المدينة **((ولا يهتدون سـبيلا))** . قال مجاهد وعكرمة : يعني طريقا . انتهى .

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهـر المشركين وهم مع ذلك : **((يقولون ربنا اخرجنا من هـذه القـرية الظـالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعـل لنـا من لدنك نصـيرا))**(٣) . وهم مع ذلك (يعرفون) الطريق ، فمن كانت هـذه حاله ومقـاله : **((فاولئك عسى الله أن يعفـو عنهم ، وكان الله عفـوا غفـورا))**(٤) .

---

(١) النسـاء : ٧٥ (٢) النسـاء ٩٨
(٣) النسـاء : ٧٥ (٤) النسـاء ٩٩

واما اذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ، ولم يمنعه من ذلك الا المشحة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فان الله تعالى لم يعذر من اعتذر بذلك ، وسماه ظالما لنفسه . فقال تعالى : **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا »**(١) .

وفى تفسير الجلالين قوله : « **ظالمى انفسهم** » بالمقام بين المشركين ، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية عامة فى كل من أقام بين ظهرانى المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكنا من اقامة الدين ، فهو مرتكب حراما بالاجماع وبنص الآية حيث يقول : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم** » اى بترك الهجرة : « **قالوا فيم كنتم** » . اى لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة ؟ « **قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا** » .

وروى أبو داوود عن سمرة بن جندب مرفوعا : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » .

وقال السدى : لما أسر العباس وعقيل ونوفل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « أفد نفسك وبر أخويك » قال : يا رسول الله .. ألم نصل الى قبلتك ونشهد شهادتك ؟ قال : « يا عباس انكم خاصمتم فخصمتم » . ثم تلا هذه الآية : « **الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها** »(٢) الآية . رواه ابن أبى حاتم . انتهى .

والمقصود منه : بيان مسألة الاستضعاف ، وأن المستضعف هو الذى لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا ، وهو مع ذلك يقول : **« ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا »**(٣) وبيان ان الذى يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله ، ويدعى أنه يكون بذلك مستضعفا كاذب فى دعواه ، وعذره غير مقبول عند الله تعالى ، ولا عند رسوله ، ولا عند أهل العلم لشريعة الله .

---

(١) النساء : ٩٧ (٢) النساء : ٩٧

(٣) النساء : ٧٥

فصـــــل

وأما المسألة السادسة : وهي وجوب الهجرة وأنها باقية ، فالدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنقطع الهجـرة حتى تنقطـع التوبة ، ولا تنقطـع التـوبة حتى تطـلع الشمس من مغـربها » رواه أحمد وأبو داوود .

وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد قال : حـدث أنس عن النبى صلى الله عليـه وآله وسـلم أنه قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » .

قال ابن كثير : معناه لا تقاربوهم فى المنازل بحيث تكونون معهـم فى بلادهم ، بل تباعدوا منهم ، وهاجروا من بلادهم .

ولهذا روى أبو داوود : « لا تتراءى نارهما » وفى الحـــديث الآخر : « من جامع المشرك وسـكن معه فهو مثله » . فقال تعـالى :

« ان الذين توفاهم الملائكـة ظالمى انفسـهم قالوا فيـم كنتم قـالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيهـا ، فاولئك ماواهم جهنم ، وسائت مصيرا »(1) .

وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : كان قوم من أهـل مكـة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالاسـلام ، فأخرجهم المشركون يـوم بدر (معهـم) فأصنيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين واكرهوا فاسـتغفروا لهم ، فنزلت : **« ان الذين توفـاهم الملائكـة ظالمى انفسـهم »** الآية .

وقال الضحاك : نزلت فى أناس من المنافقين تخلفـوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا . ذكـره ابن كثير ثم قال : فهذه الآية عامة فى كل من أقام بين ظهرانى المشركين ، وهو قادر على الهجـرة ، وليس متمكنا من اقـامة الدين ، فهو مرتكب حراما بالاجماع ، وبنص الآية حيث يقـول : **« ان الذين توفاهم الملائكـة ظالمى انفسهم ... »** .

---

(1) النساء : ٩٧

وفى أجوبة آل الشـيخ لما سئلوا : هل يجوز للانسان أن يسافر الى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : ان كان يقدر على اظهار دينه (و) لا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة كأبى بكر رضى الله عنه وغيره ، ولم ينكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمـد فى مسنده وغيره ، وان كان لا يقدر على اظهـار دينه ولا على عـدم موالاتهم لم يجز له السفر الى ديارهم ، كمـا نص على ذلك العلمـاء ، وعليـه نحمل الأحاديث التى تدل على النهى عن ذلك ، ولأن الله تعـالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد وفرض عليـه عداوة المشركين ، فما كـان ذريعة وسـببا الى اسقاط ذلك ، لم يجز ، وأيضـا فقد يجره ذلك الى موافقتهم ورضاهم كما هـو الواقـع الكثير ممن يسـافر الى بلـدان المشركين من فساق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس فى بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة ، والجواب عن التى قبلها سواء ، ولا فرق فى ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلدة لا يقـدر المسـلم على اظهار دينه فيها لا يجوز السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المـدة القريبة مثل شهر أو شهرين . وبين المدة البعيدة ؟ فكل بلد لا يقدر على اظهار دينـه فيهـا ، ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام ولا يوما واحـدا ، اذا كـان يقدر على الخروج منها . انتهى .

وفى أجوبة أخرى : ما قولكم فى رجل دخل هذا الدين ، وأحبـه ويحب من دخل فيه ، ويبغض الشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة الاسلام ويقاتلون أهله ، ويعتذر بأن ترك الوطن يشـق عليـه ، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار ، فهل يكون مسلما هذا أم كافرا ؟

الجواب : أما الرجل الذى عرف التوحيد وآمن به ، وأحبه وأحب أهله ، وعرف الشرك وأبغضه وابغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر ، فهذا فيه تفصيل ، فان كان يقدر على اظهار دينـه عندهم ويتبرأ منهم ومما هـم عليـه من الدين ، ويظهـر لهم كفـرهم

وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكن اذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهر المشركين ، فنخاف أن يكون قد دخل فى أهل هذه الآية : **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »**(١) الآيتان ، فلم يعذر الله الا من لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلا ، ولكن قل أن يوجد اليوم من هو كذلك ، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم ، بل اما قتلوه واما أخرجوه . وأما من ليس له عذر فى ترك الهجرة ، وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم ، وأن دينهم حق ، ودين الاسلام حق ؛ فهذا كافر مرتد ولو عرف الدين بقلبه ، لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة ، وتكلم بكلام الكفر من غير اكراه ، فدخل فى قوله : **« ولكن من شرح بالكفر صدرا »**(٢) الآيات .

هذا من جواب الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم . وكما سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة .

وبعضهم يقول : هذا الأمر حق ، ولا أغير منكرا ولا آمر بمعروف . وينكر على الموحدين اذا قالوا : تبرأنا من دين الآباء والأجداد .

والذى يقول هذا الأمر زين ، لا يمكنه (أن) يقوله جهارا ، أجابوا بأن أهل هذه القرية المذكورة ، اذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التى يكفر من خالفها ، حكمها حكم الكافر والمسلم الذى بين أظهرهم ، ولا يمكنه اظهار دينه ، تجب عليه الهجرة اذا لم يكن ممن عذره الله ، فان لم يهاجر ، فحكمه حكمهم فى القتل وأخذ المال . انتهى .

وفى هذه الأجوبة مسائل : منها بيان المستضعف ، وأنه الذى لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا وقد تقدم ذلك . ومنها أن المسلم الذى لم يقدر على اظهار دينه واجبة عليه الهجرة ، وقد تقدم أيضا . ومنها صفة اظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفار بكفرهم وعداوته لهم . ولما هم عليه من الدين ، وقد تقدم أيضا . ومنها بيان أنه اذا فعل ذلك أعنى مصرح بكفرهم ، وعداوته لهم ، فانهم لا يتركونه بين أظهرهم ، بل اما قتلوه أو أخرجوه .

---

(١) النساء : ٩٧   (٢) النحل : ١٠٦

قلت : وقد اخبر الله بذلك جميع الكفار ، فقال تعـالى : ((**وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنـا ، فاوحى اليهـم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسـكننكم الأرض من بعـدهم ، ذلك لمن خـاف مقامى وخاف وعيد**))(١) .

وقال تعالى اخبارا عن قـوم شعيب : ((**قال الملأ الذين اسـتكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنـوا معك من قريتنا أو لتعـودن فى ملتنا ، قال أو لو كنا كارهين**))(٢) .

وقال تعالى اخبارا عن اصـحاب الكهف : ((**انهم ان يظهـروا عليكم**)) الآية ، وقوله ((**يرجموكم**))(٣) أى يقتلوكم بالرجم .

وهذا الذى أخبـر الله به ، وأشـار اليه أئمة الاسلام ، وهو الواقع فى هذه الأزمان .

فان المرتدين بسـبب موالاة المشركين والدخـول فى طـاعتهم ، لا يرضون الا بمن وافقهم على ذلك ، واذا أنكـره عليهم منكر آذوه أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، بل سـعوا فى قتله ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

والله المستعان

* * *

---

(١) ابراهيم : ١٣ ، ١٤ (٢) الاعراف : ٨٨

(٣) الكهف : ٢٠

الرسالة الثالثة عشرة :

هذا بيان المحجة فى الرد على اللجة

تاليف

شيخنا وامامنا ناصر السنة الشيخ عبد الرحمن بن حسن
ابن شيخ الاسلام ومفتى الانام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
اسكنهم الله الجنة بغير حساب آمين والمسلمين اجمعين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد ابن عبد الوهاب أجزل الله لهم الثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب :

اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له **« الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا »**(١) .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى قال الله خطابا له :

« يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منير »(٢) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ، ومن أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا .

أما بعد .. فانى وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن وقد سئل عن أبيات من « البردة » وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهى لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله ، كما هو صريح الأبيات المذكور فى « البردة » .

---

(١) الفرقان : ٢ ، ٣ (٢) الاحزاب : ٤٥ : ٤٦

ولا يخفى على من عـرف دين الاسلام أنه الشرك الأكبر الـذى لا يغفره لمن لم يتب عنـه ، وأن الجنـة عليه حرام ، وذكر الشـيخ فى جوابه أن الأبيات المذكورة تضمنت الشرك ، وصرف خصـائص الربوبية والالهية لغير الله .

فاعترض عليـه جاهل ضال فقال مبرئا لصاحب الأبيـات من ذلك الشرك بقوله : حماه الله من ذلك ، ويكفيه فى نفى هـذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع ما ادعته النصارى فى نبيهم *

البيت المطابق لقـول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تطـرونى كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم » .

الجواب : أن هذه التبرئة انما نشأت عن الجهل وفساد التصرف ، فلو عـرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده ، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته . وعـرفوا معنى كـلام الله وكلام رسوله ، لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهـل التوحيد ، كمـا قال تعالى فى حق من هذا وصفه :

« وان كثيرا ليضـلون باهوائهم بغـير عـلم ، ان ربك هـو اعـلم بالمعتدين »(١) .

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيرا من هذه الأمة ، فظهـر فيها ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « لتتبعن سـنن من كان قبلكم حذو القـذة بالقـذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسـول الله .. اليهـود والنصارى ؟ ... قال : « فمن » ؟ ونحو هذا من الأحاديث . وقـوله : ويكفيه فى نفى هـذه الشفاعة قوله أول المنظومة :

* دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * البيت

الجواب : أن هـذا يزيده شـناعة ومقتا ، لأن هـذا تناقض بين ، وبرهان على أنه لا يعـلم ما يقول . فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى ،

---

(١) الانعـام : ١١٩

من الغلو العظيم الذى نهى الله عنه ورسوله ؛ ولعن النبى صلى الله عليه وسلم من فعله أو فعل ما يوصل اليه بقوله : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم ، انما أنا عبد ، فقالوا عبد الله ورسوله » . وقوله لما قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال : « أجعلتنى لله ندا ، بل ما شاء الله وحده » . وقال : « أنه لا يستغاث بى ، وانما يستغاث بالله عز وجل » . فلقد حذر أمته وأنذرهم عن الشرك ووسائله وما دق منه وجل ، ودعا الناس الى التوحيد ، ونهاهم عن الشرك ، وجاهدهم على ذلك حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحى الشام واليمن وغير ذلك . وقد بعث السرايا فى هدم الأوثان وازالتها كما هو مذكور فى كتب الحديث والتفسير والسير ، كما فى حديث أبى الهياج الأسدى الذى فى « الصحيح » قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع قبرا مشرفا الا سويته ، ولا تمثالا الا طمسته » .

وقد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لهدم مناة ، وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العزى ، وقطع السموات التى كانت تعبدها قريش وهذيل ، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها ، وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التى كانت تعبد من دون الله . والصحابة رضى الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر ، واعتنوا بازالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما يقع فى أمته من الاختلاف ، كما فى حديث العرباض بن سارية قال : « فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ... » الحديث ، فوقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وعظم الاختلاف فى أصل الدين بعد القرون المفضلة ، كما هو معلوم عند العلماء . ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرجنا عن المقصود من الاختصار .

فانظر الى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ، فلقد عمت هذه البلية فى كثير من البلاد ، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد فى أناس ينسبون الى العلم .

قال سليمان التميمي : لو أخذت كل عالم لاجتمع فيك الشر كله ، فانا لله وانا اليه راجعون . وقوله المطابق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم » .

أقول : لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولابد ، لكنها في المنهي عنه لا في النهي ، فالذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من الاطراء طابقته الأبيات من قوله :

يا أكرم الخلق مالي من الوذ به سواك .. الى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم ، فانه قصر خصائص الالهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه ، وقصرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرفها لغير الله ، فان الدعاء مخ العبادة ، واللياذ من أنواع العبادة ، وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والالتجاء والرغبة الى غير الله ، فان غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة (التي) ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وشكرها لمن قصرها على الله ، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى : **((هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين))**(١) . وقوله : **((وقال ربكم ادعوني استجب لكم))**(٢) . وقوله : **((وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا . قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا . قل اني لن يجيرني من الله احد ، ولن اجد من دونه ملتحدا))**(٣) الآية .

فهذا هو الدين الذي بعث الله (به) نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يقول لهم : **((انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا))**(٤) فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الالهية . وقال : **((قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا))** الى آخر الآيات .

وهذا هو توحيد الربوبية ، فوجد الله في الهيته وربوبيته ، وبين

---

(١) غافر : ٦٥. (٢) غافر : ٦٠.
(٣) الجن : ١٩ — ٢٢ (٤) الجن : ٢٠.

للأمة ذلك ، كما أمره الله تعالى . وقال تعالى : « **فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب** »(١) .

أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى . وقال : « **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاضعين** »(٢) .

ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمنى الجن :
« **وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** »(٣) .

واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعا : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ... » الحديث . على أن القرآن غير مخلوق ، اذ لو كان مخلوقا لما جاز أن يستعاذ بمخلوق ، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وأمثال ذلك فى القرآن والحديث كثير ، يظهر بالتدبر .

وأما قول المعترض : اذ النصارى يقولون : ان المسيح ابن الله ، نعم قاله طائفة ، وطائفة قالوا : هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا : هو ثالث ثلاثة ، وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ، فأنكر الله عليهم تلك الأقوال فى المسيح ، وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك ، كما قال تعالى : « **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا إلها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون** »(٤) .

فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان . أما المسيح فعبادتهم له بالتأله ، وصرف خصائص الالهية له من دون الله ، كما قال تعالى : « **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق** »(٥) . فأخبر أن الالهية وهى العبادة حق الله لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله : « **ما قلت لهم الا ما امرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم** »(٦) .

---

(١) الشرح : ٧ ، ٨ — (٢) الانبياء : ٩٠
(٣) الجن : ٦ — (٤) التوبة : ٣١
(٥) المائدة : ١١٦ — (٦) المائدة : ١١٧

وأما عبادتهم للأحبار والرهبان فانهم أطاعوهم فيما حللوه لهم من الحرام ، وتحريم ما حرموه عليهم من الحلال .

وأما قدوم عدى بن حاتم رضى الله عنه عند النبى صلى الله عليه وسلم بعد فراره الى الشام ، وكان قبل مقدمه على النبى صلى الله عليه وسلم نصرانيا ، فلما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مسلما ، تلا هذه الآية : ((**اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**))(١) .

قال : يا رسول الله .. لسنا نعبدهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أليسوا يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ، ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه » ؟ قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » ففيه بيان أن من أشرك مع الله غيره فى عبادته ، وأطاع غير الله فى معصيته فقد اتخذه ربا ومعبودا ، وهذا بين والحمد لله . فلو تأمل هذا الجاهل المعترض قول الله تعالى : ((**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله**))(٢) .

لعلم أن الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم ، وعلى كل من عبد معه غيره بأى نوع كان من أنواع العبادة . لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد ، وألفوا الشرك ، وأحبوه ، وأحبوا أهله ، فترى مآب هذا الداء العضال الى ما ترى من التخليط والضلال ، والاستغناء بالجهل ، ووساوس الشيطان . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم الا بالتجرد عن الهوى والعصبية ، والاقبال عن تدبر الآيات المحكمات فى بيان التوحيد الذى بعث الله به المرسلين ، كما قال تعالى : ((**يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**))(٣) . ومثل قوله تعالى : ((**قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله**))(٤) .

أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب الى أن يخلصوا العبادة لله وحده .

---

(٢) التوبة : ٣١ — (٢) المؤمنون : ٩١
(٣) يونس : ٥٧ — (٤) آل عمران : ٦٤

ولا يشركوا فيها أحـدا من خلقه ؛ فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم ، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم .

وتأمل قوله : ((**كلمة سواء بيننا وبينكم**)) .

وهذا هو التوحيد الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم الى جميع من ارسل اليه ، كما قال تعالى : ((**قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به ، اليه ادعوا واليه مآب** (١) . وقوله : ((**ولا تشرك به شيئا**)) يعم كل شرك دق أو جل ، كثر أو قل .

قال العماد بن كثير فى تفسيره : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراهم ، وقوله : ((**سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا**))(٢) .

لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له .

قلت : وهذا هو معنى : ((لا اله الا الله)) ؛ ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل .

قال الله تعالى : ((**وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون**))(٣) .

وقال : ((**ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))(٤) . انتهى المقصود .

وقال رحمه الله فى تفسير قوله : ((**ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله**))(٥) . الآية .

قال محمد بن اسحاق ، حدثنا محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول

---

(١) الرعد : ٣٦
(٢) آل عمران : ٦٤
(٣) الانبياء : ٢٥
(٤) النحل : ٣٦
(٥) آل عمران : ٧٩

الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس : (أو تريد) ذاك منا يا محمد ؟ واليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غير الله وما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل فى ذلك : ((**ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله**))(١) . الى قوله : ((**بعد اذ انتم مسلمون**))(٢) . وقوله : ((**ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله**)) اى ما ينبغى لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس : اعبدونى من دون الله ، أى مع الله . واذا كان هذا لا يصح لنبى ولا لمرسل ، فالآن لا يصلح لأحد من الناس بطريق الأولى والأحرى .

ولهذا قال الحسن البصرى : لا ينبغى هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، يعنى أهل الكتاب .

وقوله : ((**ولا يامركم**)) (أى) بعبادة احد غير الله ، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل : ((**ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون**))(٣) . اى لا يفعل ذلك لأن من دعا الى عبادة غير الله فقد دعا الى الكفر ، والأنبياء انما يأمرونكم بالايمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ((**وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون**))(٤) . وقال : ((**واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**))(٥) . وقال فى حق الملائكة : ((**ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين**))(٦) انتهى وهو فى غاية الوضوح .

وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والالهية ، ونظائر هذه الآيات كثيرة فى القرآن ، وفى السنة من الأحاديث كذلك .

فاذا كان من المستحيل عقلا وشرعا على رسول الله صلى الله عليه

---

(١) آل عمران : ٧٩ (٢) آل عمران : ٨٠
(٣) الانبياء : ٢٥ (٤) الزخرف : ٤٥
(٥) الانبياء : ٢٩

وسلم هو وجميع الأنبياء والمرسـلين أن يأمروا أحـدا بعبادتهم ، فكيف جاز فى عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب « البردة » :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم ؟!

وقد اخلص الدعاء الذى هو مخ العبادة ، واللياذ الذى هـو من أنواع العبادة وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء الى غير الله ، وهذه هى معظم العبادة كما أشير الى ذلك ، كما قال تعالى : ((**له دعوة الحـق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء**))(١) . وقـوله : ((**قل أندعـو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضـرنا ونرد على أعقابنا بعـد اذ هـدانا الله كالذى استهوته الشـياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهـدى ائتنا**)) (٢) الى قوله : ((**قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصـور ، عالم الغيب والشهادة ، وهـو الحكيـم الخبير**))(٣) .

وعن أنس مرفوعا : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى(٤) .

وقـوله :

ان لم تكن فى معادى آخذا بيدى   فضلا والا فقل يا ذلة القدم

المنافى لقـوله تعالى : ((**وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما ادراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله**))(٥) .

وقوله : ((**قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا**))(٦) .

وقوله : ((**قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا**))(٧) الآية .

وفى الحديث الصحيح قال لابنته ـ فاطمة ـ وأحب الناس اليه : « يا فاطمة بنت محمـد ! سـلينى من مالى ما شئت ، لا اغنى عنك من الله شيئا » فتأمل ما بين هذا ، وبين قول الناظم من التضاد والتبـاين ، ثم المصادمة منه لمـا ذكره الله تعالى ، وذكره رسـوله صلى الله عليـه

---

(١) الرعـد : ١٤   (٢) الانعام : ٧١
(٣) الانعام : ٧٤
(٤) وسنده ضعيف ، وانما صح عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ : « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد وغيره بسند صحيح .
(٥) الانفطار : ١٧ ـ ١٩   (٦) الجن : ٢١
(٧) الاعراف : ١٨٨

وسلم كقوله : ((**ليس لك من الامـر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون**))(١) .

وتأمل ما ذكره العلماء فى سبب نزول هـذه الآية . وأمثال هـذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير ، ومن ادعى ذلك فقـد افترى على الله كذبا واضل الناس بغير علم ، كقوله تعالى : ((**ولله غيب السـموات والأرض واليه يرجـع الأمر كله فاعبده وتوكل عليـه ، وما ربك بغافل عما تعملون**))(٢) .

وبهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه ، اللهم الا أن يكون قـد تاب وأناب قبل الوفاة ، والله أعلم .

وأما قوله :

* فان من جودك الدنيـا وضرتها * البيت

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود الا بما يملكـه فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ، وأن أهل الجنة من الأولين والاخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذى خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهموها غـيره ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

وفى الحديث الصحيح : ((لن يدخـل الجنة أحـد منكم بعمله)) قالوا : ولا أنت يا رسـول الله ؟ قال : ((ولا أنا الا أن يتغمـدنى الله برحمته)) . وقد قال تعالى : ((**من كان يريد ثواب الدنيـا فعنـد الله ثواب الدنيا والآخرة**))(٣) وقوله : ((**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير**))(٤) . وقوله : ((**قل لمن ما فى السموات والأرض قـل لله ، كتب على نفسه الرحمة**))(٥) . وقـوله : ((**وان لنا للآخرة والأولى**))(٦) فلا شريك لله فى ملكه ، كما لا شريك له فى الهيته وربوبيته والآيات فى هذا المعنى كثيرة جدا .

وقوله : * ومن علومك علم اللوح والقلم *

وهذا أيضا كالذى قبله ، لا يجوز أن يقال الا فى حق الله تعالى الذى احاط علمه بكل شيء ، كما قال تعـالى : ((**عالم الغيب والشـهادة ،**

---

(١) آل عمران : ١٢٨ — (٢) هـود : ١٢٣
(٣) النسـاء : ١٣٤ — (٤) الملك : ١
(٥) الانعام : ٢ — (٦) الليل : ١٣

وهو الحكيم الخبير »(١) . وقال : « **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »**(٢) . وقوله : « **قل لا اقول لكم لدى خزائن الله ولا أعلم الغيب »**(٣) . وقال تعالى : « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »**(٤) .

وقال تعالى : « **قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله »**(٥) . والآيات فى هذا المعنى كثيرة تفوق الحصر .

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والالهية التى بعث الله رسله ، وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه .

وقال تعالى : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول »**(٦) كقوله فى آية الكرسى : « **ولا يحيطون بشىء من علمه »**(٧) .

فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه اليهم ، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم .

كما قال تعالى : « **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا »**(٨) .

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك ، أطلع الله عليه رسوله ، والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله ، وآمنوا به .

وأما احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ، وما كان منها ما لم يكن ، فذلك الى الله وحده ، لا يضاف الى غيره من خلقه . فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فما أجرأ هذا القائل على الله فى سلب حقه ، وما أعداه

---

(١) الانعام : ٧٣ — (٢) يونس : ٦١
(٣) الانعام : ٥٠ — (٤) الانعام : ٥٩
(٥) النمل : ٦٥ — (٦) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٧) البقرة : ٢٥٥ — (٨) هود : ٤٩

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين والموحـدين ؟ "

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطـاب رضى الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عـروة (عـروة) اذا نشـا فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه . ووقـع فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذى كان عليـه اهـل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه أو دونـه ، فتنتقض بذلك عرى الاسلام ، ويعـود المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والبدعـة سـنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبـدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومفارقة الأهواء والبـدع ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا ، والله المستعان ا ه .

قلت : وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم فى هذه الأزمنة ، أشربت قلوبهم الشرك والبـدع ، واستحسنوا ذلك ، وأنكروا التوحيد والسنة ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فضلوا وأضـلوا .

وأما قول الناظم :

* فان لى ذمة منه بتسميتى محمدا * ... البيت

فهذا من جهله ، اذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقـل ، أن الاتفاق فى الاسم لا ينفع الا بالموافقـة فى الدين واتبـاع السـنة (فولاية) الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه على دينه ، والعمل بسنته ، كما دل عليه الكتاب والسنة . كما قال تعـالى : « **ورحمتى وسـعت كـل شىء فساكتبها للذين يتقـون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل** » الى قوله : « **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعـوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون** »(١) .

وتأمل قصة أبى طالب عم النبى صلى الله عليـه وسلم وقـد كان يحوطه ويحميـه وينصره ، ويجمـع القبائل على نصرته صلى الله عليـه

---

(١) الاعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

وسلم ، وحمايته من أعدائه ، وقد قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد علموا أن ابننا لا مكـذب   لدينا ولا يعنى بقول الأباطـل
حدبت بنفسي دونـه وحميتـه   ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

ولم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب ، ومات على ذلك ،وقال النبي صلى الله عليـه وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله سبحانه : ((**ما كان للنبي والذين آمنـوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعـد ما تبين لهم أنهم أصـحاب الجحيم**))(١) .

فلا وسيله للعبد الى نيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الا بالايمـان به ، وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، ومحبتـه واتبـاعه . وتعظيم أمره ونهيه ، والدعوة الى ما بعث بـه من دين الله ، والنهى عما نهى عنـه من الشرك بالله والبـدع وما لا فـلا : فعكس الملحدون الأمر ، فطلبوا الشفاعة التي بعث الله رسـوله صلى الله عليه وسلم بالنهى عنها وانكارها وقتال أهلها ، واحلال دمائهم وأموالهم ، وأضافوا الى ذلك انكار التوحيد ، وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تقـدم في كلام شيخ الاسلام رحمـه الله من قوله : ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد الى آخـر كلامه .

وأما قول الناظم :

* ولن يضيق رسول الله جاهك بي * ... البيت .

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشـفعوا لهم ويقربوهم الى الله زلفى .

قال الله تعالى : ((**انا انزلنا اليـك الكتاب بالحـق فاعبد الله مخلصا له الدين . الا لله الدين الخالص**))(٢) .

فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، ثم ذكـر بعد ذلك دين المشركين فقال : ((**والذين اتخـذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيـه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار**))(٣) .

---

(١) التوبة : ١١٣   (٢) الزمر : ٢ ، ٣
(٤) الزمر : ٣

فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم : ((**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**)) .

وقال فى آخر هذه السورة : ((**ام اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا**))(١) .

قلت : وقد وقع من هؤلاء من اتخاذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء اليهم وهم أموات غافلون عنهم ، لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه .

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره ، وهو الذى له ملك السموات والأرض ، كما قال تعالى : ((**ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**))(٢) .

فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم الضلال .

ولهذه الآية ايضا نظائر كثيرة ، كقوله : ((**ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءهم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشركم ، ولا ينبئك مثل خبير**))(٣) .

فبين أن دعوتهم غير الله شرك بالله ، وأن المدعو غيره لا يملك شيئا ، وأنه لا يسمع دعاء الداعى ولا يستجيب ، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ، ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة فمن تأمل هذه الآيات انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات .

ومما يشبه هذه الآية فى حرمان من أنزل حوائجه بغير الله ، واتخذه شفيعا من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه . واعتماده فى حصول الشفاعة عليه — كما قد تضمنه بيت الناظم — قول الله تعالى : ((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون**))(٤) .

---

(١) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ — (٢) الاحقاف : ٥ ، ٦

(٣) فاطر : ١٣ ، ١٤ — (٤) يونس : ١٨

فانظر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غـــير الله ، وأخبر أن حصولها مستحيل فى حقهم بطلبها فى دار العمل من غيره ، وهذه الشفاعة التى نفـاها القرآن ، كما قال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا أنفقـوا ممـا رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيـــع فيه ولا خلة ولا شـــفاعة**))(١) . وقال : ((**وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع**))(٢) .

فهذه الشـفاعة المنفية هى التى فيهـا شرك ، وأما الشـفاعة التى أثبتها القرآن ، فانما ثبتت بقيدين عظيمين : اذن الرب تعالى للشـفيع ، ورضاه عن المشفوع له ، وهـو لا يرضى الأديان السـتة المذكورة فى قوله : ((**ان الذين آمنـوا والذين هـادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركـوا**))(٣) الآية ، الايمـان الذى أصـله واسـاسه التوحيـد والاخلاص ، كما قال تعالى : ((**من ذا الذى يشـفع عنده الا باذنه**))(٤) .

وقال : ((**ولا يشـــفعون الا لمـن ارتضى وهـم من خشـــيته مشفقون**))(٥) .

وقال : ((**وكم من ملك فى السـموات لا تغنى شـــفاعتهم شـيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**))(٦) . وقـال تعـالى : ((**ان ربكـم الله الذى خلق السموات والأرض**)) الى قـوله : ((**ما من شـفيع الا من بعد اذنه** (٧) .

وفى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسـلم لمـا ذكـر شفاعته قال : « وهى نائلة ان شـاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا » . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من أحـق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » .

قال شيخ الاسلام فى هذا الحديث : فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون . لمن أشرك بالله وقد كشـفنا بحمـد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس ولجاجه وافتراءه على الله ورسوله ،

---

(١) البقرة : ٢٥٤
(٢) الانعام : ٥١
(٣) الحـج : ١٧
(٤) البقرة : ٢٥٥
(٥) الانبياء : ٢٨
(٦) النجم : ٢٦
(٧) يونس : ٣

فان دعوة غير الله ضلال وشرك ينافى التوحيد . وأن اتخاذ الشفعاء انما هو بدعائهم ، والالتجاء اليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعى ؛ وقد نهى الله عن ذلك ، وبين أن الشفاعة له ، فاذا كانت له وحده ، فلا تطلب الا ممن هى ملكه فيقول : اللهم شفع نبيك فى ، لأنه تعالى هو الذى يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه ؛ فهو الاخلاص كما تقدم بيانه .

وأما قول المعترض : ان المعتزلة احتجوا بالآيات التى فيها نفى الشفاعة على أنها لا تقع لأهل الكبائر منا لموحدين ، فأقول : لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة .

وأنت أيها المجادل فى آيات سلطان مع المعتزلة فى طرفى نقيض ، تقول : أن الشفاعة ثبتت لمن طلبها وسألها من الشفيع ؛ فجعلت طلبها موجبا لحصولها .

والقرآن قد نفى ذلك وأبطله فى مواضع كثيرة بعد الله ، والحق أنها لا تقع الا لمن طلبها من الله وحده ، ورغب اليه فيها . وأخلص له العبادة بجميع أنواعها . فهذا هو الذى تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعد أن دخلها بذنوبه ، فهذا هو الذى يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص ، كما صرحت بذلك الأحاديث ، والله أعلم .

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما فى القرآن من ذكر الشفاعة نفيا واثباتا . فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق ؛ فالشفاعة المنفية انما هى فى حق المشرك الدى اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه ، فيرغب اليه فى حصولها ، كما فى البيت المتقدم . وهو كفر كما صرح به القرآن .

وأما الشفاعة التى أثبتها الكتاب والسنة ، فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين ، وهذا هو الذى تظاهرت عليه النصوص . واعتقده أهل السنة والجماعة ودانوا به .

والحديث الذى أشار اليه المعترض من قوله : « أنا لها أنا لها » لا ينافى ما تقرر ، وذلك أن الناس فى موقف القيامة اذا فزعوا الى الرسل ليشفعوا لهم الى الله فى اراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب .

نبى ذكر عذره . قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « فيأتونى ، فأخر بين يدى الله ساجدا » أو كما قال : « أحمده بمحامد

يفتحها على ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع » ، قال : « فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة » .

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع الا بعد السجود لله ، ودعائه وحمده ، والثناء عليه بما هو أهله . وقوله : « فيحد لى حدا » فيه بيان أن الله هو الذى يحد له . وهذا الذى يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل ، هو من باب سؤال الحى الحاضر ، والتوسل الى الله بدعائه ، كما كان الصحابة رضى الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أن يدعو لهم اذا نابهم شىء ، كما فى حديث الاستسقاء وغيره .

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئا من ذلك البتة ، ففرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أعلم الأمة وأفضلها بين حالتى الحياة والممات . وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد والخروج منه ، وفى الصلاة ، الخطب ، وعند ذكره امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا قبرى عيدا . ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى أينما كنتم » ولما أراد عمر رضى الله عنه أن يستسقى بالناس أخرج معه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقوا .

فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لما صلح منهم أن يعدلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم الى العباس ، فلما عدلوا عنه الى العباس ، علم أن التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لا يجوز فى دينهم ، وصار هذا اجماعا منهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك . فقال أبو الحسن القدورى فى شرح « كتاب الكرخى » : قال بشر ابن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغى لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسن : أما المسألة بغـــير الله فتكره فى قولهم • لأنه لا حق لغير الله عليه ، وانما الحق لله على خلقه •

وقال فى « شرح المختار » : ويكره أن يدعو الله الا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك • لأنه لا حـق للمخلوق على الخالق •

وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا ، هو عند محمد حرام وعند أبى حنيفة وأبى يوسف هو الى الحرام أقرب ، وجانب التحـريم عليه أغلب ، فاذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به • والدعـاء به أبلغ فى تعظيمه واحترامه ، وأنجع بقضاء حاجته ، نقله درجة أخـرى الى دعائه نفسه من دون الله • ثم ينقله بعد درجة أخرى الى أن يتخـذ قبره وثنا يعكف عليه ، ويوقد عليه القناديل ، ويعلق عليه الستور ، ويبنى عليه المسجد ، ويعبده بالسـجود له ، والطواف وتقبيله ، واسـتلامه ، والحج اليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخـرى الى دعـاء النـاس لعبادته ، واتخاذه عيدا ومنسكا ، وأن ذلك نفع لهم فى دنياهم وآخرتهم •

قال شيخنا قدس الله روحه : وهـذه الأمور المبتدعة عند القبـور مراتب : أبعدها عن الشرع أن يسـأل الميت حاجته ، ويستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من النـاس • قال : هؤلاء من جنس عبـاد الأصـنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه، ويتمثل لهم الشيطان أحيانا • وقـد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبـة •

ثم ذكر المرتبة الثانية وهى : أن يسـأل الله به ، وقال : وهو بدعة باتفاق المسلمين •

والثالثة : أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب ، أو أنه أفضـل من الدعاء فى المسجد ، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين ، وهى محرمة ، وما علمت فى ذلك نزاعا بين أئمـة الدين ، وان كان كثيرا من الناس يفعل ذلك • انتهى•

ففرض على كل أحـد أن يعلم ما أمر الله به ورسـوله من اخلاص العبادة لله وحده ، فانه الدين الذى بعثه به ، وأن يترك ما نهى الله عنـه ورسوله صلى الله عليه وسلم من الشرك فما دونه ، كما قال تعـالى : « ولا تـدع من دون الله مـا لا ينفعـك ولا يضرك ، فـان فعلت فانك اذن

من الظالمين »(١) . وان لا يدين الله تعالى الا بما دله الدليل على من دين الله ، ولا يكون امعة يطير مع كل ريح ، فان الناس من محمد صلى الله عليه وسلم والأمم قبلها قد تنازعوا فى ربهم وأسمائه ، وصفاته ، وما يجب له على عباده ، وقد قال تعالى : « **فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تاويلا** »(٢) .

فياسعادة من تجرد عن العصبية والهوى ، والتجأ الى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال .

وأما قول المعترض : فانظر الى « الشفا » تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة ، أى الكلمة التى ذكرها المجيب فى معنى قوله : « **قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا** »(٣) الآيات ذكر عبارات النسفى فى معناها ، وهى قوله : هو اظهار للعبودية ، وبراءة مما يختص بالربوبية من علم الغيب . اى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ، ولا دفع ضر .. الى آخر كلامه . اذ من عادة هذا المعترض الجاهل رد الحق ، والمكابرة فى دفعه ، والغلو المتناهى ، والا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام أن المجيب انما أتى فى جوابه بتحقيق التوحيد ، ونفى الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينهى أمته عن كل ما يؤول بهم الى الغلو . ولما قيل له صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، قال : « يا أيها الناس .. قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله تعالى » .

والنبى صلى الله عليه وسلم هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفى الحديث : « فانك ان تكلنى الى نفسى تكلنى الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وانى لا أثق الا برحمتك .. » الحديث .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف

---

(١) يونس : ١٠٦ (٢) النساء : ٥٩
(٣) الجن : ٢١

بذلك لربه . وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا فى حقه صلى الله عليه وسلم وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصا له ، بل هذا من تصديقه والايمان به » .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : اذا كان الكلام فى سياق توحيد الرب ونفى خصائصه عما سواه ، لم يجز أن يقال : هذا سوء عبادة فى حق من دون الله من الأنبياء والملائكة ، فان المقام أجل من ذلك . وكل ما سوى الله يتلاشى عن تجريد توحيده ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه . وان كان نفسه المسلوب ، كما فى « الصحيحين » فى حديث الافك لما نزلت براءة عائشة من السماء ، وأخبرها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك . قالت لها أمها : قومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله لا أقوم اليه ولا أحمده ، ولا اياكما ، ولا أحمد الا الله الذى أنزل براءتى . فأقرها النبى صلى الله عليه وسلم وأبوها على هذا الكلام الذى نفت فيه أن تحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية : بحمد الله لا بحمدك، ولم يقل أحد : هذا سوء أدب عليه صلى الله عليه وسلم .

وأخرج البيهقى بسنده الى محمد بن مسلم ، سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم : بحمد الله لا بحمدك انى لأستعظم هذا ، فقال عبد الله : ولت الحمد أهله .

وكذلك الحديث الذى رواه الامام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم أتوب اليك ولا أتوب الى محمد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله » .

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبية الله ، وتنقصوا الهيته ، وأتوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التى خلق لها عباده نهبا بين الأحياء والأموات ، هذا يصرفه لنبى ، وهذا لملك ، وهذا لصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أندادا لله ، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فان عبادتهم للملائكة

والأنبياء والصالحين انما تقع فى الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين وأمرهم بها ، كما قال تعالى :

« **ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، اكثرهم بهم مؤمنون** »(١) . ونحو هذه الآية كثير فى القرآن .

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ما وقع فى زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية ، وتنقص للالهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وذكر أنهم سووهم بالله فى العبادة ، كما قال تعالى عنهم وهم فى النار : « **تالله ان كنا لفى ضلال مبين ، اذ نسويكم برب العالمين** »(٢) .

وأما ما ذكره عن خالد الأزهرى ، فخالد وما خالد ؟ ! أغرك منه كونه شرح (التوضيح) و (الأجرومية) فى النحو ؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلا بالتوحيد الذى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه ممن لهم تصانيف فى المعقول ، كالفخر الرازى ، وأبى معشر البلخى ونحوهما ممن غلط فى التوحيد ، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوى وغيره ، فما أنكر ذلك فى شىء من كتبه ، ولا نقل عنه أحد انكاره .

فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسرا تذاد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والأحاديث الواضحات البينات ، كقوله تعالى : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** »(٣) . وقوله : « **ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون** »(٤) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار » .

وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات عقوبة لهم ، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الانس ،

(١) سبأ : ٤٠ ، ٤١ — (٢) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨
(٣) النساء : ٣٦ — (٤) المؤمنون : ١١٧

كما قد يقع كثيرا لعباد الأصنام ، وما أحسن ما قال بعضهم شعرا :

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا
وكلهم يدعون الفوز بالظفر

فخذ بقول يكون النص بنصره
اما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف أبيات « البردة » عما هو صريح فيها النص فيما دلت عليه من الشرك فى الربوبية والالهية ، ومشاركة الله فى عمله وملكه ، وهى لا تحتمل أن تصرف عما هى فيه من ذلك الشرك والغلو ، فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل ، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال ، والزور والمحال ، ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذى وقع فيه .

وأما قول المعترض : ورد فى الحديث : « لولا حبيبى محمد ما خلقت سمائى ولا أرضى ولا جنتى ولا نارى » .

فهذا من الموضوعات ، لا أصل له . ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة فى الحديث ، وأنى له ذلك ؟! بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين .

وقد بين الله تعالى حكمته فى خلق السموات والأرض فى كثير من سور القرآن ، كما فى الآية التى تأتى بعد ، وهى قول الله تعالى : **« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما »**(١) .

ولها نظائر بين حكمة الرب فى خلق السموات والأرض . وقوله : وكيف ينكر تصرفه فى إعطاء أحد باذن الله من الدنيا فى حياته أو فى الآخرة بعد وفاته .

أقول : هذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الأدب مع الله ، وكذب على رسوله ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة ، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة . وهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الاسلام أن أحدا يتصرف يوم القيامة

---

(١) الطلاق : ١٢

في ملكه ؟ ! ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لادعاها كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح أنه يشفع له اذا دعاه : ((**سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء**))(١) . وقال تعالى : ((**يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه**))(٢) وقال : ((**لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا**))(٣) .

وهذا القول الذي قاله الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر يقول : الذي يتصرف في الكون سبعة : البدوي ، والامام الشافعي ، والشيخ الدسوقي . حتى أكمل السبعة من الأموات . هذا يقول هذا وليي له شفاعة ، وهذا صالح كذلك ، وقد قال تعالى : ((**لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون ، لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار**))(٤) . الى قوله : ((**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**))(٥) .

وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ، ودعوى الشريك له في الملك والتصرف ، وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في معنى قوله تعالى : ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له**))(٦) .

نفى الله عما سواه (كل ما) يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله ولم يبق الا الشفاعة التي يظنها المشركون منتفية كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده . ولا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع . وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

---

(١) الفرقان : ١ٸ (٢) هود : ١٠٥
(٣) النبأ : ٣ٸ (٤) غافر : ١٥ ، ١٦
(٥) غافر : ١ٸ (٦) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

وحقيقته أن الله سبحانه هـو الذى يتفضل على أهـل الاخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعـاء من أذن له ان يشفع ليكرمه ؛ وينال المقـام المحمود ، فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ؛ ولهـذا أثبت الشفاعة باذنه فى مواضع ، وقد بين النبى صلى الله عليـه وسلم أنهـا لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

وقال العلامة ابن القيم فى « مدارج السالكين » : وقـد قطع الله الاسـباب التى يتعلق بهـا المشركون جميعا ، فقـال تعـالى : **« قـل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السـموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفـع الشفاعة عنده الا لمن اذن له »**(١) .

فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصـل له به من النفـع ، والنفـع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : اما مالك لمـا يريده عابده منه . فان لم يكن مالكا كان شريكا ، فان لم يكن شريكا له كان معينـا له وظهيرا . فان لم يكن معينا ولا ظهـيرا ، كان شـفيعا عنده ، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيـا مرتبـا منتقـلا من الأعلى الى الادنى ؛ فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشـفاعة التى يطلبها المشرك ، واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهى الشفاعة باذنه .

فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد ، وقطعا لأصـول الشرك (و) مراده لمن عقلها ، والقـرآن مملوء من أمثالها ونظـائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه فى نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، فهذا هـو الذى يحول بين القلب وفهم القرآن .

ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هـو مثلهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك الى أن قال : ومن أنواعه — أى الشرك — طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجـه اليهم ، وهذا أصل شرك العـالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهـو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له الى الله ، وهذا جهله بالشافع والمشفوع عنـده ،

---

(١) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لاذنه (فى) كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان فى حاجته بما يمنع حصولها .

وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى تنقص بالأموات ، وهم قد تنقضوا الخالق بالشرك وأولياء التوحيد له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء أعداء الرسل فى كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم قال : وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين فى الله ، وتقرب بمقتهم الى الله ، واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وذله لله ، وتوكله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه الى الله ، وأخلص قصده لله ، متبعا لأمره ، متطلبا لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله وبالله ومع الله . انتهى .

فرحم الله هذا الامام وشيخه[1] ، فلقد بينا للناس حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله .

وفى حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل : فاسألنى واستعن بى ، فقصر السؤال والاستعانة على الله الذى لا يستحقه سواه ، كما فى قوله : ((**اياك نعبد واياك نستعين**))[2] .

فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد عصى الله ورسوله ، وأشرك بالله .

وللمعترض كلام ركيك لا حاجة لنا الى ذكر ما فيه ، وانما تتبع من كلامه ما يحتاج الى رده وابطاله كجنس ما تقدم .

واعلم أنه قال لما ذكر قول المجيب : انه لا يجتمع الايمان بالآيات المحكمات وتلك الأبيات ، لما بينهما من التنافى والتضاد .

وقال المعترض : أقول : يجتمعان بأن يفرد الله بالعبادة ، ولا يقدح

---

(١) أى العلامة ابن القيم ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، رحمهما الله تعالى .

(٢) الفاتحة : ٥

فيه تشفعه بأحباب حبه اليه ، وكيف يحكم بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها ، كما فى الحديث : « أنا لها ، أنا لها » ، ومعلوم أن الضلال ضد الحق .

فالجواب : لا يخفى ما فى كلامه من التخليط والتلبيس ، والعصبية المشوبة بالجهل المركب ، لا يدرك ولا يدرى أنه لا يدرى ، وقد بينا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم ، والرغبة اليهم فيما اراده الراغب منهم من الشفاعة التى لا يقدر عليها الا الله ، وذلك ينافى الاسلام والايمان بلا ريب ، فان طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه الا الله ، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به ، وارتكاب لما نهى عنه ، كما تقدم بيانه فى معنى قوله تعالى : **« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »**(١) الآية . وقوله : **« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا »**(٢) **الآية** . وقوله : **« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »**(٣) .

فطلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم أو غيره بعد وفاته ، وبعده عن الداعى ، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو التوسل الذى ذكره العلامة ابن القيم وشيخه ، وصرحا بأنه شرك ، وللعلامة ابن القيم أبيات فى (هذا) المعنى ، وهى قوله :

والشرك فهو توسل مقصوده ... الزلفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن ... بشر ومن قبر ومن أوثان
والناس فى هذا ثلاث طوائف ... ما رابع أبدا بذى امكان
احد الطوائف مشرك بالهه ... فاذا دعاه دعا الها ثان
هذا وثانى هذه الأقسام ذلك ... جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد للرب يدعو غيره ... شركا وتعطيلا له قدمان
هذا وثالث هذه الأقسام خير ... الخلق ذات خلاصة الانسان

---

(١) يونس : ١٨
(٢) الاسراء : ٥٦
(٣) الزمر : ٣

يدعو اله الحق لا يدعو (الى) (أحد) سواه قط فى الأكوان
يدعوه فى الرغبات والرهبـات والحالات من سر ومن اعـلان

وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم فى الرسل والملائكـة : وذلك كما قال تعالى : « **قل ادعـوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشـف الضر عنكم ولا تحويلا** »(١) .

قال طائفـة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وأمـه وعزيرا والملائكة ، فأنكر الله ذلك وقال : هؤلاء عبيدى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ، ويخافون عذابى كما تخـافون عذابى ، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية فى انكار دعوتهم من أوليائه وأحبابه . وقد تقدم أن الدعـاء وجميع أنواع العبادة حق الله المحض كما تقدم فى الآيات .

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخـذ شفيعا من دونه يسأله ، ويرغب اليه ، ويلتجىء اليه ، وهذا هو العبادة . ومن صرف من ذلك شيئا لغير الله فقد أشرك مع الله غيره ، كما دلت عليه الآيات المحكمات، وهذا ضد افراد الله بالعبادة . وكيف يتصور افراد الله بالعبادة وقد جعل العبد ملاذا ومفزعا سواه ؟ فان هذا ينافى الافراد ، فأين ذهب عقـل هذا وفهمه ؟!

قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبـه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . انتهى .

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة ، وهو مما يحبه ويأمر به عباده ، وأن يخلصوه له . وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضـلال من فعـل (ذلك) وبهذا يحصل الجواب عن قـول المعترض : ان الشـفاعة المنفية انما هى فى حـق الكفار ، فنقول : فمن اتخذ معبودا سوى الله يرجوه أو يخافه فقد كفر .

وتأمـل قول الله تعـالى : « **والذين يدعـون من دون الله لا يخلقـون شيئا وهم يخلقون . اموات غـير احيـاء وما يشـعرون ايان يبعثـون . الهكم اله واحد** »(٢) .

فبين تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله ، وأن من

---

(١) الاسراء : ٥٦ (٢) النحل : ٢٠ — ٢٢

دعاه فقد أشرك مع الله غيره فى الالهية ، والقرآن من أوله الى آخره، يدل على ذلك . وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن ، كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم واعراضهم ، كما أنزل فى كتابه من بيان دينه الذى رضيه لنفسه ورضيه لعباده .

قال شيخ الاسلام (أحمد) بن تيمية رحمه الله تعالى : وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ، لا يدعو الا (ه) ، ولا يخشى ولا يتقى الا (ه) ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يكون الدين الا له ، وأن لا يتخذ الملائكة والنبيين أربابا ، فكيف بالأئمة والشيوخ ، فاذا جعل الامام والشيخ كأنه اله يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ، ويطلب منه الحوائج كأنه مشبه بالله ، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذى أصله شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله . اهـ .

وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » . فلو جاز أن يسأل رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم لما قصر سؤاله واستعانته على الله وحده .

وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه له منفعة . فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألنى ، واستعن بى ، بل أتى صلى الله عليه وسلم بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد اخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى . فأين ذهبت عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص ؟.. والله المستعان .

وقال الشيخ رحمه الله : واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، وكل عابد سائل ، وكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، واذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذى يطلب لجلب المنفعة ، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب . ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر ، وان لم يكن هناك صيغة سؤال . ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو مسألة من الرغب والرهبة والخوف والطمع . اهـ .

فتبين أن أبيات « البردة » التى قدمنا الكلام عليها تنافى الحق وتناقضه ، وماذا بعد الحق الا الضلال ؟

وقول المعترض : لا سيما والناظم (على) جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح ، بل وله يد فى العلوم كما حكى ذلك مترجموه . وهذا كله صار هباء منثورا حيث لم يرضوا عنه .

أقول : هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب ، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك ، فانه لا يعرف الا بهذه « المنظومة » ، فلو قدر أن لذلك أصلا . فلا ينفعه ذلك مع تلك الأبيات ، لأن الشرك يحبط الأعمال ، كما قال تعالى: **« ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون »** (١) وقد صار العمل مع الشرك هباء منثورا .

قال سفيان بن عيينة : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فان كان للرجل عبادة ، فقد فتن بأبياته من الجهال ، وعبادته ان كانت ، فلا تمنع كونه ضالا كما يرشد الى ذلك آخر الفاتحة .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . فالواجب علينا أن نبين ما فى كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو .

وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات ، فيسعنا السكوت عنه ، لأنا لا ندرى ما آل أمره اليه ، وما مات عليه . وقد عرف أن كلام خالد الأزهرى لا حجة فيه ، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم الا المنامات والأحوال الشيطانية التى يحكيها بعضهم عن بعض ، كما قال لى بعض علماء مصر : ان شيخنا مشى بأصحابه على البحر . فقال : لا تذكروا غيرى . وفيهم رجل ذكر الله فسقط فى البحر ، فأخذ بيده الشيخ فقال : ألم أقل لكم لا تذكروا غيرى ؟ فقلت : هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما : أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان ، أو أنها حال شيطانية ، وسألت أيها الحاكى لذلك : أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله ؟ فأقر وقال : لا حجة فيها على ذلك .

والمقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة ما زخرفوه أو حرفوه

---

(١) الانعام : ٨٨

أو كذبوه وما قال الله وقال رسوله ، فهذا بحمـد الله كله عليهم لا لهم ، وما حرفوه من ذلك رد الى صحيح معناه الذى دل عليه لفظه مطـابقة وتضمنا والتزاما . قال تعالى : **((وكذلك جعلنـا لكل نبى عـدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخـرف القول غـرورا ، ولو شـاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون))**(١) .

وذكر المعترض حكاية ، يقول عن غير واحـد من العلماء العظـام أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم و « المنظومة » تنشـــد بين يديه ، الى قوله :

لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله : انهم كفار .

فالجواب أن يقال :ليس هذا وجه المنع وانما وجهه أنهـا حكاية مجهولة عن مجهول . وهذا (من) جنس اسناد الكذابين فلو قيل : من هؤلاء العظام ؟ وما أسماؤهم ؟ وما زمنهم ؟ وما طبقتهم ؟ لم يدر عنهم . وأخبار المجهولين لا تقبل شـهادة ولا رواية يقظـة ، فكيف اذا كانت أحلاما ؟؟! والمعترض كثيرا ما يحكى عن هيان بن بيان .

ثم قال المعترض على قول المجيب : وطلب الشفاعة من النبى صـلى الله عليه وسلم ممتنع شرعا وعقلا . قال المعترض : من أين هذا الامتناع ؟ وما دليله من العقل والسمع ؟

فالجواب أن يقال : معلوم أن دليـله من الجهتين لا تعـرفه أنت ومن مثلك ، وانما معرفتك فى اللجاج الذى هو كالعجـاج الذى يحوم فى الفجاج . أما دليله من السمع فقد تقـدم فى آيات الزمـر ويونس وغيرهما ، وقد بسطنا القول فى ذلك بما يغنى عن اعادته فليرجع اليه .

وأما دليله من العقل ، فالعقل الصحيح يقضى ويحكم بما يوافـق النقل ، بأن النجاة والسعادة والفـلاح وأسـباب ذلك كله لا تحصـل الا بالتوجه الى الله تعالى وحده ، واخلاص الدعاء والالتجاء له واليه ، لأن الخير كله بيده ، وهو القادر عليه . وأما المخلوق فليس فى يـده من هذا شيء ، كما قال تعالى : **((ما يملكون من قطمير))**(٢) .

---

(١) الانعام : ١١٢ (٢) فاطر : ١٣

فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل ، كما قال تعالى :
« **افمن يخلق كمن لا يخلق ، افلا تذكرون** »(١) .

فالذى له الخلق والأمر والنعم كلها منه ، وكل مخلوق فقير اليه ، لا يستغنى عنه طرفة عين ، هو الذى يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب اليه ، ويرهب منه ، ويتخذ معاذا وملاذا ويتوكل عليه .

وقد قال تعالى : « **يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد** »(٢) .

وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون فى قوله تعالى :
« **وعلى ربهم يتوكلون** »(٣) :

أى لا يرجون سواه ، ولا يقصدون الا اياه ، ولا يلوذون الا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون الا اليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف فى الملك وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الايمان . ذكره العلماء فى تفسيره ، وليتأمل ما ذكره الله عن صاحب ياسين من قوله :
« **اتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . انى اذن لفى ضلال مبين** »(٤) . فهذا دليل فطرى عقلى سمعى .

وأمام قول المعترض : ان قول الناظم :

* ومن علومك علم اللوح والقلم *

أن (من) بيانية . فالجواب : أنه ليس كما قال ، بل هى تبعيضية ، ثم لو كانت بيانية ، فما ينفعه والمحذور بحاله ، وهو أنه يعلم ما فى اللوح المحفوظ .

وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولا شك أنه أوتى علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون .

---

(١) النحل : ١٧ (٢) فاطر : ١٥
(٣) الأنفال : ٢ (٤) يس : ٢٣ ، ٢٤

فالجواب : هــذه مصادمة لمــا هو صريح فى كتاب الله ، وسـنة رسوله ، بأن الاحاطة بما فى اللوح المحفوظ علما ليس الا لله وحـده ، وكذلك علم الأولين والآخرين ليس الا لله وحده ، الا ما أطلع الله عليـه نبيـه فى كتـابه ، كما قال الله تعـالى : ((**ولا يحيطون بشىء من علمـه الا بما شاء ، وسع كرسـيه السـموات والأرض**))(١) . فالرجـل فى عمى عن قول الله تعـالى : ((**ولا يحيطـون بشىء من علمـه**)) . وقال تعـالى : ((**الذى خلق سبع سـموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمـر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما**))(٢) .

وقد تقدم لهذه الآيات نظائر : فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التى وجدت واستوجدت لله وحده ، لم يجعل ذلك لأحـد سواه . وقال تعـالى : ((**يسالونك عن السـاعة أيان مرساها ، قـل انما علمهـا عنـد ربى ، لا يجليها لوقتها الا هـو**))(٣) . فأسند علم وقت السـاعة الى ربـه بأمره ، كقوله تعالى : ((**يسـالونك عن السـاعة أيان مرسـاها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها**))(٤) . وامثال هذه الآيات ، ممـا يدل على أن الله تعـالى اختص بعـلم الغيب كله ، الا ما اسـتثناه بقـوله : ((**ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء**))(٥) .

و (من) تبعيضية هاهنا بلا نزاع . وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام : « ما نقص علمى وعلمك فى علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر » ، فتأمل هذا وتدبر .

واما قول المعترض وتاويله لقـوله تعـالى : ((**قـل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله**))(٦) . فتـاويل فاسـد ، ما قاله غـيره ولا يقوله مسـلم ، من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له ، والمنفى فى الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك . فما أجرأ هـذا الجاهل على هذا التأويل ، وما أجهله بالله وبكتابه ؟! فيقال فى الجواب : لا ينفعـك هذا التأويل الفاسد ، اذ لو كان أحـد يعـلم جميع الغيب بتعليم الله ، لصدق عليه أن يقال : هذا يعلم الغيب كله الذى يعلمـه الله ، فمـا بقى

---

(١) البقرة : ٢٥٥ (٢) الطلاق : ١٢
(٣) الأعراف : ١٨٧ (٤) النازعات : ٤٢ — ٤٤
(٥) البقرة : ٢٥٥ (٦) النمل : ٦٥

على هذا القصر (لعلم) الغيب على الله في هـذه الآية معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله من الافتراء على الله وعلى كتـابه وصرف مـا لم ينزل به سلطانا .

وأما قوله في قول الناظم : « ان لم تكن في معادى آخذا بيدى » . ان الأخذ باليد بالشفاعة . فالجواب : أن حقيقة هـذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله ، فلو صـح هذا الحمل فالمحذور بحاله لما قـد عرفت من الاستعانة بالأموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمـر هو في الله ممتنع حصوله ، لكونه تألها وعبادة ، وقد أبطله القرآن .

فهذا المعترض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه ، ولله يجزيه بعلمه .

وأما قـوله : « **وعنده مفـاتح الغيب لا يعلمهـا الا هـو** »(١) . فقيل : المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان فهذا قبـل أن يطلع نبيه عليها ، والا فقد ذكر عامة أهـل العلم أنه لم يتوفـاه الله تعـالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس .

فالجواب : انظر الى هـذا المفترى الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الأبيات بجميـع ما اختلقه وافتراه ، وأكثر من الأكاذيب على أهل العلم ، فان قوله : ذكر عامة أهل العـلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس . فحاشـا أهل العلم الذين يعرفون بأنهم من أهل العلم من هذه المقالة ، وعامة أهـل العلم بل كلهم على خـلاف ما ادعاه ، سلفا وخلفا .

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في « تفسيره الكبير » الذى فاق على التفاسير : ابتدء تعالى ذكر الخبر عن علمـه بمجيء السـاعة . فقال تعالى : « **ان الله عنده علم السـاعة** »(٢) التى تقـوم فيهـا القيـامة لا يعلم ذلك أحد غيره . « **وينزل الغيث** » من السـماء ، لا يقـدر على ذلك أحـد غـيره . « **ويعـلم ما فى الأرحـام** » أرحـام الانـاث . « **وما تـدرى نفس ماذا تكنسب غـدا** » يقول : وما تعـلم نفس حى ماذا

---

(١) الانعام : ٥٩ (٢) لقمان : ٣٤

تعمل فى غـد . ((**وما تدرى نفس بأى أرض تموت**)) يقول : وما تعلم نفس حى بأى ارض يكون موتها . ((**ان الله عليم خبير**)) يقول : ان الذى يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه . وذكر سنده عن مجاهد . ((**ان الله عنده علم الساعة**)) . قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : امرأتى حبلى ، فأخبرنى ماذا تلد ؟ وبلادنا جدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدت ، فمتى أموت ؟ فانزل الله : ((**ان الله عنده علم الساعة**)) الى آخر السورة .

قال : فكان مجاهد يقول : هن مفاتح الغيب التى قال الله : ((**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو**))(١) . واخرج بسنده عن قتادة : ((**ان الله عنده علم الساعة**))(٢) الآية :

خمس من الغيب استأثر الله بهن ، فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا .

وبسنده عن عائشة : من قال ان أحدا يعلم الغيب الا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله . قال تعالى : ((**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله**))(٣) .

وبالسند عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله » ((**ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ...**)) . ثم قال : « لا يعلم ما فى غد الا الله ، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله ، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله ، ولا يعلم أحد ما فى الأرحام الا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت » .

وبسنده عن مسروق ، عن عائشة قالت : من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت : ((**وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت**)) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خمس لا يعلمهن الا الله : ((**ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث**)) ... الآية(٤) . انتهى ما ذكره ابن جرير .

---

(١) الأنعام : ٥٩ — (٢) لقمان : ٣٤
(٣) النمل : ٦٥ — (٤) لقمان : ٣٤

وذكر البغوى فى تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم ، ثم قال : وقال الضحاك ومقاتل : مفاتح الغيب : خزائن الأرض • وقال عطاء : ما غاب عنكم من الثواب • وقيل : انقضاء الأجل • وقيل : أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم • وقيل : ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون ، وما لا يكون كيف يكون ؟ انتهى •

قلت : ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات ، ونعوذ بالله من مخالفة ما انزل الله فى كتابه ، وأخبر به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه العلماء ، فان الله استأثر بعلمه عن خلقه ، ووصف نفسه بأنه علام الغيوب ، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب •

وأما قوله : ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوى ، وأبى السعود ، والقسطلانى وأمثالهم تجدى اليكم شيئا لذكرناها ، لكنها تمحى بلفظة واحدة ، وهى أنهم كلهم كفار فلا نقبل منهم أحدا ، ومن هذه حاله فلا حيلة به ، فالجواب : أنه ليس للبيضاوى ومن ذكر عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء فى معنى الآيات ، ومعاذ الله أن يقول المجيب : أن هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين أنه كفر أحدا قد مات من هذه الأمة ، فمن ظاهره الاسلام ، فلو وجد فى كلامه زلة من شرك أو بدعة • فالواجب التنبيه عن ذلك والسكوت عن الشخص ، لما تقدم من أنا لا ندرى ما خاتمته •

وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين ، فانهم من المتأخرين الذين نشأوا فى اغتراب من الدين ، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف ، وأئمة الاسلام من الارجاء ، ونفى حكمة الله ، وتأويل صفات الله ، وسلب معانيها ما يقارب ما فى « كشاف الزمخشرى » ، والارجاء والجبر يقابل ما فيه من نفى القدر ، وكلاهما فى طرفى نقيض •

وكل واحد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة فى ذلك ، ومعلوم أن صاحب « الكشاف » أقدم من هؤلاء الثلاثة وأرسخ قدما منهم فى فنون العلم ، ومع هذا فقال شيخ الاسلام البلقينى : استخرجت ما فى « الكشاف » من دسائس الاعتزال بالمناقيش •

وقال أبو حيان وقد مدح « الكشاف » وما فيه من لطيف المعنى ، ثم قال :

لكنـــه فيــه مجــال لنــاقد ... وزلات سوء قد أخذن المخانقــا
فيثبت موضــوع الأحاديث جاهلا ... ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب ابــداء المعــانى لنفســه ... ليوهم أغمــارا وان كان ســارقا
ويســهب فى المعنى الوجيز دلالة ... بتكثير ألفــاظ تسمى الشقاشــقا
يقــول فيهــا الله ما ليس قــائلا ... وكان محبــا فى الخطــابة وامقا
ويشــتم أعــلام الأئمــة ضــلة ... ولا ســيما أن ولجوه المضــائقا

الى أن قال :

لئن لم تداركــه من الله رحمــة ... لسوف يرى للكــافرين مرافقــا

فاذا كان هــذا فى تفســير مشــهور ، وصاحبه معروف بالذكاء والفهم ، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتلقى من كلامهم بالقبول الا ما وافق تفسير السلف ، وقام عليه الدليل .

وهذا المعترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول من الأشخاص والتصانيف ، ولا يعرف ما هو الأفضل .

ولو كان له أدنى مسكة من فهم ، ومعرفة للعلماء ومصنفــاتهم ، لعلم أن أفضل ما فى أيدى الناس من التفاســير ، هــذه الثلاثة التى نقلنا منها : تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وتفســير الحسين ابن مسعود البغوى ، وتفسير العماد اسماعيل بن كثير ، فهذه أجــل التفاسير ، ومصنفوها أئمة مشهورون ، أهل ســنة ، ليسوا بجهميــة ، ولا معتزلة ، ولا قدرية ، ولا جبرية ، ولا مرجئة بحمــد الله . وأكثر ما فى هــذه التفاسير الأحاديث الصحيحــة ، وآثار الصحابة ، وأقوال التابعين واتباعهم ، فلا يرغب عنها الا الجاهلون الناقصون المنقوصون ، والله المستعان .

والمصنفون فى التفسير وغيره غير ما ذكر : البيضاوى وأبو السعود (و) البحر لأبى حيان ، لأن ما ينقله فى تفسيره عن السلف والأئمــة ، وكذلك تفسير الخازن .

وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلفين ، وذكر عباراتهم ، ويعتمد أقوال السلف ، فهو الذى ينبغى النظر اليه ، والرغبة فيه . وعلى كل حال ، فليس فى تفسير البيضاوى وأبى السعود وشرح القسطلانى ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفترى ، وكل يؤخذ من قوله ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقول المعترض على قول المجيب : علماؤهم شر من تحت أديم السماء . فيقال : هل ورد هذا الحديث فى أهل العراق ، فهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كفار مجوس ، أو فيما يأتى ، فهذه شناعة على غالب علماء الأمة ، ومنهم الامام أبو حنيفة ، والامام أحمد ، وأمثالهم .

فالجواب : أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئا ، ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة . ففى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتى الأوثان . ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » رواه البرقانى فى صحيحه .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى ، فاليهود افترقت على احدى وسبعين ، والنصارى على اثنتين وسبعين ، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة . وأول من فارق الجماعة فى عهد الصحابة رضى الله عنهم الخوارج ، قاتلهم على رضى الله عنه بالنهروان ، والقدرية فى أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون ، ومن دعاتهم معبد الجهنى ، وغيلان القدرى الذى قتله هشام بن عبد الملك . وكذلك الغلاة فى « على » الذين خد لهم « على » الأخاديد ، وحرقهم بالنار . ومنهم المختار بن أبى عبيد الذى قتله مصعب بن الزبير ، ادعى النبوة وتبعه خلق كثير ثم ظهرت فتنة الجهمية . وأول من ظهر الجعد بن درهم ، قتله خالد بن عبد الله القسرى ، والصحابة رضى الله عنهم والتابعون ، والأئمة متوافرون وقت ظهور مبادىء هذه البدع ، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق .

وصح من حديث أنس قال : « لا يأتى على الناس زمان (الا) والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم[1] .

وظهرت بدعة (الجهم بن) صفوان فى زمن أبى حنيفة وأنكرها وناظرهم ، وانتشرت فى زمن الامام أحمد رحمه الله والفقهاء وأهل الحديث ، وامتحن الامام أحمد فتمسك بالحق وصبر ، وصنف العلماء رحمهم الله المصنفات الكبار فى الرد على الجهمية — القائلين بخلق القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان — كالامام أحمد فى رده المعروف ، وابنه عبد الله ، وعبد العزيز الكنانى فى كتاب « الحيدة » وأبى بكر الأثرم ، والخلال ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، وامام الأئمة محمد ابن خزيمة ، واللالكائى ، وأبى عثمان الصابونى ، وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى .

وهذا كله انما هو فى القرون الثلاثة المفضلة ، ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلاسفة ، وبدعة الرافضة ، وبدعة المعتزلة ، وبدعة المجبرة ، وبدعة أهل الحلول ، وبدعة أهل الاتحاد ، وبدعة الباطنية الاسماعيلية ، وبدعة النصيرية ، والقرامطة ونحوهم .

وأما أهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله ، فالأئمة متمسكون بالحق فى كل زمان ومكان .

والبلد الواحد من هؤلاء الأمصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ، ويناضلونهم بالحجج والبراهين .

وظهر معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال : « بدأ الاسلام غريبا وسيكون غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس » .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

وفى رواية : « يصلحون ما أفسد الناس » وقد صنف العلماء رحمهم الله مصنفات ، وبينوا ما تنتحله كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص فى مخالفة هذه الفرق كلها ، وانما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق ، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة ، والاحتجاج بالحق ونصرته ، وما ظهر فضل الامام أبى حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما الا بتمسكهم بالحق ونصرته ، وردهم الباطل . وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوهم ، بل أظهر الله بهم السنة ، وجعل لهم لسان صدق فى الأمة ، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم ، كشيخنا شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا الى التوحيد ، وبين أدلته ، وبين الشرك وما يبطله .

وفيه قال الامام العلامة الأديب أبو بكر بن غنام رحمه الله تعالى :

وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوما به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها ما لألمعى ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضىء وتسطع

فهذا المعترض لو تصور وعقل ، لتبين له أن ما احتج به ينقلب حجة عليه .

وقول المعترض : وان كان قد ورد فى حق أهل الحرمين ، فهذا ظاهر البطلان ، اذ هى مهبط الوحى ، ومنبع الايمان .

ولو قيل : ان هذا الحديث وأمثاله ورد فى ذم نجد وأهلها ، فقد ورد فى ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالون فى شر من كذابهم الى يوم القيامة » .

فالجواب أن نقول : الأحاديث التى وردت فى غربة الدين ، وحدوث البدع وظهورها ، لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرهما من البلاد ، والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة ، فلا معنى لقوله : وان كان قد ورد فى حق أهل الحرمين فى أواخر عهد الصحابة رضى الله عنهم بل فى وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم ، مشهور فى السير والتاريخ ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين

عثمان بن عفـان رضى الله عنـه ، ثم وقعة الحرة المشهورة ، ومقتـل ابن الزبير فى مكة ، وما جرى فى خلال ذلك من الفتن ، وصـارت الغلبة فى الحرمين وغيرهما لأهل الأهواء ، فاذا كان هذا وقع فى خير القرون ، فما ظنك فيما بعد ، حين اشتدت غربة الاسلام ، وعاد المنكر معروفـا والمعروف منكرا ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ؟!

وأما قوله : اذ هى مهبط الوحى ومنبع الايمان .

فالجواب أن نقول : مهبط الوحى فى الحقيقة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : **« نزل بـه الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنـذرين »**(١) . وقال تعالى : **« بل هو آيات بينـات فى صـدور الذين أوتوا العلم »**(٢) .

فهذا محل الوحى ومستقرة . وقوله : منبع الايمـان ، الايمـان ينزل به الوحى من السماء لا ينبع من الأرض ، ومحله قلوب المؤمنين : وهذه السور المكية ــ فى القرآن معلومة ــ التى نزلت على النبى صلى الله عليـه وسـلم وأكثر من فى مكـة المشركون ، وفيهـا ذمهم والرد عليهم ، كقـوله : **« وكـــذب بـه قومك وهـــو الحق »**(٣) . وقال : **« وهم ينهون عنـه وينـأون عنـه »**(٤) . وقـوله : **« فانهم لا يكـذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون »**(٥) .

ونحو هذه الآيات كما فى « فصلت » و « المدثر » وغيرهمـا ، ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وأهـل الشرك لم يزالوا بها ، ومنعـوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخولها بالوحى ، وقاتلوهم ببدر ، وأحد ، والخندق ، وهـم كانوا من آخر العرب دخولا فى الاسلام ، حاشا من هاجر ، وكل هذا بعد نزول الوحى .

ونحن بحمد الله لا تنكر فضل الحرمين ، بل تنكر على من أنكره ، ولكن نقول : الأرض لا تقدس أحدا ، وانما يقدس المرء عمله ، فالمحـل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيـدهم الا شرا ، تعظم فيـه

---

(١) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ (٢) العنكبوت : ٤٩
(٣) الانعام : ٦٦ (٤) الانعام : ٢٦.
(٥) الانعام : ٣٣

سيئاتهم ، كما قال تعالى فى حرم مكـه : ((**ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**))(١) .

فاذا كان هذا الوعيد فى الارادة ، فعمل السوء أعظم ، فالعول على الايمان والعمل الصالح ، ومحله قلب المؤمن ، والناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وقوله : ولو قيل ان هذا الحديث ورد فى ذم نجد وأهلها ... الى آخره ، فأقول : الذم انما يقع فى الحقيقة على الحال لا على المحل ، والأحاديث التى وردت فى ذم نجد ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك لنا فى يمننا ، اللهم بارك لنا فى شامنا » قالوا : وفى نجدنا ؟ قال : « هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان » قيل : انه أراد نجد العراق ، لأن فى بعض ألفاظه ذكر المشرق(٢) ، والعراق شرقى المدينة ، والواقع يشهد له ، لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء فى شرح هذا الحديث ، فقد جرى فى العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر فى نجد الحجاز ، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وكمقتل الحسين ، وفتنة ابن الأشعث ، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة ، وقتال بنى أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى فى ولاية الحجاج بن يوسف من القتال والسفك ، وغير ذلك مما يطول عده .

وعلى كل حال ، فالذم يكون فى حال دون حال ، ووقت دون وقت ، بحسب حال الساكن ، لأن الذم انما يكون للحال دون المحل ، وان كانت الأماكن تتفاضل ، وقد تقع المداولة فيها ، فان الله يداول بين خلقه حتى فى البقاع ، فمحل معصية فى زمن قد يكون محل طاعة فى زمن آخر .

وأما قول المعترض : منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالون فى شر من كذابهم » . فالجواب : أن هذا من جملة كذبه على رسول

---

(١) الحج : ٢٥

(٢) بل ثبت فى « المسند » عن ابن عمر فى حديث المشرق ، قال ابن عمر : يشير بيده نحو العراق ، كما صح فى حديث نجد بلفظ : قالوا : وفى عراقنا ؟ بدل « نجدنا » . فنجد هنا هى العراق قطعا ، ومن شاء الزيادة فليراجع هذا الحديث فى تخريج « فضائل الشام » للالبانى رقم (٨) .

الله صلى الله عليه وسلم وجهله بالعلم . لا يميز بين الحديث وغيره ، وهذا كلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى نفر من بنى حنيفة ، سكنوا الكوفة فى ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا فى مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة ، فأخذهم عبد الله بن مسعود ، وقتل كبيرهم ابن النواح ، وقال فى الباقين : لا يزالون فى بلية من كذابهم . يعنى ذلك النفر ، يذم نجدا بنفر أحدثوا حدثا فى العراق ، وقد أفنى كل من حضر مسيلمة فى القرن الأول ، ولم يبق بنجد من يصدق الكذاب ، بل من كان فى أواخر عهد الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه ، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا أثر ، فلو ذم نجدا بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه ، لذم اليمن بخروج الأسود العنسى دعواه النبوة .

وما ضر المدينة سكنى اليهود فيها وقد صارت مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومعقل الاسلام ، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشدة عداوتهم له ، بل هى أحب أرض الله اليه ، فاذا كان الأمر كذلك ، فأرض اليمامة لم تعص الله ، وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فطهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل فى الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد اسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت الشرائع ، وعبد الله فيها فى عهد الصحابة رضى الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام . على أنها تفضل على الكثير من البلاد بالحديث الذى رواه البخارى فى « صحيحه » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو بمكة لأصحابه : « أريت دار هجرتكم » . فوصفها ثم قال : « فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو يثرب » .

ورؤيا النبى صلى الله عليه وسلم هى حق ، وكفى بهذا فضلا لليمامة وشرفا لها على غيرها ، فان ذهاب وهله صلى الله عليه وسلم فى رؤياه اليها ، لابد أن يكون له أثر فى الخير يظهر ، فظهر ذلك الفضل بحمد الله فى القرن الثانى عشر ، فقام الداعى يدعو الناس الى ما دعت

اليه الرسل من افراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهى عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره فى غيرها فى هذه الأزمان ، ولولا ذلك ما سب هؤلاء نجدا أو اليمامة بمسيلمة . اذ عرف ذلك ، فليعلم أن مسيلمة وبنى حنيفة ، انما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلا وعنادا .

وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذى دلت عليه الآيات المحكمات التى تفوق الحصر ، وعصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب ما نهى عنه من الغلو والشرك ، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره وقد نهى الله ورسوله عن ذلك فى أكثر سور القرآن ، وجوزوا أن يستعان بغير الله ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك ، وجوزوا الالتجاء الى الغائبين والأموات والرغبة اليهم ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهى ، وجعلوا لله شريكا فى ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكا فى الالهية ، وجعلوا له شريكا فى احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها .

وقد قال تعالى مبينا لما اختص به من شمول علمه : ((**الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال**)) . الى قوله : ((**له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء**))(١) وهذه الأصول كلها فى الفاتحة ، يبين تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه . ففى قوله : ((**الحمد لله رب العالمين**))(٢) اختصاص الله بالحمد لكماله فى ربوبيته والهيته وملكهوشموله وعلمه وقدرته وكماله فى ذاته وصفاته ، رب العالمين هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم . والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته ليس ذلك الا له ((**مالك يوم الدين**)) فيه تفرده بالملك كقوله : ((**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله**))(٣) . وقوله : ((**اياك نعبد واياك نستعين**))(٤) . فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها ، وكذلك الاستعانة . وفى : ((**اياك نستعين**)) ايضا توحيد الربوبية ، وهذه الأصول ايضا فى :

---

(١) الرعد : ٨ — ١٤ (٢) الفاتحة : ٢
(٣) الانفطار : ١٩ (٤) الفاتحة : ٥

« **قـل اعـوذ برب النـــاس** »(١) . فهـو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم ، والمـدبر لهم « **ملك النـاس** » . هـو الذى له الملك . كمـا فى الحـديث الوارد فى الاذكار :« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وقوله : « **اله الناس** »(٢) .

هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه ، فأهل الايمان خصوه بالالهية ، وأهـل الشرك جعلوا له شريكا يؤلهونه بالعبـادة ، كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك . وفى: « **قـل يا ايهـا الكـافرون** »(٣) . براءة النبى صلى الله عليه وسـلم من الشرك والمشركين « **قـل يا ايهـا الكافرون . لا اعبـد ما تعبـدون ....** » الى قـوله : « **لكم دينكم ولى دين** » . فهـذا هـو التوحيـد العملى ، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنا وظاهرا .

وفى « **قل هو الله احـد** »(٤) توحيد العلم والعمـل « **قـل هـو الله احـــد** » .

يعنى هو الله الواحد الأحد ، الذى لا نظير له ، ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هـذا اللفظ فى الاثبـات الا على الله عز وجل . لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله . وقوله : « **الله الصمـد** » قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه : يعنى الذى يصـمد الخلائق اليه فى حوائجهم ومسائلهم . قلت : وفيه توحيد الربوبية ، وتوحيـد الالهيـة .

وقال الأعمش : عن شقيق ، عن أبى وائل : الصمد : السيد الذى قد انتهى سؤدده .

وقال الحسن أيضـا : الصمـد : الحى القيوم الذى لا زوال له .

وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد ، كأنه جعـل ما بعده تفسيرا له .

وقال سفيان بن منصور ، عن مجاهد : الصـمد : المصمت الذى لا جوف له .

---

(١) الناس : ١ (٢) الناس : ٣
(٣) الكافرون : ١ (٤) الاخلاص : ١

قال أبو القاسم الطبراني فى كتاب « السنة » : وكل هذه صحيحة ، وهى صفات ربنا عز وجل .

وقال مجاهد : « **ولم يكن له كفوا احـد** »(١) . يعنى لا صـاحبة له ، وهذا كما قال تعالى : « **بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولـد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم** »(٢) .

أى هو مالك كل شىء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقـه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ؟! تعالى وتقدس وتنزه .

قلت : فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الالهية والربوبيـة ، وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير ، وما فيها من مجامع صفـات كماله ، ونعوت جلاله ، ومن له بعض تصور فبتوفيق الله « **ومن لم يجعـل الله له نورا فما له من نور** »(٣) .

وأما قول المعترض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى فى زمن شيخ الاسلام ابن تيمية . أقول هذه (لم) ينقل عنه فيها كلمة واحدة .

فالجواب تقـدم « البردة » على زمن شيخ الاسـلام ، ان كان كذلك ، فماذا يجدى عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟

وأيضا فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا نقبل ، ولم يطلع الا على النزر اليسير من كلام شـيخ الاسـلام ، ولم يفهم معنى ما اطلع عليه ، وهو فى شق وشيخ الاسلام فى شق . وليس فى كلام شيخ الاسلام الا ما هو حجة على هذا المعترض ، لكنـه يتعلق فى باطله بمثل خيط العنكبوت ، فان كان يقنعه كلام شـيخ الاسـلام رحمه الله المؤيد بالبرهان ، فقد تقدم (فى) كلامه ما يكفى ويشـفى فى تمييز الحق من الباطل .

وكلامه رحمه الله فى أكثر كتبـه يبين هذا الشرك وينكره ، ويرده كما رد على ابن البادى حين جوز الاستغاثة بغير الله ، ولا يشـك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب « البردة » داخـل تحت كلام شيخ الاسلام فى الرد عليه والانكار ، وأنا أورد هنـا جوابا لشيخ

---

(١) الاخلاص : ٤ (٢) الأنعام : ١٠١
(٣) النور : ٤٠

الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هـذا الشرك وبعض أفـراده ، فأتى بجواب عام شامل كاف واف .

قال السائل : ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ، ويطلب منهم ازالة الألم ، ويقول : يا سـيدى ! أنا فى حسبك ؟ وفيمن يستلم القبر ، ويمرغ وجهه عليـه ويقول : قضيت حاجتى ببركـة الله وبركة الشيخ . ونحو ذلك ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين ، الدين الذى بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستعانته ، والتوكل عليـه ، ودعاؤه بجلب المنـافع ، ودفع المضـار ، كمـا قال تعـالى : ((**انا انزلنـا اليك الكتـاب بالحق فاعبـد الله مخلصـا له الدين . الا لله الدين الخـالص**))(١) . وقال : ((**وان المسـاجد لله فـلا تدعـوا مع الله احـدا**))(٢) وقال : ((**وادعـوه مخلصـين له الدين**))(٣) . وقـوله : ((**قـل ادعـوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكـون كشـف الضر عنكم ولا تحويلا**))(٤) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة قال الله تعالى : « هؤلاء الذين تدعون عبادى ، يرجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى » .

فاذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة ، فكيف بمن دونهم ؟! قال تعـالى : ((**افحسب الذين كفـروا ان يتخـذوا عبـادى من دونى اوليـاء**))(٥) الآية . وقال : ((**قـل ادعـوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقـال ذرة فى السـموات ولا فى الارض وما لهم فيهمـا من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشـفاعة عنده الا لمن اذن له**))(٦) .

فبين سبحانه أنه من دعا من دون الله من جميع المخلوقات الملائكـة والبشر وغـيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة فى ملكه ، وأنـه ليس له شريك فى ملكه : ((**له الملك وله الحمـد ، وهو على كل شىء قـدير**))(٧) .

---

(١) الزمر : ٢ ، ٣ — (٢) الجن : ١٨
(٣) الأعراف : ٢٩ — (٤) الاسراء : ٥٦
(٥) الكهف : ١٠٢ — (٦) سبأ : ٢٢ ، ٢٣
(٧) التغابن : ١

وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك ، وذلك أن من دعا من دونه اما أن يكون مالكا ، واما أن لا يكون مالكا ، واذا لم يكن مالكا فاما أن يكون شريكا واما أن لا يكون شريكا ، واذا لم يكن مشركا فاما أن يكون معاونا ، واما أن يكون سائلا طالبا .

فأما الرابع : فلا يكون الا من بعد اذنه ، كما قال تعالى : **« من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه »**(١) . كما قال تعالى : **« وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى »**(٢) . وقال : **« أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ، ثم اليه ترجعون »**(٣) . وقال : **« ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع »**(٤) . وقال : **« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله »** . الى قوله : **« ولا يامركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، ايامركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »**(٥) .

فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كان كافرا ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا ؟ فلا يجوز أن يقول لملك ولا لنبى ولا لشيخ سواء أكان حيا أو ميتا : اغفر ذنبى ، وانصرنى على عدوى ، أو اشف مريضى أو ما أشبه ذلك .

ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان ، فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التى يصورونها على صورهم ، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه .

قال الله تعالى : **« وا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ، قال سبحانك »**(٦) . وقال : **« اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون »**(٧) .

---

(١) البقرة : ٢٥٥
(٢) النجم : ٢٦
(٣) الزمر : ٤٣ ، ٤٤
(٤) الأنعام : ٥١
(٥) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠
(٦) المائدة : ١١٦
(٧) التوبة : ٣١

فان قال : أنا أسأله لأنه أقرب منى الى الله ليشفع لى لأنى أتوسل الى الله كما أتوسل الى السلطان بخواصه وأعوانه ، فهذا من أفعال المشركين والنصارى . فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يتشفعون بهم فى مطالبهم ، ولذلك أخبر الله عن المشركين انهم قالوا : ((**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**))(١) . وقد قال سبحانه : ((**أم اتخذوا من دون الله شفعاء**)) الى قوله : ((**ترجعون**))(٢) وقال : ((**ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، افلا تتذكرون**))(٣) . وقال : ((**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**))(٤) .

فبين الفرق بينه وبين خلقه ، فان من عادة الناس من يستشفع الى الكبير بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشافع فيقضى حاجته اما رغبة ، واما رهبة ، واما حياء ، واما غير ذلك ، فالله لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل الا ما يشاء ؛ وشفاعة الشافع عن اذنه ، والأمر كله لله .

فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى : ((**فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب**))(٥) . والرهبة تكون منه ، قال تعالى : ((**واياى فارهبون**))(٦) . وقال : ((**فلا تخشوا الناس واخشون**))(٧) .

وقد أمرنا أن نصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا .

وقول كثير من الضلال : هذا أقرب الى الله منى وأنا بعيد منه ، لا يمكن أن ندعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك ، هو من قول المشركين، والله تعالى يقول : ((**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان**))(٨) .

وقد روى أن الصحابة رضى الله عنهم قالوا : يا رسول الله .. ربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية ، وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة له ، ومناجاته ، وأمر كلا منهم أن يقول : ((**اياك نعبد واياك نستعين**))(٩) .

---

(١) الزمر : ٣ — (٢) الزمر : ٤٣ ، ٤٤
(٣) السجدة : ٤ — (٤) البقرة : ٢٥٥
(٥) الشرح : ٧ ، ٨ — (٦) البقرة : ٤٠
(٧) المائدة : ٤٤ — (٨) البقرة : ١٨٦
(٩) الفاتحة : ٥

ثم يقال لهذا المشرك : أنت اذا دعوت هـــذا ، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدر على ســؤالك ، أو أرحم بك من ربك ، فهذا جهل وضلال وكفر . وان كنت تعلم أن الله تعالى أعلم وأقــدر وأرحـــم ، فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غــيره ؟! وان كنت تعــلم أنه أقــرب الى الله منك ، وأعلى منزلة عند الله منك ، فهذا حق أريد به باطل فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة ، فان معنــاه أن يثيبه ويعطبه ، ليس معناه انك اذا دعوته أنت ، فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعــاء ، فالنبى والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ، ولا يســعى فيما يبغضــك اليه ، وان لم يكن كذلك ، فالله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت . هــذا اذا دعــا الله أجاب دعــاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا ، فهذا من القسم الثانى وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يدعو له ، كما يقال للحى : ادع لى ، وكما كان الصحابة يطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء ، فهذا مشروع فى الحى ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنــا أن نقول : ادع لنا واسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل هــذا أحد فى الصحابة ولا التابعين ، ولا امر به أحــد من الأئمة ، ولا ورد فى ذلك حديث ، بل الذى ثبت فى « الصحيح » : أنهم لما أجــدبوا زمن عمــر استسقى بالعباس ، رضى الله عنهما ، فقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوســـل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيســقون . فلم يجيئوا الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم قائلين : يا رســول الله .. ادع الله ، أو استسق لنا ونحن نشكو اليك ما أصابنا ونحو هذا ، ولم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بهــا من ســلطان ، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يسلمون عليه ، ثم اذا أرادوا الدعــاء لم يدعــوا الله مستقبلى القبـــر ، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لا شريك له ، كما كانوا يدعونه فى ســائر البقاع .

وفى « الموطــأ » وغــيره : أن النبى صلى الله عليه وســلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشــتد غضب الله على قــوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفى السنن أيضا أنه قال : « لا تتخـذوا تبرى عيـدا ، وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى » .

وفى « الصحيح » : أنه قال فى مرضه الذى لم يقم منه : : « لعن الله اليهود والنصـارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، لكن خشى ان يتخـذ مسـجدا .

وفى « سنن أبى داوود » عنه أنه قال : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج »[1] .

ولهذا قال العلماء : لا يجوز بناء المساجـد على القبور . وقالوا أنه لا يجوز أن ينذر لقبـــر ، ولا للمجاور عند القبـر ، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك ، كله نذر معصية . ولم يقل أحد من أئمة المسلمين : ان الصلاة عند القبور فى المشـاهد مستحبة ، ولا أن الدعاء هناك أفضل ، بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة فى المســاجد وفى البيوت أفضل من الصلاة عند القبر ، لا قبر نبى ولا صـــالح ، سواء سميت مشاهد أم لا .

وقـد شرع الله ذلك فى المسـاجد دون المشـاهد . وقال : « **ومن أظلم ممن منـع مسـاجد الله أن يذكر فيهـا اسـمه وسعى فى خـرابها** »[2] . ولم يقـل (فى المشـاهد) ، وقال تعالى : « **قل أمر ربى بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد** »[3] . وقال تعالى : « **انما يعمر مســاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** »[4] .

وذكر البخارى فى « صحيحه » والطبـرى وغيره فى تفاسـيرهم قوله تعالى : « **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا ســـواعا** »[5] . قال : هذه أسماء قوم صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفـوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد ، فاتخذوا تماثيلهم أصناما .

فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعـاء ، هو أصل الشرك وعبادة الأوثان .

---

(١) اسناده ضعيف ، لكن للجملة الاولى والثانيـة شـواهد كثيرة
(٢) البقرة : ١١٤ — (٣) الاعراف : ٢٩
(٤) التوبة : ١٨ — (٥) نوح : ٢٣

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبى صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ، فانه لا يتمسح به ولا يقبل ، وليس فى الدين ما شرع تقبيله الا الحجر الأسود .

وقد ثبت فى « الصحيحين » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركنى البيت اللذين يليان الحجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام ابراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين . انتهى .

وقال رحمه الله فى الرد على ابن البكرى بعد كلام له سبق ذلك من هو الذى جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببا فى الأمور التى لا يقدر عليها الا الله ؟ ومن الذى قال : انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر ، نبيا كان أو غير نبى ، كان ذلك سببا فى حصول الرزق والنصر والهدى ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ؟ ومن الذى شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذى فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟ فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين :

احداهما : أن هذه أسباب لحصول المطالب التى لا يقدر عليها الا الله .

والثانية : أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه .. الى أن قال : وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وأمرا ، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوه ميتا أو غائبا ، وأن يستغيثوا به سواء أكان عند قبره ، أو لم يكن عند قبره ، بل نقول : سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غير نبى من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما نعلم بالاضطرار من دين المسلمين ، فان أحدا منهم ما كان يقول — اذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة — لميت : يا سيدى فلان ..

أنا فى حسبك أو اقض حاجتى كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ، ولا عند قبورهم ولا اذا بعدوا عنها . بل ولا أقسم بمخلوق على الله أصلا ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا قبور غير الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

وقد ذكره العلماء كمالك وغيره : أن يقوم الرجل عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه ، وذكروا أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الترياق المجرب . وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ : اذا (كانت) حاجة فاستغث بى ، أو قال : استغث عند قبرى ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة فى الاسلام بعد القرون المفضلة ، وكذلك المساجد المبنية على القبور التى تسمى المشاهد ، محدثة فى الاسلام ، والسفر اليها محدث فى الاسلام ، لم يكن شىء من ذلك فى القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت فى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا .

وثبت فى « الصحيح » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » .

وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس فقال : « اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — فيسقون » . فلم يذهبوا الى القبر ، ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به توسلا بدعائه ، كالامام مع المأموم ، وهذا تعذر بموته .

. فأما قول القائل عن ميت من الأنبيـــاء والصـــالحين : اللهم انا أسألك بفلان ، أو بجاه فلان ، أو بحرمة فلان ، فهـــذا لم ينقل لا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين .

وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز ، فكيف بقول القائل للميت : أنا استغيث بك وأستجير (بك) ، وأنا فى حسـبك ، أرسـل الله لى ، ونحو ذلك ، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قـدر أن له تأثيرا ، فكيف اذا لم يكن له تأثير صالح ، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تتمثل له الشـــياطين ، وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمتـــه ، وربما قضـت له أحيـانا بعض حوائجه ، كما تفعل شياطين الأصنام ، فان أحدا من الأنبياء والصـالحين لم يعبد فى حياته ، اذ هو ينهى عن ذلك ، وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضى ذلك الى اتخاذ قبره وثنا ، ولهذا قال النبى صـلى الله عليـــه وسلم : « لا تتخذوا قبرى عيدا » ، وقال : « اللهم لا تجعـل قبـرى وثنا يعبد » .

وقال غير واحـد من السـلف فى قـوله تعـالى : **« وقالوا لا تذرن آلهتكم »**(١) .

ان هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح ، فلما مـاتوا عكفـوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمـد فعبدوهم ، ولهذا المعنى لعن النبى الله عليه وسـلم الذين اتخذوا قبـور الأنبيـاء والصالحين مساجد . انتهى ملخصا .

وأخرج ابن أبى شيبة ، عن الزبير : أنه رأى قـوما يمســحون المقام ، فقال : لم تؤمروا بهذا ، انما أمرتم بالصلاة عنده .

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جـرير ، وابن المنذر ، عن قتـادة فى قول الله تعالى : **« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »**(٢) .

قال : انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه .

ولقد تكلفت هذه الأمة شـيئا ما تكلفته الأمم قبلها . فان كـان المعترض يستدل بكلام شـيخ الاسـلام ، فهـذا صريح كلامه المؤيد

---

(١) نوح : ٢٣ (٢) البقرة : ١٢٥ .

بالأدلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ فى هذا كثير جدا ، لو ذكرناه لطال الجواب .

وأما قول المعترض : بل مدح الصرصرى — وأثنى عليه بقوله : قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصرى فى نظمه المشهور ، فالجواب : أن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره وقد كذب على « الاقناع » و « الشفا » ليس فى الكتابين الا ما يبطل قوله . وفى الحديث : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت » والا فكلام الشيخ فى رد ما يقوله الصرصرى وانكاره موجود بحمد الله .

قال رحمه الله[١] فى رده على ابن البكرى بعد وجهين ذكرهما : الثالث أنه أدرج سؤاله أيضا فى الاستغاثة به ، وهذا جائز فى حياته ، لكنه أخطأ فى التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته لم ينقل عن أحد من العلماء ، ولكنه موجود فى كلام بعض الناس ، مثل الشيخ يحيى الصرصرى ، ففى شعره قطعة ، وكمحمد النعمان ، وهؤلاء لهم دين وصلاح ، لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الاسلام ، وليس معهم دليل شرعى ، ولا نقل عن عالم مرضى ، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه فى الشدائد فيدعوه ، أكثر منه من يأتى الى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده ، وهؤلاء ليس لهم مستند شرعى من كتاب (الله) أو سنة رسوله ، أو قول عن الصحابة والأئمة ، وليس عندهم الا قول طائفة أخرى : قبر معروف ترياق مجرب ، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ، ونحو ذلك ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحى أو ميت ، فرأوه قد أتى فى الهواء وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع أن المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ، أو الكواكب والأوثان ، فان الشياطين كثيرا ما تتمثل لهم فيه ، وأنها تخاطب أحدهم ولا يراها .

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة فى زماننا لطال المقال ، وكلما كان القوم أعظم جهلا وضلالا ، كانت هذه الأحوال الشيطانية

---

(١) أى شيخ الاسلام ابن تيمية .

عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحدا أتاه به ، فتحسب ذلك كرامة ، وانما هـو من الشيطان ، وسببه شركه بالله ، وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشيطان : فأضلهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عباد الأصنام . انتهى ما ذكره شيخ الاسلام — رحمه الله — من انكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية ، وبين أسبابها .

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم ان لم يزد على قول صاحب « البردة » لم ينقص عنه . فالجواب : أن هـذا من عـدم بصيرته ، وكبير جهله ، فان من له أدنى معرفة وفهم يعلم أن بين قـول صـاحب « البردة » وقول الصرصري في أبياته تفـاوتا بعيدا ، فقـد نبهنا على ما يقتضيه كلام صاحب « البردة » من قصر الالهية والربوبية والملك ، وشمول العـلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته ، ودعوة الخلق الى عبادته وحده ، وجهاد الناس على ذلك ، وبلغ الأمة ما أنزل الله تعـالى عليه في الآيات المحكمات في تجـريد التوحيـد ، والنهي عن الشـرك ووسائله كما قدمنا الاشارة اليه .

وأما الصرصري ففي كلامه توسـل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاسـتغاثة ، والاستغاثة في جـانب المخلوق : وقد أنكره شـيخ الاسلام — رحمه الله — وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنة ، ولا قال به أحد من الصـحابة والتابعين والأئمة . وقد بين رحمه الله أن استغاثة الحي بالحي انما هـو بدعائه وشـفاعته ، وأما الميت الغائب فلا يجوز أن يستغاث به ، وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه الا الله ، وأن أهل الاشراك ليس معهم الا الجهل والهوى وغـوائل نشأوا عليها بلا برهان ، وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت الا بشبهات واهية ، وحكاية سوفسطائية أو منامات تضليلية ، كما قال كعب بن زهير:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت   أن الأماني والأحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين الا دعوى مجردة محشـوة بالأكاذيب وليس معهم — بحمد الله — دليل من كتاب أو سنة أو قول واحـد من سلف الأمة وأئمتها ، وقـد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليـه الصحابة والأئمة .

ولو استقصينا ذكر الأدلة ، وبسط القول ؛ لاحتمل مجلدا ضخما ؛ وسبب الفتنة بقصائد المتأخرين كقصائد البوصيرى والبرعى ، واختيارها على قصـائد شـعراء الصحابة ، كحسـان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضى الله عنهم ، وفيهـا من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشـار ، وما ذلك الا لأن قصـائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيهـا الحد الى ما يكرهه الله ورسوله ، فزينها الشيطان فى نفوس الجهال والضلال ، فمالت اليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التى ليس فيها الا الحق والصـدق ، وما قصروا فيها جهدهم عما يصلح أن يمدح به رسـوله صلى الله عليـه وسلم ، وتحروا فيها ما يرضيه ، وتجنبوا ما يسخطه صلى الله عليه وسلم وما نهى عنه من الغلو .

فما أشبه هؤلاء بقول أبى الوفاء بن عقيل ، وهو فى القرن الخامس . لمـا صعبت التكاليف على الجهال والطغام[1] ، عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم ، فسهلت عليهم ، اذ لم يدخلوا بهـا تحت غيرهم قال : وهم عندى كفار بهذه الأوضاع . الى آخره .

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصـل ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله ونفعنا بعلومه قال ــ بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور ، وأن مقصودها ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ .

الثانى : الاحسـان الى الميت ، وأن لا يطول عهـده به فيتناساه ، فاذا زاره أو أهدى اليه هدية من دعاء أو صـدقة ، ازداد بذلك سروره وفرحه ، ولهذا شرع النبى صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لأهـل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهـم ولا يدعو بهم ولا يصلى عندهم .

الثالث : احسان الزائر الى نفسـه باتباع السـنة ، والوقوف عند ما شرعه الرسـول صلى الله عليه وسلم . وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخـوذ من عبـاد الأصنام ، قالوا : الميت المعظم الذى لروحـه قـرب

---

(١) الطغام : أوغاد الناس ، جمع وغد .

ومزية عنـد الله لا يزال تأتيـه الألطـاف من الله ، وتفيض على روحـه الخـيرات ، فاذا علق الزائر روحـه به وادناها ، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشـعاع من المرآة الصافية ، والمـاء على الجسـم المقابل ، قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهمتـه عليه ، ويوجـه قصـده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره ، وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم ، كان أقرب الى الانتفاع به .

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابى وغيرهمـا ، وصرح بهـا عباد الكواكب فى عبادتها ، وهذا بعينه هو الذى لعباد القبور : (من) اتخاذها أعيادا ، وتعليق الستور عليها ، وايقاد السرج ، وبنـاء المساجد عليها ، وهو الذى قصـد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون فى طريقـه . وناقضوه فى قصده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شـق ، وهؤلاء فى شق ، وهذا الذى ذكره هؤلاء فى زيارة القبور والشفاعة التى ظنـوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشـفع لهم عند الله ، قالوا فان العبـد اذ تعلق روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمته اليه ، وعكف بقلبه عليه ، صـار بينه وبينه اتصـال ، يفيض عليه نصيب مما يحصـل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة ، وقرب من السلطان ، وهو شديد التعلق به ، فما يحصـل لذلك من السـلطان من الانعـام والأفضال ، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقـه به . فهـذا سر عبـادة الأصنام ، وهو الذى بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله ، وتكفير أصحابه ولعنهم ، وابـاح دماءهـم وأموالهم ، وسـبى ذراريهم ، وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله ، وابطـال مذهبهم .

قال الله تعـالى : ((**أم اتخـذوا من دون الله شـفعاء ، قل او لو كانوا لا يملكون شـيئا ولا يعقلون . قـل لله الشفاعة جميعا له ملك السـموات والأرض ، ثم اليه ترجعون**))(١) .

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحـده ،

---

(١) الزمر : ٤٣ ، ٤٤

وهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة فى الحقيقة انما هى له . والذى يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه . وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده .

وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهى التى ابطلها الله سبحانه وتعالى بقوله : ((**واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل**))(١) .

وقوله : ((**من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة**))(٢) .

وقال : ((**وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع**))(٣) .

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل اذا أراد سبحانه رحمته بعبده اذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى : ((**ما من شفيع الا من بعد اذنه**))(٤) وقال : ((**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**))(٥) .

فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ، بل يشفع باذنه . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشرك والعبد المأمور ، فالشفاعة التى ابطلها شفاعة الشريك ، فانه لا شريك له ، والتى أثبتها شفاعة العبد المأمور الذى يشفع ، ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له ويقول : اشفع فى فلان . ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه . وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قوله تعالى : ((**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**))(٦) . وقال تعالى : ((**يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا**))(٧) .

فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضى قول المشفوع له واذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

---

(١) البقرة : ٤٨
(٢) البقرة : ٢٥٤
(٣) الانعام : ٥١
(٤) يونس : ٣
(٥) البقرة : ٢٥٥
(٦) الانبياء : ٢٨
(٧) طه : ١٠٩

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الامر شيء • وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ، لا يفعلون شيئا الا من بعد اذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه ، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ، ظنا منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه ، وما يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء • حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج •

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولى ، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والسيد والعبد ، والمالك والمملوك ، والغنى والفقير ، والذى لا حاجة به الى أحد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فان قيام مصالحهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم فى الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ، ولم يرضوا عن الشافع ، لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم ، فينتقض طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى • فأما الذى غناه من لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير اليه لذاته ، وكل من فى السموات والأرض عبيد له ، مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة • قال تعالى : ((**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض**))(١) . قال فى سيدة آى القرآن آية الكرسى : ((**له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**))(٢) . وقال : ((**قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض**))(٣) •

---

(١) المائدة : ١٧ (٢) البقرة : ٢٥٥

(٣) الزمر : ٤٤

فاخبر أن ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وأن أحدا لا يشفع عنده الا باذنه ، فانه ليس بشريك ، بل مملوك محض ، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم بعض .

فتبين أن الشفاعة التى نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هى المعروفة عند الناس ، ويقيدها تارة (بأنها) لا تنفع الا باذنه ، وهذه الشفاعة فى الحقيقة هى منه ، فانه هو الذى أذن له ، والذى قبل ، والذى رضى عن المشفوع ، والذى وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة . وقوله : فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ، ومحبوبه ومرجوه ، ومخوفه الذى يتقرب اليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه ، فهو الذى يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له .

قال تعالى : **((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون))**(١) .

فبين أن متخذى الشفعاء مشركون ، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم .

وسر الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا اذنا ، بل هو سبب محرك له من خارج ، كسائر الأسباب .

وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجل ما يوافقه كمن يشفع عنده فى أمر يحبه ويرضاه : وقد يكون عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه فى أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع ، وقد يكون المعارض الذى عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذى يوجب الرد ، وبين الشفاعة التى تقتضى القبول ، فيتوقف

---

(١) يونس : ١٨

الى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح ، وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه ، فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ، وأذن له فيها ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يمكن أن توجد . والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له ، فهو مأمور بالشفاعة ، مطيع بامتثال الأمر ، فان أحدا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلقه ، فالرب تعالى هو الذى يحرك الشفيع حتى يشفع ، والشفيع عند المخلوق هو الذى يحرك المشفوع اليه (حتى) يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه فى أكثر أموره ، وهو فى الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده ، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك ، كما أن الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره ، فكل منهما محتاج الى الآخر . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعة وما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم ، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وأنهم على شىء والسلف على شىء كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

والأمر أعظم مما ذكرنا . انتهى .

وبه كمل الجواب . والحمد لله الذى هدانا لدينه الذى رضيه لعباده، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا جزيلا وافيا وافرا .

* * *

الرسالة الرابعة عشرة :

قاعـدة جليلة فى العبادة

تفسيرا لقوله عز وجل : « يا أيهـا الناس اعبدوا ربكم » تســمى :

العبـودية

تاليف الشيخ الامام العالم الربانى ، أوحد العلماء الزهاد
تقى الدين أبى العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
رحمه الله ، املاها بالقاهرة

بســم الله الرحمن الرحيم
وبه نسـتعين

أما بعد .. فقد سئل شيخ الاسلام وعلم الأعلام ، ناصر السنة ، وقامع البدعة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله عن قوله عز وجل : **« يا أيها الناس اعبدوا ربكم »**(١) .

فما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ وما حقيقة العبودية ؟ وهل هى أعلى المقامات (فى الدنيا والآخـرة) ، أم فوقها شيء من المقامات ؟

والمسؤول أن تبسطوا لنـا القول فى ذلك مأجورين برحمـة الله وفضله .

فأجاب رحمه الله ورضى عنه : الحمد لله رب العالمين .

العبادة : هى اسم جامع لكل ما يحبـه الله ويرضـاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصـلة الأرحام ، والوفاء بالعهـود ، والامـر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسـان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهـائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك ، من العبادة .

---

(١) البقرة : ٢١

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك : هى من العبادة لله .

وذلك : أن العبادة لله هى الغاية المحبوبة له ، والمرضيـة له ، التى خلق الخلق لهـا .. قال الله تعـالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »**(١) .

وبها ارسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه : **« اعبدوا الله ما لكم من اله غيره »**(٢) .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعـالى : **« ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة »**(٣) . وقـال تعـالى : **« وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون »**(٤) وقال تعـالى : **« ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون »**(٥) .

كما قال فى الآية الأخرى : **« يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم . وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون »**(٦) .

وجعل ذلك لازما لرسوله الى الموت كما قال : **« واعبد ربك حتى ياتيك اليقين »**(٧) . وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى : **« وله من فى السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون »**(٨) . وقال تعالى : **« ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون »**(٩) وذم المستكبرين عنها بقوله : **« وقال ربكم ادعونى استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »**(١٠) . ونعت صفوة خلقه بالعبودية له ، فقـال تعـالى :

---

(١) الذاريات : ٥٦
(٢) الأعراف : ٥٩
(٣) النحل : ٣٦
(٤) الأنبياء : ٢٥
(٥) الأنبياء : ٩٢
(٦) المؤمنون : ٥١ ، ٥٢
(٧) الحجر : ٩٩
(٨) الأنبياء : ١٩ : ٢٠
(٩) الأعراف : ٢٠٦
(١٠) غافر : ٦٠

« **عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** »(١) . وقال : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** »(٢) . ولما قال الشيطان : « **رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الأرض ولاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين** »(٣) قال الله تعالى : « **هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** »(٤) . وقال فى وصف الملائكة بذلك :

« **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** »(٥) .

وقال تعالى : « **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** »(٦) .

وقال تعالى عن المسيح الذى ادعت فيه الالهية والنبوة :

« **ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل** »(٧) .

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »(٨) .

وقد نعته الله بالعبودية فى أكمل أحواله . فقال فى الاسراء :

---

(١) الانسان : ٦
(٢) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤
(٣) الحجر : ٣٩ ، ٤٠
(٤) الحجر : ٤١ ، ٤٢
(٥) الانبياء : ٢٦ — ٢٨
(٦) مريم : ٨٨ — ٩٥
(٧) الزخرف : ٥٩
(٨) رواه البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

« **سبحان الذى اسرى بعبده ليلا** » . وقال فى الايحاء : « **فاوحى الى عبده ما أوحى** »(٢) .

وقال فى الدعوة : « **وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا** »(٣) .

وقال فى التحدى : « **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله** »(٤) .

فالدين كله داخل فى العبادة . وقد ثبت فى « الصحيح » أن جبريل لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة أعرابى وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان . فقال : « الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » قال : فما الايمان ؟ قال . « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : فما الاحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » . ثم قال فى آخر الحديث : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » . فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته ، فدان . أى أذللته فذل . ويقال : ندين الله وندين لله . أى نعبد الله ونطيعه ، ونخضع له .

فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له .

والعبادة أصل معناها : الذل أيضا . يقال : طريق معبد ، اذا كان مذللا قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ومعنى الحب : فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له .

فان آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله : العلاقة ، لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصبابة ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو

---

(١) الاسراء : ١ — (٢) النجم : ١٠
(٣) الجن : ١٩ — (٤) البقرة : ٢٣

الحب اللازم للقلب ، ثم العشــق . وآخرها : التتيم . يقال : تيم الله ، أى عبد الله فالمتيم : المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لانسان مع بغضــــه له لا يكون عابدا له . ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنــده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع الا الله ، وكــل ما أحب لغير الله فمحبتــه فاســدة ، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمــه باطــل . قال الله تعــالى : **« قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخــوانكم وازواجكم وعشــيرتكم وامــوال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضــونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامــره »**(١) .

فجنس المحبة ، تكون لله ولرســوله (كالطاعة ، فان الطــــاعة لله ولرسوله) والارضاء لله ولرسوله : **« والله ورسوله احق أن يرضــوه »**(٢) والايتاء لله ولرسوله : **« ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورســوله »**(٣) .

وأما العبادة وما يناسبها : من التوكــل والخوف . ونحــو ذلك ، فلا تكون الا لله وحده كما قال تعــالى : **« قل يا اهــل الكتــاب تعــالوا الى كلمــة ســواء بيننا وبينكم الا نعبــد الا الله ولا نشرك بــه شيئا ولا يتخــذ بعضــنا بعضــا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقــولوا اشــــهدوا بانــا مسلمون »**(٤) . وقال تعالى : **« ولو انهم رضــوا ما آتاهم الله ورســــوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون »**(٥) فالايتاء لله وللرسول ، كقوله : **« وما آتاكم الرســول فخذوه ، وما نهــاكم عنه فانتهوا »**(٦) .

وأما الحسب ــ وهو الكافي ــ فهو الله وحده ، كما قال تعــالى : **« الذين قال لهم النــاس ان النــاس قــد جمعوا لكم فاخشــوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »**(٧) . وقال تعــــالى : **« يا ايهــا**

---

(١) التوبة : ٢٤
(٢) التوبة : ٦٢
(٣) التوبة : ٥٩
(٤) آل عمران : ٦٤
(٥) التوبة : ٥٩
(٦) الحشر : ٧
(٧) آل عمران : ١٧٣

النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »(١) . اى حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين . الله • ومن ظن ان المعنى . حسبك الله والمؤمنون معه ، فقد غلط غلطا فاحشا ، كما قد بسطناه فى غير هـذا الموضع .
وقال تعالى : « **اليس الله بكاف عبده** »(٢) .

وتحرير ذلك : أن العبد يراد به المعبد الذى عبده الله ، فذلله ودبره وصرفه ، وبهذا الاعتبار : فالمخلوقون كلهم عباد الله : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل الجنة واهل النار ، اذ هو ، ربهم كلهم ومليكهم ، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته . وكلماته التامات التى لا يجاوزها بر ولا فاجر ، فما شاء كان وان لم يشاءوا ، وما شاءوا ان لم يشأه لم يكن ، كما قال تعالى : « **افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون** »(٣) .

فهو سبحانه رب العالمين ، وخالقهم ورازقهم ، ومحييهم ومميتهم ، ومقلب قلوبهم ، ومصرف أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق (لكل شىء ومدبره ومسخره) الا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه ، لكن أهل الايمان منهم عرفوا ذلك (وآمنوا به ، وشكروه بعبودية الالهية : رغبا ورهبا) بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له ، مستكبرا على ربه ، لا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق اذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له ، كان عذابا على صاحبه ، كما قال تعالى : « **وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** »(٤) . وقال تعالى : « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** »(٥) .
وقال تعالى : « **فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** »(٦) .

فاذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه ، وأنه مفتقر اليه محتاج اليه ، عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ، ويتضرع

---

(١) الانفال : ٦٤ — (٢) الزمر : ٣٦
(٣) آل عمران : ٨٣ — (٤) النمل : ١٤
(٥) البقرة : ١٤٦ — (٦) الانعام : ٣٣

اليه ويتوكل عليه ، لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه ، وقد يعبده مع ذلك ، وقد يعبد الشيطان والأصنام ، ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمنا ، كما قال تعالى : **« وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون »**(١) .

فان المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم (ورازقهم) وهم يعبدون غيره قال تعالى : **« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله »**(٢) . وقال تعالى : **« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل افلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله ، قل افلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون »**(٣) .

وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ، فيشهدها ، لا يشهد الا هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، بل وابليس معترف بهذه الحقيقة ، وأهل النار . قال ابليس : **« رب فانظرني الى يوم يبعثون »**(٤) . وقال : **« رب بما اغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين »**(٥) . وقال : **« فبعزتك لأغوينهم اجمعين »**(٦) . وقال **« أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن »**(٧) .

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره . وكذلك اهل النار قالوا : **« ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين »**(٨) . وقال تعالى : **« ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ، قال أليس هذا بالحق ، قالوا بلى وربنا »**(٩) .

---

(١) يوسف : ١٠٦ — (٢) الزمر : ٣٨

(٣) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ — (٤) سورة ص : ٧٩

(٥) الحجر : ٣٦ — (٦) سورة ص : ٨٢

(٧) الاسراء : ٦٢ ، وتمامها : **« ... الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا »** .

(٨) المؤمنون : ١٠٦ — (٩) الانعام : ٣٠

فمن وقف عند هذه الحقيقة (وعند شهودها ، ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية) التى هى عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره ، وأمر رسوله ، وكان من جنس ابليس ومن أهل النار ، فان ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهى الشرعيان ، كان من شر أهل الكفر والالحاد •

ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك ، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل فى النوع الثانى من معنى العبد ، وهو العبد بمعنى العابد ، فيكون عابداً لله ، ولا يعبد الا اياه ، فيطيع أمره وأمر رسله ، ويوالى أولياءه المؤمنين المتقين ، ويعادى أعداءه (الكافرين والفاسقين) •

وهذه العبادة متعلقة بالالهية لله تعالى ، ولهذا كان عنوان التوحيد : « لا اله الا الله » بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده ، أو يعبد معه الها آخر •

فالاله : هو الذى يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والخوف والرجاء ، ونحو ذلك •

وهذه العبادة : هى التى يحبها الله ويرضاها ، وبها وصف المصطفين من عباده ، وبها بعث رسله • وأما العبد : بمعنى المعبد ، سواء أقر بذلك أو أنكره ، فذلك المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر •

وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة فى عبادة الله ودينه وأمره الشرعى التى يحبها ويرضاها ويوالى أهلها ويكرمهم بجنته ، وبين الحقائق الكونية التى يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، التى من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من اتباع ابليس اللعين ، والكافرين برب العالمين ، ومن اكتفى فيها ببعض الأمور دون بعض ، أو فى مقام (دون مقام) أو حال (دون حال) نقص من ايمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية ، وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه أكابر الشيوخ المدعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ، ما لا يحصيه الا الله الذى يعلم السر والاعلان •

والى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه • فبين

أن كثيرا من الرجال اذا وصلوا الى القضاء والقدر أمسكوا ، الا أنا انفتحت لى فيه روزنة[1] ، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعا للقدر ، لا من يكون موافقا للقدر .

والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله ، ولكن كثيرا من الرجال غلطوا فيه ، فانهم قد يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاصى والذنوب ، أو ما يقدر على الناس من ذلك ، بل من الكفر ، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره ، داخل فى حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته ، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك ، دين وطريق وعبادة ، فيضاهئون المشركين الذين قالوا : **((لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء))**(٢) . وقالوا : **((أنطعم من لو يشاء الله أطعمه))**(٣) . وقالوا : **((لو شاء الرحمن ما عبدناهم))**(٤) .

ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ، ونصبر على موجبه فى المصائب التى تصيبنا ، كالكفر والمرض والخوف قال تعالى : **((ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه))**(٥) .

قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم . وقال تعالى : **((ما اصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ، ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم))**(٦) .

وفى « الصحيحين » : عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ؟ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك

---

(١) الروزنة : الكوة ، وهى خرق فى الحائط ، كالنافذة .
(٢) الانعام : ١٤٨ (٣) يس : ٤٧
(٤) الزخرف : ٢٠ (٥) التغابن : ١١
(٦) الحديد : ٢٢ ، ٢٣

الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل أن أخلق آدم قال : نعم . قال فحج آدم موسى » .

وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتج بالقدر . فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ، ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس . وقوم نوح ، وقوم هود ، وكل كافر . ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب ، فان آدم قد تاب الى ربه فاجتباه وهدى ، ولكن لأجل المصيبة التى لحقتهم بالخطيئة . ولهذا قال : « فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ » فأجابه آدم أن هذا كان مكتوبا على قبل أن أخلق .

فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرا ، وما قدر من المصائب يجب الاستسلام ، فانه من تمام الرضاء بالله ربا .

وأما الذنوب ، فليس للعبد أن يذنب ، واذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من صنوف المعايب ويصبر على المصائب . قال تعالى : « **فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك** »(١) وقال تعالى : « **وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا** »(٢) . وقال : « **وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** »(٣) . وقال يوسف عليه السلام : « **انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** »(٤) . وكذلك ذنوب العباد ، يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد فى سبيل الله الكفار والمنافقين ، ويعادى أعداء الله ، ويحب فى الله ويبغض فى الله ، كما قال تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير** .

---

(١) غافر : ٥٥ (٢) آل عمران : ١٢٠
(٣) آل عمران : ١٨٦ (٤) يوسف : ٩٠

قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده))(١) .

وقال تعالى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه**))(٢) . وقال : ((**افنجعل المسلمين كالمجرمين**))(٣) . وقال : ((**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**))(٤) . وقال تعالى : ((**أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون**))(٥) وقال تعالى : ((**وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات**))(٦) . وقال تعالى : ((**ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا**))(٧) وقال تعالى : ((**ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ، هل يستوون ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يات بخير ، هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم**))(٨) . وقال تعالى : ((**لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون**))(٩) .

ونظائر ذلك مما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل ، وأهل الطاعة والمعصية ، وأهل البر والفجور ، وأهل الهدى والضلال ، وأهل الغى والرشاد ، وأهل الصدق والكذب .

فمن شهد الحقيقة الكونية دون (الحقيقة) الدينية ، سوى بين هذه الأصناف المختلفة التى فرق الله بينها غاية التفريق حتى تؤول

---

(١) الممتحنة : ١ — ٤
(٢) المجادلة : ٢٢
(٣) القلم : ٣٥
(٤) سورة ص : ٢٨
(٥) الجاثية : ٢١
(٦) فاطر : ١٩ — ٢٢
(٧) الزمر : ٢٩
(٨) النحل : ٧٥ ، ٧٦
(٩) الحشر : ٢٠

به هذه التسوية الى أن يسوى بين الله وبين الأصنام . كما قال تعالى عنهم : « **تالله ان كنا لفى ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين** »(١) .

بل قد آل الأمر بهؤلاء الى أن سووا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقا لكل موجود ، اذ جعلوه هو وجود المخلوقات ، وهذا من أعظم الكفر والالحاد برب العباد ، وهؤلاء يصل بهم الكفر الى أنهم لا يشهدون أنهم عباد الله ، لا بمعنى أنهم معبودون ، ولا بمعنى أنهم عابدون ، اذ يشهدون أنفسهم هى الحق ، كما صرح بذلك طواغيتهم ، كابن عربى صاحب « الفصوص » وأمثاله الملحدين المفترين ، كابن سبعين وأمثاله ، ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون .

وهذا ليس بشهود للحقيقة ، لا الكونية ولا الدينية ، بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية ، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتا للخالق والمخلوق ، اذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم .

وأما المؤمنون بالله ورسوله ، عوامهم وخواصهم ، الذين هم أهل القرآن ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان لله أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته »(٢) .

فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شىء ومليكه وخالقه ، وأن الخالق سبحانه مباين للمخلوق ليس هو حال فيه ، ولا متحد به ، ولا وجوده وجوده . والنصارى انما كفرهم الله اذ قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصة . فكيف من جعل ذلك عاما فى كل مخلوق ؟ ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، وأنه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن على الخلق

---

(١) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨

(٢) رواه أحمد فى المسند ، وسنده حسن .

أن يعبدوه فيطيعوا أمره ، ويستعينوا به على كل ذلك ، كما قال فى فاتحة الكتاب : ((**اياك نعبد واياك نستعين**))(١) .

ومن عبادته وطاعته : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحسب الامكان ، والجهاد فى سبيله لأهل الكفر والنفاق ، فيجتهدون فى اقامة دينه ، مستعينين به ، رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات ، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ، ويدفع به الجوع المستقبل ، وكذلك اذا آن أوان البرد دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه ، كما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أرأيت أدوية تتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى تتقى بها : هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : « هى من قدر الله . وفى الحديث : « ان الدعاء والبلاء ليلتقيان ، فيعتلجان بين السماء والأرض » .

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله ، العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة .

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية — وهى ربوبيته تعالى لكل شىء ، ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب فى الضلال .

فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما ، فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون فيه الشريعة .

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : ((**لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء**))(٢) . وقالوا : ((**لو شاء الرحمن ما عبدناهم**))(٣) .

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا ، بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض . فانه لا يمكن أن يقر كل آدمى على ما يفعل ، فلا بد اذا ظلمة ظالم ، أو ظلم الناس ظالم ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وأخذ يسفك دماء الناس ، ويستحل الفروج ، ويهلك الحرث والنسل ونحو

---

(١) الفاتحة : ٥ (٢) الانعام : ١٤٨
(٣) الزخرف : ٢٠

ذلك من أنواع الضرر التى لا قوام للناس بها ، أن يدفع هـذا القدر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله . فيقال له : ان كان القدر حجة ، فدع كل أحـد يفعل ما يشاء بك وبغـيرك ، وان لم يكن حجة بطل قولك : « ان القدر حجة » .

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية ، لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه ، وانما هم يتبعون آراءهم وأهـواءهم ، كمـا قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصـية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة ، ويزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شـهد لنفسه أفعالا ، وأثبت له صفات ، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور على ذلك ، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات ، فانه يرتفع عند الأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

وقد يقولون : من شهد الارادة سـقط عنه التكليف . ويزعمون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهود الارادة .

فهؤلاء : يفرقون بين العامة ، والخاصـة الذين شهدوا الحقيقـة الكونية . فشهدوا أن الله خالق العباد ، وأنه مريد ومدبر لجميع الكائنات .

وقد يفرقون بين من يعـلم ذلك علما . وبين من يراه شـهودا . فلا يسقطون التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ، ولكن (يسقطونه) عمن يشهده ، فلا يرى لنفسه فعلا أصلا .

وهؤلاء (لا) يجعلون الجبر واثبات القـدر مانعا من التكليف على هذا الوجه .

وقد وقع فى هـذا طوائف من المنتسبين الى التحقيق والمعـرفة والتوحيد .

وسبب ذلك : أنه ضاق نطاقهم عن كون العبـد (لا) يؤمر بما يقدر عليه . كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك .

ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهى الشرعيين دون القضـاء والقـدر ، اللذين هما ارادة الله العامة وخلقه لأفعال العباد . وهؤلاء أثبتـوا القضاء

والقدر . ونفوا الأمر والنهى فى حق من شهد القدر ، اذ لم يمكنهم نفى ذلك مطلقا .

وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ، ولهذا لم يكن فى السلف من هؤلاء أحد وهؤلاء يجعلون الأمر والنهى للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يسقطون عمن وصل الى شهود هـذه الحقيقة الأمر والنهى ، ويقولون : انه صار من الخاصة ، وربما تأولوا على ذلك قـوله تعـالى : ((**واعبـد ربك حتى ياتيـك اليقين**))(١) . فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة .

وقول هؤلاء كفر صريح ، وان وقع فيه (بالتقليد) طوائف لم يعلموا أنه كفر ، فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن الأمر والنهى لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى أن يموت ، لا يسقطان عنه ، لا بشهوده القدر ، ولا بغير ذلك . فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له ، فان أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهى ، فانه يقتل (كفرا) ؛ وقد كثرت مثل هذه المقالات فى المستأخرين .

وأما المتقدمون من هذه الأمة ، فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هى محادة الله ورسوله ومعاداة له . وصد عن سبيله ومشاقة له ، وتكذيب لرسله ، ومضادة له فى حكمه ، وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ، ويعتقد أن هذا الذى هو عليه ، هو طريق الرسول ، وطريق أولياء الله المحققين ، فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه ، لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية ، أو أن الخمر حلال له ، لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر، أو أن الفاحشة حلال له ، لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك!

فلا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسول يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله ، وبين الاحتجاج بالقـدر على مخالفة أمـر الله ، فهذه الأصناف فيهم شـبه من المشركين (لأنهم) اما أن يبتدعـوا ، واما أن يحتجوا بالدقر ، واما أن يجمعوا بين الأمرين ، كمـا قال تعالى

---

(١) الحجـر : ٩٩

عن المشركين : ((**وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يامر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون**))(١) ، وكما قال تعالى عنهم : ((**سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء**))(٢) .

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذى فيه تحليل الحرام وعبادة الله بما لم يشرع الله ، فى مثل قوله تعالى : ((**وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه**))(٣) الى آخر السورة وكذلك فى سورة الاعراف فى قوله : ((**يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة**)) الى قوله : ((**واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ، قل ان الله لا يامر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل امر ربى بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد**)) الى قوله : ((**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**)) الى قوله : ((**انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون**)) (٤) .

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم : هو (الرياضة) والسلوك الذى لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ، ولكن بما يراه هو ويذوقه ، ويجده (فى قلبه الغافل الضال عن الله) ونحو ذلك .

وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا ، بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم ، وجعلهم ما يرونه وما يهوونه حقيقة ويأمرون باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله ، نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم ، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها ، دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة ، اما ان يحرفوا القول فيهما عن مواضعه ، واما أن يعرضوا عنه بالكلية :

---

(١) الاعراف : ٢٨ (٢) الانعام : ١٤٨
(٣) الانعام : ١٣٨ (٤) الاعراف : ٢٧ — ٣٣

فلا يتدبرونه ولا يعقلونه ، بل يقـولون : نفوض معناه الى الله ، مـع اعتقادهم نقض مدلوله .

واذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليـات المخالفة للكتـاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة ، وكذلك أولئك (الصوفية) اذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله ، المخالفة للكتاب والسنة ، وجدت من الأهواء التى يتبعها أعداء الله لا أولياؤه .

وأصل كل ضلال من ضل ، انما هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله ، وتقديم اتبـاع الهوى على أمر الله . فان الذوق والوجد ونحو ذلك هـو بحسب ما يحبه العبد ويهـواه . فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته وهواه .

فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد ، مثل ما بينه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : « ثلاث من كن فيـه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سـواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد أن أنقـذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار »(١) .

وقال صلى الله عليه وسـلم فى الحديث الصحيح : « ذاق طعـم الايمان : من رضى بالله ربا ، وبالاسـلام دينـا ، وبمحمد نبيا »(٢) . وأما أهل الكفر والبدع والشهوات ، فكل بحسبه .

قيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهـل الأهواء لهم محبـة شـديدة لأهوائهم ؟ فقال : انسـيت قـوله تعـالى : ((**وأشربوا فى قـلوبهم العجل بكفرهم**))(٣) ، أو نحو هذا من الكلام .

فعباد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعـالى : ((**ومن النـاس من يتخذ من دون الله أندادا يحبـونهم كحب الله ، والذين آمنـوا أشـد حبـا لله**)) (٤) . وقال : ((**فان لم يسـتجيبوا لك فاعلم أنمـا يتبعـون**

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٢) رواه مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

(٣) البقرة : ٩٣ . (٤) البقرة : ١٦٥

اهـواءهم ، ومن اضـل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »(١) . وقـال : **« ان يتبعون الا الظن وما تهـوى الانفس ، ولقـد جاءهم من ربهم الهـدى »**(٢) .

ولهذا يميل هؤلاء ، ويغرمون بسماع الشعر والأصوات (والآلات الموسيقية) التى تهيج المحبة المطلقة ، التى لا تختص بأهل الايمـان ، بل يشترك فيهـا محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب الصلبان ، ومحب الأوطان ، ومحب الاخوان ، ومحب المردان ، ومحب النسوان ، وهؤلاء (هم الذين) يتبعون أذواقهم ومواجيدهم ، من غـير اعتبـار لذلك بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة .

فالمخالف لما بعث الله به رسـوله من عبادته وحده ، وطاعتـه وطاعة رسوله ، لا يكون متبعا لدين شرعه الله أبدا ، كمـا قال تعـالى : **« ثم جعلناك على شـريعة من الأمـر فاتبعها ولا تتبـع أهـواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنـوا عنك من الله شـيئا ، وان الظـالمين بعضـهم اولياء بعض ، والله ولى المتقين »**(٣) بل يكون متبعـا لهـواه بغـير هـدى من الله ، قال تعـالى : **« أم لهـم شركاء شرعـوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »**(٤) .

وهم فى ذلك تارة يكونون على بدعـة يسمونها حقيقة ، ويقدمونها على ما شرعه الله . وتارة يحتجون بالقدر الكونى على الشريعة ، كمـا أخبر الله عن المشركين كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة هم أعلامهم عندهم قـدرا ، وهم مستمسكون بما اختاروا بهواهم من الدين فى أداء الفرائض المشهورة ، واجتنـاب المحرمات المشهورة ، لكن يضـاون بترك ما أمروا به من الأسباب التى هى عبادة ، ظانين العارف اذا شـهد القدر أعرض عن ذلك ، مثـل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة ، بناء على أن من شهد القدر ، علم أن ما قدر سيكون ، فلا حاجة الى ذلك وهذا ضلال مبين .

فان الله قـدر الأشياء بأسبابها ، كمـا قـدر السعادة والشـقاوة

---

(١) القصص : ٥٠ — (٢) النجم : ٢٣

(٣) الجاثية : ١٨ ، ١٩ — (٤) الشورى : ٢١

بأسبابها ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق للجنة أهلا خلقها لهم وهم فى اصلاب آبائهم وبعمل أهل الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلا ، خلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم ، وبعمل أهل النار يعملون »[١] .

وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم : بأن الله كتب المقادير ، فقالوا : يا رسول الله .. أفلا ندع العمل ، وتتكل على الكتاب ؟ فقال : « لا ، اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة »[٢] .

فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة ، كما فى قوله تعالى : ((**فاعبده وتوكل عليه**))[٣] . وفى قوله : ((**قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب**))[٤] .

وقول شعيب عليه السلام : ((**عليه توكلت واليه أنيب**))[٥] .

ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات ، فتنقص بقدر ذلك .

ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة ، ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم بهذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ، ونحو ذلك . فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه ، وانما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذى بعث به رسوله ، فى كل وقت ، كما قال الزهرى : كان من مضى من سلفنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان :

أحدهما : أن لا يعبد الا الله .

---

(١) رواه احمد ومسلم وابو داوود .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) هود : ١٢٣

(٤) الرعد : ٣٠ (٥) هود : ٨٨

الثانى : أن لا يعبده الا بما أمر وشرع ، لا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع ، قال تعالى : ((**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا**))(١) .

وقال تعالى : ((**بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**))(٢) . وقال تعالى : ((**ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا**))(٣) .

فالعمل الصالح : هو الاحسان وهو فعل الحسنات ، والحسنات : هى ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر ايجاب أو استحباب .

فما كان من البدع فى الدين التى ليست فى الكتاب ، ولا فى صحيح السنة ، فانها — وان قالها من قالها ، وعمل بها من عمل — ليست مشروعة فان الله لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل مالا يجوز ، كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح .

واما قوله : ((**ولا يشرك بعبادة ربه احدا**))(٤) . وقوله : ((**أسلم وجهه لله**))(٥) . فهو اخلاص الدين لله وحده ، وكان عمر ابن الخطاب يقول : اللهم اجعل عملى كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا . وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى : ((**ليبلوكم ايكم احسن عملا**))(٦) ، قال : اخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا على ، أخلصه وأصوبه ؟ قال : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

فان قيل : فاذا كان جميع ما يحبه الله داخلا فى اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها ؟ كقوله فى فاتحة الكتاب : ((**اياك نعبد**

---

(١) الكهف : ١١٠ — (٢) البقرة : ١١٢
(٣) النساء : ١٢٥ — (٤) الكهف : ١١٠
(٥) البقرة : ١١٢ — (٦) الملك : ٢

وإياك نستعين » . وقوله لنبيه : « **فاعبده وتوكل عليه** »(١) .
وقول نوح : « **اعبدوا الله واتقوه واطيعون** »(٢) . وكذلك قول غيره من الرسل ؟ قيل : هذا له نظائر ، كما فى قوله : « **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** »(٣) والفحشاء من المنكر ، وكذلك قوله : « **ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** »(٤) .

وايتاء ذى القربى : هو من العدل والاحسان ، كما أن الفحشاء والبغى من المنكر ، وكذلك قوله : « **والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة** »(٥) . واقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب . وكذلك قوله عن أنبيائه : « **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا** »(٦) . ودعاؤهم رغبا ورهبا من الخيرات ، وأمثال ذلك فى القرآن كثير .

وهذا الباب : يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر ؛ فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر ، لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص .

وتارة تتنوع دلالة الاسم بحال الانفراد والاقتران . فاذا أفرد عم ، واذا قرن بغيره خص ، كاسم « الفقير » و « المسكين » لما أفرد أحدهما فى مثل قوله : « **للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله** »(٧) وقوله : « **اطعام عشرة مساكين** »(٨) دخل فى الآخر . ولما قرن بينهما فى قوله : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين** »(٩) صارا نوعين .

وقد قيل : ان الخاص المعطوف على العام ، لا يدخل فى العام حال الاقتران ، بل يكون من هذا الباب .

والتحقيق ان هذا ليس لازما . قال تعالى : « **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** »(١٠) . وقال تعالى : « **واذا اخذنا**

---

(١) هود : ١٢٣
(٢) نوح : ٣
(٣) العنكبوت : ٤٥
(٤) النحل : ٩٠
(٥) الأعراف : ١٧٠
(٦) الأنبياء : ٩٠
(٧) البقرة : ٢٧٣
(٨) المائدة : ٨٩
(٩) التوبة : ٦٠
(١٠) البقرة : ٩٨

من النبيين ميثـــــاقهم ومنــــك ومن نــوح وابراهيـــــم وموسى وعيسى ابن مريم »(١) .

وذكر الخـاص مع العـام يكون لأسـباب متنوعة ، تارة لكونـه خاصية ليست لسـائر أفراد العـام ، كمـا فى نوح وابراهيم وموسى وعيسى ، وتارة لكون العام فيـه اطـلاق قـد لا يفهم منه العمـوم ، كما فى قوله : « **هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمـون الصـلاة ومما رزقناهم ينفقـون . والذين يؤمنـون بمـا أنزل اليك وما أنزل من قبـلك** »(٢) . فقـوله : « **يؤمنـون بالغيب** » يتنـاول كـل الغيب الذى يجب الايمان به . لكن فيه اجمال . فليس فيه دلالة على أن من الغيب : ما أنزل اليك وما أنزل من قبلك . وقد يكون المقصود أنهم يؤمنـون بالمخبر به ، وهـو الغيب ، وبالاخبـار بالغيب ، وهـو ما أنزل عليك وما أنزل من قبلك .

ومن هـذا الباب : قوله تعـالى : « **اتل ما اوحى اليك من الكتـاب واقم الصـلاة** »(٣) . وقـوله : « **والذين يمسـكون بالكتـاب واقامـوا الصـلاة** »(٤) . وتلاوة الكتـاب : هى اتبـاعه والعمـل بـه ، كمـا قال ابن مسعود فى قـوله تعـالى : « **الذين آتينـاهم الكتـاب يتلونه حـق تلاوتـه** »(٥) . قال : يحلون حـلاله ويحرمـون حـرامه ، ويؤمنـون بمتشابهه ، ويعملون بمحكمه . فاتباع الكتاب : يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر لمزيتها . وكذلك قال لموسى : « **اننى أنا الله لا اله الا أنـا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى** »(٦) . واقام الصلاة لذكـره : من أجـل عبادته . وكذلك قوله تعـالى : « **اتقوا الله وقولوا قـولا سـديدا** »(٧) . وقـوله : « **اتقـوا الله وابتغـوا اليـه الوسـيلة** »(٨) . وقـوله : « **اتقوا الله وكونوا مع الصـادقين** »(٩) فان هـذه الأمور هى أيضـا من تمام تقوى الله ، وكذلك قوله : « **فاعبده وتوكل عليه** »(١٠) .

---

(١) الأحزاب : ٧
(٢) البقرة : ٢ — ٤
(٣) العنكبوت : ٤٥
(٤) الأعراف : ١٧٠
(٥) البقرة : ١٢١
(٦) طه : ١٤
(٧) الأحزاب : ٧٠
(٨) المـائدة : ٣٥
(٩) التوبة : ١١٩
(١٠) هود : ١٢٣

فان التوكل هو الاستعانة : وهي من عبادة الله ، لكن خصت بالذكر ، ليقصدها المتعبد بخصوصها ، فانها هى العون على سائر أنواع العبادة ، اذ هو سبحانه لا يعبد الا بمعونته .

اذا تبين هذا فكمال المخلوق : فى تحقيق عبوديته لله ، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه ، أو أن الخروج عنها أكمل ، فهو من اجهل الخلق بل من اضلهم . قال تعالى : ((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون))(١) . وقال تعالى : ((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا))(٢) وقال تعالى فى المسيح : ((ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل))(٣) . وقال تعالى : ((وله من فى السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون))(٤) . وقال تعالى : ((لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا . فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ، واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا))(٥) . وقال تعالى : ((وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين))(٦) . وقال تعالى : ((ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون . فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار

---

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٨
(٢) مريم : ٨٨ — ٩٥
(٣) الزخرف : ٥٩
(٤) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠
(٥) النساء : ١٧٢ ، ١٧٣
(٦) غافر : ٦٠

وهم لا يسامون))(١) . وقال تعــالى : ((**واذكـر ربك فى نفسـك تضرعـا وخيفة ودون الجهر من القول بالغـدو والآصـال ولا تكن من الغـافلين ان الذين عنـد ربك لا يسـتكبرون عن عبـادته ويسـبحونه ولـه يسـجدن))**(٢) .

وهذا ونحوه مما فيه وصف أكابر الخلق بالعبادة ، وذم من خـرج عن ذلك متعدد فى القرآن ؛ وقد أخبر أنه أرسـل جميع الرسـل بذلك فقال تعالى : ((**وما ارسـلنا من قبلك من رسـول الا نوحى اليـه انـه لا اله الا انا فاعبدون))**(٣) . وقال : ((**ولقد بعثنـا فى كـل امة رسـولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))**(٤) .

وقال تعالى لبنى اسرائيـل : ((**يا عبـادى الذين آمنـوا ان ارضى واسـعة فاياى فاعبـدون))**(٥). ((**واياى فاتقـون))**(٦) . وقـال : ((**يا ايهـا النـاس اعبـدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقـون))**(٧) . وقال : ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبـدون))**(٨) . وقال تعالى : ((**قل انى امرت أن اعبـد الله مخلصـا له الدين . وامـرت لأن أكون أول المسلمين . قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل الله اعبد مخلصا له دينى . فاعبدوا ما شئتم من دونه))**(٩) .

وكل رسـول من الرسـل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله ، كقول نوح ومن بعده عليهم السلام فى سـورة الشـعراء وغيرها : ((**اعبـدوا الله ما لكم من اله غيره))**(١٠) .

وفى « المسند » عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنـه قال : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحـده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعـل الذلة والصغـار على من خالف أمرى »(١١) .

---

(١) فصلت : ٣٧ ، ٣٨
(٢) الأعراف : ٢٠٥ ، ٢٠٦
(٣) الأنبياء : ٢٥
(٤) النحل : ٣٦
(٥) العنكبوت : ٥٦
(٦) البقرة : ٤١
(٧) البقرة : ٢١
(٨) الذاريات : ٥٦
(٩) الزمر : ١١ — ١٥
(١٠) المؤمنون : ٣٢
(١١) رواه البخارى تعليقا ، وأبو داوود . قال الحافظ ابن حجر : اسناده حسن .

وقد بين أن عباده المخلصين . وهم الذين ينجون من السيئات التى زينها الشيطان . قال الشيطان : **((رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين))**(١) . وقال تعالى : **((هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين))**(٢) . وقال : **((فبعزتك لأغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين))**(٣) .

وقال فى حق يوسف : **((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين))**(٤) . وقال تعالى : **((سبحان الله عما يصفون ، الا عباد الله المخلصين))**(٥) .

وقال : **((انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون))**(٦) .

وبالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه فى قوله : **((واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار . انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار))**(٧) .

وقوله : **((واذكر عبدنا داوود ذا الأيد انه أواب))**(٨) . وقال عن سليمان : **((نعم العبد ، انه اواب))**(٩) . وعن أيوب : **((نعم العبد))**(١٠) . وقال عنه : **((واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه))**(١١) وقال عن نوح عليه السلام : **((ذرية من حملنا مع نوح ، انه كان عبدا شكورا))**(١٢) .

وقال عن خاتم رسله : **((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى))**(١٣) . وقال : **((وانه لما قام عبد الله يدعوه))**(١٤) .

---

(١) الحجر : ٣٩ ، ٤٠
(٢) الحجر : ٤١ ، ٤٢
(٣) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣
(٤) يوسف : ٢٤
(٥) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠
(٦) النحل : ٩٩ ، ١٠٠
(٧) سورة ص : ٤٥ — ٤٧
(٨) سورة ص : ١٧
(٩) سورة ص : ٣٠
(١٠) سورة ص : ٤٤
(١١) سورة ص : ٤١
(١٢) الاسراء : ٣
(١٣) الاسراء : ١
(١٤) الجن : ١٩

وقال : ((**وإن كنتم فى ريب مما نزلنـــا على عبـــدنا**))(١) . وقال ((**فاوحى الى عبـــده ما أوحى**))(٢) . وقال : ((**عينـــا يشرب بهـــا عبـــاد الله**))(٣) . وقال : ((**وعبـــاد الرحمن الذين يمشـــون على الأرض هونا**))(٤) . ومثل هذا كثير متعدد فى القرآن .

* * *

فصـــــل

اذا تبين ذلك ، فمعلوم أن الناس يتفاضلون فى هـــذا الباب تفاضلا عظيما ، وهو تفاضلهم فى حقيقة الايمان ، وهم ينقسمون فيـــه الى عام وخاص ، ولهذا كانت الهية الرب لهم فيها عموم وخصوص ، ولهذا كان الشرك فى هـــذه الأمة أخفى من دبيب النمـــل . وفى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليـــه وسلم أنه قال : « تعس عبـــد الدرهـــم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، واذا شـــيك فلا انتقش . ان أعطى رضى ، وان منـــع ســـخط »(٥) . فســـماه النبى صلى الله عليه وسلم : عبد الدرهم ، وعبـــد الدينـــار ، وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه دعاء وخبرا ، وهو قوله : « تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش » والنقش : اخراج الشـــوكة من الرجل ، والمنقاش : ما يخرج به الشوكة ، وهذه حال من اذا أصابه شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس . فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ، وهذه حال من عبد المـــال ، وقـــد وصف ذلك بأنه اذا أعطى رضى ، واذا منـــع ســـخط . كما قال تعالى : ((**ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضـــوا وان لم يعطوا منهـــا اذا هـــم يسخطون**))(٦) .

فرضاهم لغير الله ، وســـخطهم لغير الله ، وهكـــذا حال من كان

---

(١) البقرة : ٢٣ (٢) النجم : ١٠

(٣) الانسان : ٦ (٤) الفرقان : ٦٣

(٥) رواه البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٦) التوبة : ٥٨

متعلقا برئاسة أو بصورة ، ونحو ذلك من أهواء نفسه . ان حصل له رضى ، وان لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، اذ الرق والعبودية فى الحقيقة : هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده ولهذا يقال :

العبد حر ما قنع   والحر عبد ما طمع

وقال القائل :

أطعت مطامعى فاستعبدتنى   ولو أنى قنعت لكنت حرا

ويقال : الطمع غل فى العنق . وقيد فى الرجل ، فاذا زال الغل من العنق ، زال القيد من الرجل . ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال : « الطمع فقر ، واليأس غنى ، وان أحدكم اذا يئس من شىء استغنى عنه » . وهذا أمر يجده الانسان من نفسه ؛ فان الأمر الذى ييأس منه لا يطلبه ، ولا يطمع فيه ؛ ولا يبقى قلبه فقيرا اليه ، ولا الى من يفعله . وأما اذا طمع فى أمر من الأمور ورجاه ؛ فان قلبه يتعلق به ، فيصير فقيرا الى حصوله ؛ والى من يظن أنه سبب فى حصوله ، وهذا فى المال والجاه والصور وغير ذلك . قال الخليل صلى الله عليه وسلم : « **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ، اليه ترجعون** »(١) .

فالعبد لابد له من رزق ؛ وهو محتاج الى ذلك ، فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله ، فقيرا اليه ، واذا طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه . ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة فى الأصل ، وانما أبيحت للضرورة . وفى النهى عنها أحاديث كثيرة فى « الصحاح » و « السنن » و « المسانيد » . كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة من لحم »(٢) . وقال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا — أو خموشا ، أو كدوشا — فى وجهه »(٣) .

---

(١) العنكبوت : ١٧

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بمعناه عن جابر رضى الله عنه . قال الحافظ المنذرى : باسناد لا بأس به .

وقوله : « لا تحل المسألة الا لذى غرم مفظع ، أو دم موجع ، أو فقر مدقع »[١] . وهذا المعنى فى « الصحيح » وفيه ايضا : « لأن يأخذ أحدكم (أ) حبله نيذهب فيحتطب . خير له من ان يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه »[٢] . وقال : « ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ، ولا مستشرف فخذه ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك »[٣] . فكره أخذه مع سؤال اللسان ، واستشراف القلب ، وقال فى الحديث الصحيح : « من يستغن يغنه الله . ومن يستعفف يعفه الله . ومن يتصبر يصبره الله . وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر »[٤] . وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا . وفى « المسند » : أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده ، فلا يقول لأحد ناولنى اياه ، ويقول : « ان خليلى أمرنى أن لا أسأل الناس شيئا »[٥] . وفى « صحيح مسلم » وغيره ، عن عوف بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم بايعه فى طائفة ، وأسر اليهم كلمة خفية : « أن لا تسألوا الناس شيئا » . فكان بعض أولئك النفر يسقط السوط من يد أحدهم ولا يقول لأحد ناولنى اياه .

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق ، والنهى عن مسألة المخلوق فى غير موضع . كقوله تعالى : « **فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب** »[٦] .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اذا سألت فاسأل

---

(١) رواه ابو داوود والبيهقى عن انس بن مالك رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما عن الزبير بن العوام رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٤) رواه البخارى ومسلم ومالك وابو داوود والنسائى والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٥) وفى سنده انقطاع . قال الحافظ المنذرى : ابن ابى مليكة — يعنى راوى الحديث — لم يدرك أبا بكر .

(٦) الشرح : ٧ ، ٨

الله ، واذا استعنت فاستعن بالله »(١) • ومنه قول الخليل :
« **فابتغوا عند الله الرزق** »(٢) •

ولم يقل : فابتغوا الرزق عند الله ؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر ، كأنه قال : « لا تبتغوا الرزق الا عند الله » • وقد قال تعالى : « **واسالوا الله من فضله** »(٣) •

والانسان لابد له من حصول ما يحتاج اليه من الرزق ونحوه ، ودفع ما يضره ، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله ، فلا يسأل رزقه الا من الله ، ولا يشتكى الا اليه ، كما قال يعقوب عليه السلام :
« **انما اشكوا بثى وحزنى الى الله** »(٤) •

والله تعالى ذكر فى القرآن الهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، وقد قيل : ان الهجر الجميل : هو هجر بلا أذى ، والصفح الجميل : صفح بلا معاتبة ، والصبر الجميل : صبر بغير شكوى الى المخلوق • ولهذا قرىء على أحمد بن حنبل فى مرضه : أن طاووسا كان يكره أنين المريض ويقول : أنه شكوى • فما أن أحمد حتى مات • أما الشكوى الى الخالق فلا تنافى الصبر الجميل ، فان يعقوب قال :
« **فصبر جميل** »(٥) وقال : « **انما اشكوا بثى وحزنى الى الله** » •

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ فى الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل ، فمر بهذه الآية فى قراءته ، فبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف •

ومن دعاء موسى : « اللهم لك الحمد واليك المشتكى ؛ وأنت المستعان (وبك المستغاث) وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك » • وفى الدعاء الذى دعا به النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ؛ وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربى ورب المستضعفين ، اللهم الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ؟

---

(١) رواه الترمذى واحمد ، وهو حسن لغيره •
(٢) العنكبوت : ١٧ — (٣) النساء : ٣٢
(٤) يوسف : ٨٦ — (٥) يوسف : ٨٣

ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : أن ينزل بى سخطك ، أو يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله — وفى بعض الروايات — الا بك »(١) .

وكلما قوى طمع العبد فى فضل الله ورحمته ، ورجاؤه لقضاء حاجته ودفع ضرورته ، قويت عبوديته له ، وحريته مما سواه ، فكما أن طمعه فى المخلوق يوجب عبوديته له ، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ، كما قيل : استغن عمن شئت تكن نظيره ،وأفضل على من شئت تكن أميره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره . فكذلك طمع العبد فى ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له ، واعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له ، يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق ، بحيث يكون قلبه معتمدا اما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه ، واما على أهله وأصدقائه ، واما على أمواله وذخائره ، واما على ساداته وكبرائه ، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ، ممن هو قد مات او يموت ، قال تعالى : « **وتوكل على الحى** الذى لا يموت وسبح بحمده ، وكفى به بذنوب عباده خبيرا »(٢) .

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ، خضع قلبه لهم ، مديرا لأمورهم ، متصرفا بهم . فالعاقل ينظر الى الحقائق لا الى الظواهر . فالرجل اذا تعلق قلبه بامرأة — ولو كانت مباحة له — يبقى قلبه أسيرا لها تتحكم فيه وتتصرف بما تريد ، وهو فى الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكها ، ولكنه فى الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ، ولا سيما اذا علمت بفقره اليها وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ، فانها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم فى عبده المقهور الذى لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، فان أسر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ،

---

(١) اسناده ضعيف معضل . انظر « فقه السيرة » بتخريج محمد ناصر الدين الألبانى ، ص ١٧٧ .

(٢) الفرقان : ٥٨

فان من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالى ما دام قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا ، بل يمكنه الاحتيال فى الخلاص ، وأما اذا كان القلب — الذى هو ملك الجسم — رقيقا مستعبدا ، متيما لغير الله ، فهذا هو الذل والأسر المحض ، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب .

وعبودية القلب وأسره هى التى يترتب عليها الثواب والعقاب فان المسلم لو أسره الكافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك اذا كان قائما بما يقدر عليه من الواجبات . ومن استعبد بحق ، اذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالايمان لم يضره ذلك ، وأما من استعبد قلبه فصار عبد لغير الله ، فهذا يضره ذلك كل الضرر ، ولو كان فى الظاهر ملك الناس .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وانما الغنى غنى النفس »[1] .

وهذا لعمر الله اذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة . فأما من استعبد قلبه صورة محرمة : امرأة أو صبى . فهذا هو العذاب الذى لا يدانيه عذاب .

وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذابا وأقلهم ثوابا ، فان العاشق لصورة اذا بقى قلبه متعلقا بها ، مستعبدا لها ، اجتمع له من أنواع الشر والخسران والفساد مالا يحصيه الا رب العباد ولو سلم من فعل لفاحشة الكبرى ، فداوم تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة ، أشد ضررا عليه ممن يفعل ذنبا ثم يتوب منه ، ويزول أثره من قلبه وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين ، كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى افاقة من به سكران ؟

وقيل :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

(١) رواه الشيخان عن ابى هريرة .

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانمـا يصرع المجنون فى حين

ومن أعظم أسباب هذا البلاء : اعراض القلب عن الله ، فان القلب اذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له ، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ، ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب .

والانسان لا يترك محبوبا الا بمحبوب آخر يكون أحب اليه منه ، أو خوفا من مكروه ، فالحب الفاسد انمـا ينصرف انقلب عنـه بالحب الصالح ، أو بالخوف من الضرر .

قال تعالى فى حق يوسف : ((**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين**))(١) .

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل الى الصورة والتعلق بها ، ويصرف عنه الفحشاء باخلاصه لله .

و (هذا) يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والاخـلاص له ، بحيث تغلبه نفسـه على اتبـاع هواها ، فاذا ذاق طعم الاخـلاص لله ، وقوى فى قلبه ، انقهر له هواه بلا كبير علاج .

قال تعـالى : ((**ان الصـلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر**))(٢) .

فان الصلاة فيها دفع لشر مكروه ، وهو الفحشاء والمنكر ، وفيهـا تحصيل لخير محبوب ، وهو ذكر الله . وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه ، فان ذكر الله : عبادة الله ، وعبادة القلب لله مقصـودة لذاتهـا .

وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع ، والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه ، فلما عرضت له ارادة الشر طلب دفـع ذلك ، فانها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل .

ولهذا قال تعالى : ((**قد افلح من زكاها . وقد خاب من دسـاها**))(٣)

---

(١) يوسف : ٢٤ (٢) العنكبوت : ٤٥

(٣) الشمس : ٩ ، ١٠

وقال تعالى : ((**قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى**))(١) .

وقال : ((**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك ازكى لهم**))(٢) . وقال تعالى : ((**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا**))(٣) .

فجعل سبحانه غض البصر ، وحفظ الفرج ، هو أقوى تزكية للنفس ، وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس ، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور : من الفواحش والظلم ، والشرك والكذب وغير ذلك .

وكذلك طالب الرئاسة والعلو فى الأرض ، قلبه رقيق لمن يعينه عليها ، ولو كان فى الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم ، فهو فى الحقيقة يرجوهم ويخافهم ، فيبذل لهم الأموال والولايات ، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه ، فهو فى الظاهر رئيس مطاع ، وفى الحقيقة عبد مطيع لهم .

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله . واذا كان تعاونهما على العلو فى الأرض بغير الحق ، كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين لهواه الذى استعبده واسترقه ــ مستعبد للآخر ، وهكذا أيضا طالب المال ، فان ذلك المال يستعبده ويسترقه .

وهذه الأمور نوعان :

منها : ما يحتاج العبد اليه ، ككل ما يحتاج اليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ، ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ، ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده ــ يستعمله فى حاجته ــ بمنزلة حماره الذى يركبه ، وبساطه الذى يجلس عليه ، بل بمنزلة الكنيف الذى يقضى فيه حاجته ، من غير أن يستعبده ، فيكون هلوعا : اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا .

ومنها : مالا يحتاج العبد اليه فهذا لا ينبغى له أن يعلق قلبه به ، فاذا علق قلبه به صار مستعبدا له . وربما صار معتمدا على غير الله ،

---

(١) الاعلى : ١٤ ، ١٥ (٢) النور : ٣٠

(٣) النور : ٢١

فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ، ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله ، وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة »(١) . وهذا هو عبد هذه الأمور ، فانه لو طلبها من الله ، فان الله اذا أعطاه اياها رضى ، واذا منعه اياها سخط ، وانما عبد الله من يرضيه ما يرضى الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالى أولياء الله ، ويعادى أعداء الله تعالى . وهذا هو الذى استكمل الايمان ، كما فى الحديث : « من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الايمان »(٢) وقال : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله »(٣) .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار »(٤) . فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه . فكان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله ، لا لغرض آخر . فكان هذا من تمام حبه لله ، فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فاذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ، لا لشىء آخر ، فقد أحبهم لله لا لغيره . وقد قال تعالى : ((**فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**))(٥) . ولهذا قال الله تعالى : ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**))(٦) .

فان الرسول لا يأمر الا بما يحب الله ، ولا ينهى الا عما يبغضه الله ، ولا يفعل الا ما يحبه الله ، ولا يخبر الا بما يحب الله التصديق

---

(١) رواه البخارى وابن ماجه ، وقد تقدم .
(٢) رواه أبو داوود بسند حسن .
(٣) حديث حسن ، أخرجه أحمد عن البراء ، والطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس ، وفى « الصغير » عن ابن مسعود .
(٤) متفق عليه .
(٥) المائدة : ٥٤
(٦) آل عمران : ٣١

به ، فمن كان محبا لله ، لزم أن يتبع الرسول : فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا . فقد فعل ما يحبه الله ، فيحبه الله .

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ، والجهاد فى سبيله ، وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله من الايمان ، والعمل الصالح ، وفى دفع ما يبغضه الله : من الكفر والفسوق والعصيان .

وقد قال تعالى : ((**قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم**)) الى قوله : ((**حتى يأتى الله بامره**))(١) .

فتوعد من كان أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله . والجهاد فى سبيله بهذا الوعيد الشديد ، بلى قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه قال : ((والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين))(٢) . وفى الصحيح : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله .. والله لأنت أحب الى من كل شىء الا من نفسى . فقال : ((لا يا عمر .. حتى أكون أحب اليك من نفسك)) فقال : فوالله لأنت أحب الى من نفسى . فقال : ((الآن يا عمر))(٣) .

فحقيقة المحبة لا تتم الا بموالاة المحبوب ، وهو موافقته فى حب ما يحب ، وبغض ما يبغض ، والله يحب الايمان والتقوى ، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان .

ومعلوم أن الحب يحرك ارادة القلب ، فكلما قويت المحبة فى القلب طلب القلب فعل المحبوبات ، فاذا كانت المحبة تامة استلزمت ارادة حازمة فى حصول المحبوبات ، فاذا كان العبد قادرا عليها حصلها ، وان كان عاجزا عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك ، كان له أجر كأجر الفاعل . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : ((من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء . ومن دعا الى ضلالة ، كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه ، من غير

---

(١) التوبة : ٢٤ (٢) رواه الشيخان .
(٣) رواه الشيخان .

أن ينقص من أوزارهـم شيء »[1] . وقال : « ان بالمدينـة لرجـالا ما سرتم مسـيرا ولا قطعتم واديـا الا كانوا معكم » . قالوا : وهـم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » .

والجهاد : هو بذل الوسع ــ وهو كل ما يملك من القـدرة ــ فى حصول ، محبوب الحق . فاذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد ، كان تركه دليلا على ضعف محبة الله ورسوله فى قلبه .

ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالبا الا باحتمال المكروهات ، سـواء كانت محبة صالحة أو فاسدة ، فالمحبون للمال والرئاسـة والصـور ، لا ينالون مطالبهم الا بضرر يلحقهم فى الدنيا ، مع ما يصيبهم من الضرر فى الدنيا والآخرة . فالمحب لله ورسوله اذا لم يحتمل ما يرى من تحمل المحبين لغير الله ما يحتملون فى سبيل حصـول محبوبهم ، دل ذلك على ضعف محبته لله ، اذ كان ما يسلكه أولئك فى نظرهم ، هو الطريق الذى يسير به العقل .

ومن المعلوم ان المؤمن اشـد حبا لله ، كما قال تعالى : ((**ومن النـاس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنـوا اشـد حبـا لله**))[2] .

نعم قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لا يحصـل له بها المطلوب ، فمثل هذه الطريق لا تحمد اذا كانت المحبـة صالحـة محمـودة .

فكيف اذا كانت المحبة فاسدة ، والطريق غير موصل ؟؟ كما يفعله المتهورون فى طلب المـال والرئاسة والصور ، من حب أمـور توجب لهم ضررا ، ولا تحصل لهم مطلوبا ، وانمـا المقصـود : الطرق التى يسلكها ذو العقل السليم لحصوله مطلوبه .

واذا تبين هذا ، فكلما ازداد القلب حبا لله ، ازداد له عبـودية ، وكلما ازداد له عبودية ، ازداد له حبا وحرية عما سواه .

والقلب فقير بالذات الى الله من جهتين : من جهة العبـادة ، وهى العلة الغائية ، ومن جهة الاستعانة والتوكل ، وهى العلة الفاعلة .

---

(١) رواه مسلم .　　(٢) البقرة : ١٦٥

فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولا يلتذ ، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، الا بعبادة ربه وحده . وحبه والانابة اليه ، ولو حصل له كل ما يلتزم به من المخلوقات ، لم يطمئن ، ولم يسكن ، اذ فيه فقر ذاتى الى ربه بالفطرة ، من حيث هو معبوده ومحبوبه ، ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة .

وهذا لا يحصل له الا باعانة الله له ، فانه لا يقدر على تحصيل ذلك السرور والسكون الا الله ، فهو دائما مفتقر الى حقيقة :
« اياك نعبد واياك نستعين »(١) .

فانه لو أعين على حصول كل ما يحبه وبطلبه ويشتهيه ويريده ، ولم يحصل له عبادة الله ، فلن يحصل الا على الألم والحسرة والعذاب ، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها ، الا باخلاص الحب لله ، بحيث يكون الله هو غاية مراده ، ونهاية مقصوده ، وهو المحبوب له بالقصد الأول ، وكل ما سواه انما يحبه لأجله ، لا يحب شيئا لذاته الا لله ، ومتى لم يحصل له هذا ، لم يكن قد حقق حقيقة : « لا اله الا الله » ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله ، وكان فيه من نقص التوحيد والايمان ، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك ولو سعى فى هذا المطلوب ، ولم يكن مستعينا بالله متوكلا عليه ، مفتقرا اليه فى حصوله ، لم يحصل له ، فانه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فالعبد مفتقر الى الله ، من حيث هو المطلوب المحبوب ، المراد المعبود ، ومن حيث هو المسئول المستعان به ، المتوكل عليه ، فهو الهه الذى لا اله له غيره ، وهو ربه الذى لا رب له سواه ، ولا تتم عبوديته لله الا بهذين .

فمتى كان يحب غير الله لذاته ، أو يلتفت الى غير الله أنه يعينه ، كان عبدا لما أحبه ، وعبدا لما رجاه ، بحسب حبه له ورجائه اياه ، واذا لم يحب أحدا لذاته الا الله ، وأى شىء أحبه سواه ، فانما أحبه له ،

---
(١) الفاتحة : ٥

ولم يرج قط شيئا الا الله ، واذا فعل ما فعل من الأسباب ، أو حصل ما حصل منها ، مشاهدا أن الله هو الذى خلقها وقدرها وسخرها له ؛ وأن كل ما فى السموات والأرض فالله ربه ومليكه وخالقه ومسخره ، وهو مفتقر اليه ، كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك .

والناس فى هذا على درجات متفاوتة ، لا يحصى طرقها الا الله .

فأكمل الخلق وأفضلهم ، وأعلاهم وأقربهم الى الله ، وأقواهم وأهداهم : أتمهم عبودية لله من هذا الوجه .

وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذى أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن الجنة لا يدخلها من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر »(١) . كما أن النار لا يخلد فيها من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ، فجعل الكبر مقابلا للايمان ، فان الكبر ينافى حقيقة العبودية ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله : العظمة ازارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى واحدا منهما عذبته »(٢) ، فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة الازار .

ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد : هو التكبير ، وكان مستحبا فى الأمكنة العالية ، كالصفا والمروة ، واذا علا الانسان شرفا ، أو ركب دابة ونحو ذلك ، وبه يطفأ الحريق وان عظم ، وعند الأذان يهرب الشيطان ، قال تعالى : **« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »**(٣) .

وكل من استكبر عن عبادة الله ، فلابد أن يعبد غيره ، ويذل له ، فان الانسان حساس يتحرك بالارادة .

---

(١) رواه مسلم وأبو داوود . (٢) رواه مسلم وأبو داوود .
(٣) غافر : ٦٠ .

وقــد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنــه قال : « أصدق الأسماء : حارث وهمام »[1] فالحارث : الكاسب الفاعـل ، والهمام : فعال من الهم ، والهم أول الارادة ، فالانسان له ارادة دائما . وكل ارادة فلابد لها من مراد تنتهى اليه ، فلابد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وارادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وارادته . بل استكبر عن ذلك ، فلابد أن يكون له مراد محبوب ، يستعبده ويستذله غير الله ، فيكون عبدا ذليلا لذلك المراد المحبوب اما المـال ، واما الجاه ، واما الصور ، واما ما يتخــذه الهــا من دون الله ، كالشمس ، والقمـر ، والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبيـاء والصـالحين ، والملائكـة ، والأنبياء ، والأولياء ، الذين يتخذهم أربابا ، وغير ذلك ممـا عبـد من دون الله .

واذا كان عبدا لغير الله كان لابد مشركا ، وكل مستكبر فهو مشرك ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله ، وكان مشركا قال تعـالى : **« ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسـلطان مبين . الى فرعـون وهامان وقارون فقالوا سـاحر كـذاب ... »** الى قوله : **« وقال موسى انى عـذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحسـاب ... »**[2] الى قـوله : **« كذلك يطبـع الله على كـل قلب متكبر جبـار »**[3] . وقال تعـالى : **« وقارون وفرعون وهامان ، ولقـد جاءهم موسى بالبينات فاسـتكبروا فى الأرض وما كانوا سـابقين »**[4] . وقال تعـالى : **« ان فرعون عـلا فى الأرض وجعل أهلها شـيعا يستضعف طائفـة منهم يذبح ابنـاءهم ويسـتحيى نسـاءهم »**[5] . وقال : **« وجحـدوا بهـا واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسـدين »**[6] . ومثل هذا فى القرآن كثير . وقـد وصف فرعـون بالشرك فى قوله : **« وقال الملأ من قـوم فرعون اتـذر موسى وقـومه ليفسـدوا فى الأرض**

---

(١) الذى فى صحيح مسلم : « أحب الأسـماءالى الله : عبـد الله ، وعبد الرحمن » وحديث : « وأصدقها : حارث وهمام » رواه أبو داوود ، والنسائى ، وليس هو فى الصحيح .

(٢) غافر : ٢٣ ، ٢٧

(٣) غافر : ٣٥

(٤) العنكبوت : ٣٩

(٥) القصص : ٤

(٦) النمل : ١٤

ويذرك وآلهتك))(١) . بل الاستقراء يدل على انه كلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله ، كان أعظم اشراكا بالله لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ، ازداد فقرا وحاجة الى مراده المحبوب الذى هو مقصود قلبه بالقصد الأول ؛ فيكون مشركا لما استعبده من ذلك .

ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات ، الا بأن يكون الله هو مولاه الذى لا يعبد الا اياه ، ولا يستعين الا به ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره الا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالى الا من والاه الله ، ولا يعادى الا من عاداه الله ، ولا يحب الا الله ، ولا يبغض شيئا الا لله ، ولا يعطى الا لله ، ولا يمنع الا لله . فكلما قوى اخلاص حبه ودينه لله كملت عبوديته ، واستغناؤه عن المخلوقات . وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك ، والشرك غالب على النصارى ، والكبر غالب على اليهود ، قال تعالى فى النصارى : ((**اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون))(٢)** . وقال فى اليهود : ((**افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون))(٣)** . وقال تعالى : ((**ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا))(٤)** .

ولما كان الكبر مستلزما للشرك ، والشرك ضد الاسلام ، وهو الذنب الذى لا يغفره الله ، قال تعالى : ((**ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما))(٥)** . وقال : ((**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا))(٦)** .

كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام ، فهو الدين الذى

---

(١) الأعراف : ١٢٧ — (٢) التوبة : ٣١
(٣) البقرة : ٨٧ — (٤) الأعراف : ١٤٦
(٥) النساء : ٤٨ — (٦) النساء : ١١٦

لا يقبل لله غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، قال نوح : **« فان توليتم فما سألتكم من اجر ، ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين »**(١) . وقال فى حق ابراهيم : **« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين »** الى قوله : **« فلا تموتن الا وانتم مسلمون »**(٢) . وقال عن يوسف : **« توفنى مسلما والحقنى بالصالحين »**(٣) . وقال عن موسى : **« ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين . فقالوا على الله توكلنا »**(٤) . وقال تعالى : **« انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا »**(٥) . وقال عن بلقيس : **« رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين »**(٦) . وقال : **« واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون »**(٧) . وقال : **« ان الدين عند الله الاسلام »**(٨) . وقال : **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه »**(٩) . وقال تعالى : **« افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها »**(١٠) .

فذكر اسلام الكائنات طوعا وكرها ، لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم مدينون له مدبرون ، فهم مسلمون له طوعا وكرها ، ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره وقضاه ، ولا حول ولا قوة الا به ، وهو رب العالمين ومليكهم ، يصرفهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم ، وبارئهم ومصورهم وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور ، فقير محتاج معبد مقهور ، وهو سبحانه الواحد القهار ، الخالق البارىء المصور ، وهو وان كان قد خلق ما خلقه لأسباب ، فهو خالق السبب والمقدر له ، والسبب مفتقر اليه كافتقار المسبب ، وليس فى المخلوقات سبب

---

(١) يونس : ٧٢ — (٢) البقرة : ١٣٠ — ١٣٢
(٣) يوسف : ١٠١ — (٤) يونس : ٨٤ ، ٨٥
(٥) المائدة : ٤٤ — (٦) النمل : ٤٤
(٧) المائدة : ١١١ — (٨) آل عمران : ١٩
(٩) آل عمران : ٨٥ — (١٠) آل عمران : ٨٣

مستقل بفعل خير ولا دفع ضر ، بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب آخر يعاونه ، والى ما يدفع عنه الضرر الذى يعارضه ويمانعه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه ، ولا ضد يناوئه ويعارضه ، قال تعالى : « **قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبى الله ، عليه يتوكل المتوكلون** »(١) . وقال تعالى : « **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير** »(٢) . وقال تعالى عن الخليل : « **يا قوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه ، قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ، ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا** » الى قوله : « **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** »(٣) .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله .. أينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال : « انما هو الشرك » الم تسمعوا الى قول العبد الصالح : « **ان الشرك لظلم عظيم** »(٤) وابراهيم الخليل امام الحنفاء المخلصين ، حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين . قال الله تعالى : « **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين** »(٥) . فبين أن عهده بالامامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم اماما ، وأعظم الظلم الشرك . وقال تعالى : « **ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين** »(٦) .

والأمة : هو معلم الخير الذى يؤتم به ، كما أن القدوة الذى يقتدى به . والله تعالى جعل فى ذريته النبوة والكتاب ، وانما بعث الأنبياء

---

(١) الزمر : ٣٨
(٢) الأنعام : ١٧
(٣) الأنعام : ٧٨ — ٨٢
(٤) لقمان : ١٣
(٥) البقرة : ١٢٤
(٦) النحل : ١٢٠

بعده بملته . قال تعالى : ((**ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين**))(١) . وقال تعالى : ((**ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين**))(٢) . وقال تعالى : ((**ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين**))(٣) . وقال تعالى : ((**وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط**)) الى قوله : ((**ونحن له مسلمون**))(٤) .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن ابراهيم خير البرية »(٥) . فهو أفضل الأنبياء بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو خليل الله تعالى .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال : « ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا »(٦) . وقال : « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله »(٧) — يعنى نفسه — وقال : « لا تبقين فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر »(٨) وقال : « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك »(٩) . وكل هذا فى الصحيح وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته : فان فى ذلك تمام تحقيق مخاللته لله التى أصلها محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله ، خلافا للجهمية .

وفى ذلك تحقيق توحيد الله ، وأن لا يعبدوا الا اياه ، ردا على أشباه المشركين ، وفيه رد على الرافضة الذين يبخسون الصديق رضى الله عنه حقه ، وهم أعظم المنتسبين الى القبلة اشراكا بعبادة على وغيره من البشر .

---

(١) النحل : ١٢٣
(٢) آل عمران : ٦٨
(٣) آل عمران : ٦٧
(٤) البقرة : ١٣٥ ، ١٣٦
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه مسلم .
(٧) متفق عليه .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه مسلم .

والخلة : هى كمال المحبة المستلزمة من العبد كمـال العبودية لله . ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه .

ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب ، فانهم يقولون : قلب متيم اذا كان معبـدا للمحبـوب . والمتيم : المعبـد ، وتيم الله : عبد الله ، وهذا على الكمال حصل لابراهيم ومحمـد صلى الله عليهمـا وسلم .

ولهذا له يكن له صلى الله عليه وسلم من أهل الأرض خليل ، اذ الخلة لا تحتمل الشركة ، فانه كما قيل فى المعنى :

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سـمى الخليل خليلا

بخلاف أصل الحب ، فانه صلى الله عليه وسلم قد قال فى الحديث الصحيح فى الحسن وأسامة : « اللهم انى أحبهمـا فأحبهمـا ، وأحب من يحبهما »(١) وسأله عمرو بن بن العاص : أى النسـاء أحب اليك ؟ فقال : « عائشـة » قال : فمن الرجال ؟ قال : « أبوهـا » وقال لعلى رضى الله عنه : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسـوله ، ويحبه الله ورسوله »(٢) وأمثال ذلك كثير .

وقـد اخبر تعـالى أنه : ((يحب المتقـين))(٣) و ((يحب المحسـنين))(٤) و ((يحب المقسـطين))(٥) و ((يحب التوابـين ويحب المتطهـرين))(٦) و ((يحب الذين يقـاتلون فى سـبيله صـفا كأنهم بنيـان مرصـوص))(٧) وقال : ((فسـوف يأتى الله بقـوم يحبهم ويحبـونه))(٨) .

---

(١) رواه البخـارى بلفظ : « اللهم أحبهمـا » . وما اورده المؤلف فهو من رواية الترمذى فى حق الحسن والحسـين ، وفى سـنده عبد الله بن أبى بكر بن زيد بن المهاجر ، وهو مجهول ، كما فى « التقريب » .

(٢) متفق عليه .　　(٣) آل عمران : ٧٦

(٤) البقرة : ١٩٥ ، المـائدة : ١٣

(٥) الحجرات : ٩ ، المتحنة : ٨

(٦) البقرة : ٢٢٢　　(٧) الصف : ٤

(٨) المـائدة : ٥٤

فقد أخبر بمحبته لعبـاده المؤمنين ومحبة المؤمنين له ، حتى قال : ((والذين آمنوا أشد حبا لله))(١) .

أما الخلة فخاصـة ، وقول بعض الناس : ان محمـدا حبيب الله وابراهيم خليل الله . وظن ان المحبـة فوق الخلة ؛ فقول ضعيف ، فان محمدا أيضا خليل الله ، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة المستفيضة.

وما يروى أن العبـاس يحشر بين حبيب وخليـل ، ومثال ذلك ، فأحاديث موضوعه لا تصلح ان يعتمد عليها .

وقد قدمنا أن محبة الله تعالى هى محبته ومحبة ما أحب ، كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليـه وسـلم انه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسـوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه ، كمـا يكره أن يلقى فى النـار »(٢) اخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه هذه الثلاث ، وجـد حلاوة الايمان ، لأن وجود الحلاوة بالشىء يتبع المحبة له . فمن أحب شيئا أو أشـياء ، اذا حصل له به مراده ، فانه يجـد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ، واللذة أمر يحصل عقيب ادراك الملائم الذى هـو المحبوب أو المشتهى .

ومن قال : ان اللذة ادراك الملائم ـ كما يقـوله من يقـوله من المتفلسفة والأطباء ـ فقد غلط فى ذلك غلطا بينا ، فان الادراك يتوسط بين المحبة واللذة ، فان الانسان مثلا يشتهى الطعام ، فاذا أكله حصـل له عقيب ذلك اللذة ، فاللذة تتبـع النظر الى الشىء ، فاذا نظر اليـه التذ به ، واللذة التى تتبع النظر ليست نفس النظر ، وليست هى رؤيـة الشىء بل تحصل عقيب رؤيته .

قال تعالى : ((وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين))(٣) .

وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام : من فـرح ، وحزن ، ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب ، أو الشـعور بالمكروه ، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن .

---

(١) البقرة : ١٦٥
(٢) رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضى الله عنه .
(٣) الزخرف : ٧١

فحلاوة الايمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد حلاوة الايمان ، تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبة ، وتعريفها ، ودفع ضدها .

فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، فان محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما كما تقدم .

وتعريفها : « أن يحب المرء لا يحبه الا لله » .

ودفع ضدها : أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهته الالقاء فى النار .

فاذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب المؤمنين الذين يحبهم الله ، لأنه أكمل الناس محبة لله ، وأحقهم بأن يحب ما يحبه لله ، ويبغض ما يبغضه الله ، والخلة ليس لغير الله فيها نصيب ، بل قال : « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا »[١] . علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة .

والمقصود : هو أن الخلة والمحبة لله : تحقيق عبوديته ، وانما يغلط من يغلط فى هذه من حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه ، وأن المحبة فيها انبساط فى الأهواء ، أو اذلال لا تحتمله الربوبية ، ولهذا يذكر عن ذى النون أنهم تكلموا عنده فى مسألة المحبة فقال : أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها . وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام فى المحبة بلا خشية . وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[٢] ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء[٣] ، ومن عبده

---

(١) متفق عليه .

(٢) الزنديق : هو من يبطن الكفر ويظهر الايمان .

(٣) المرجئة : قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

بالخوف وحده فهو حروري[١] ومن عبده بالحب والخـــوف والرجـاء فهو مؤمن موحد . ولهذا وجد فى المتأخرين من انبسط فى دعوى المحبة، حتى أخرجه ذلك الى نوع من الرعونة والدعوى التى تنافى العبودية ، وتدخل العبد فى نوع من الربوبية التى لا تصـلح الا لله ، فيدعى أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ، أو يطلب من الله ما لا يصلح بكل وجه الا لله ، لا يصـلح للأنبياء ولا للمرسـلين (فضـلا عن هم دونهم) .

وهذا باب وقع فيه كثير من الشـيوخ . وسـببه : ضعف تحقيق العبودية التى بينها الرسل ، وحـررها الأمـر والنهى الذى جاءوا به ، بل ضعف العقل الذى به يعرف العبد حقيقته . واذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفى النفس محبـة (طائشـة جاهلة) ، انبسطت النفس بحمقها فى ذلك ، كما ينبسـط الانسان فى محبـة الانسـان مع حمقه وجهله . ويقول : أنا محب ، فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيهـا عدوان وجهل فهذا عين الضلال ، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : **((نحن أبناء الله واحباؤه))**[٢] . قال الله تعـالى لهم : **((قـل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشـــر ممن خـلق ، يغفـــر لمن يشـاء ويعـذب من يشــاء))**[٢] .

فان تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضى أنهم غير محبوبين ، ولا منســوبين اليه بنسبة البنوة ، بل يقتضى أنهم مربوبون مخلوقون . فمن كـان الله يحبه استعمله فيما يحبه . ومحبوبه لا يفعل ما يبغضه الحـق ويسخطه من : الكفر ، والفســوق ، والعصيان . ومن فعـل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فان الله يبغضه ويبغض منه ذلك ، كما يحب عبـده المؤمن ويحب منه ما يفعله من الخير ، اذ أن حبه للعبد بحسب ايمانه وتقواه . ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبـه مع اصراره عليها ، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه . وعـدم تداويه منه لصحة مزاجه ولو تدبر الأحمـق ما قص الله فى كتـابه من قصص أنبيائه ، وما جـرى لهم من التـوبة والاسـتغفار ، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذى كان فيـه تمحيص لهم وتطهير بحسـب أحـوالهم ،

---

(١) الحرورية : الذين خرجوا على « على » رضى الله عنه ، وحاربوه عند قرية اسـمها حروراء .

(٢) المـائدة : ١٨

علم ضرر الذنوب بأصحابها ، ولو كان أرفع الناس مقـاما . فان الحب للمخلوق اذا لم يكن عـارفا بمحابه ولا مريدا لهـا ، بل يعمل بمقتضى الحب ، وان كان جهلا وظلما . كان ذلك سبب بغض المحبوب له ، ونفوره عنه ، بل سببا لعقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعا من الجهـل بالدين : اما من تعدى حدود الله ، واما من تضييع حقوق الله ، واما من ادعاء الدعاوى الباطلة التى لا حقيقة لها ، كقول بعضهم : أى مريد لى ترك فى النار أحدا فأنا برىء منه . فقال الآخر : أى مريد لى ترك أحدا من المؤمنين يدخل النار فأنا منه برىء .

فالأول : جعل مريده يخرج كل من فى النار . والثانى : جعـل مريده يمنع من دخول النار .

ويقول بعضهم : اذا كان يوم القيامة نصبت خيمتى على جهنم حتى لا يدخلها أحد .

وأمثال ذلك من الأقوال التى تؤثر عن بعض المشـايخ المشهورين . وهى اما كذب عليهم ، واما غلط منهم .

ومثل هذا قد يصدر فى حال سكر وغلبة وفناء يسـقط فيها تمييز الانسان ، او يضعف حتى لا يدرى ما قال . والسكر لذة مع عدم تمييز ، ولهذا كان من هؤلاء من اذا صـحا استغفر من ذلك الكـلام ، والذين توسعوا من الشيوخ فى سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام ، كان هذا أصل مقصدهم ، فان هـذا الجنس يحـرك ما فى القلب من الحب كائنا ما كان ، ولذا أنزل الله محبته يمتحن بهـا المحب ، فقال : ((**قل ان كنم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**))(١) .

فلا يكون محبا لله الا من يتبع رسوله . وطـاعة الرسول ومتابعته لا تكون الا بتحقيق العبـودية . وكثير ممن يدعى المحبـة يخـرج عن شريعته وسننه صلى الله عليه وسلم ، ويدعى من الحالات ما لا يتسـع هذا الموضع لذكره ، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسننه وطاعته ، بل قـد

---

(١) آل عمران : ٣١

جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد فى سبيله ، والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ، ولهذا قال فى صفة من يحبهم ويحبونه : ((**اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**))(١) .

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة فى ذلك : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فأين هذا من قوم يدعون المحبة ؟ وسمعوا كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق فى القلب ما سوى مراد المحبوب ، وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء . حتى الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يمكن لأحد أن يحب كل موجود، بل لا يمكن أن يحب الا ما يلائمه وينفعه ، وأن يبغض ما ينافيه ويضره. ولكن استفادوا هذا الضلال من اتباع أهوائهم ، ثم زادهم انغماسا فى أهوائهم وشهواتهم ، فهم يحبون ما يهوونه ، كالصور ، والرئاسة ، وفضول المال ، والبدع المضلة ، زاعمين أن هذا من محبة الله ، وكذبوا وضلوا ، فان محبة الله لا تكون الا ببغض ما يبغضه الله ورسوله ، وجهاد أهله بالنفس والمال .

وأصل ضلالهم : أن هذا القائل الذى قال : ان المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب ، قصد بمراد الله تعالى ، الارادة الكونية فى كل الموجودات .

أما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله ، من غير هؤلاء الصوفية مثل هذه المقالة ، فانه يقصد الارادة الدينية الشرعيه التى هى بمعنى محبته ورضاه ، فكأنه قال : تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله ، وهذا معنى صحيح ، فان من تمام الحب لله ان لا يحب الا ما يحبه الله ، فاذا أحببت ما لا يحب ، كانت المحبة ناقصة . وأما ما قضاه وقدره وهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ، فان لم أوافقه فى بغضه وكراهته وسخطه ، لم أكن محبا له ، بل محبا لما يبغضه .

فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل

---

(١) المائدة : ٥٤

محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدعى محبة الله ناظرا الى عموم ربوبيته ، أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته ، فان دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله ، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى ، لما فيهم من النفاق الذى هم به فى الدرك الأسفل من النار ، كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شرا من دعواهم اذا لم يصلوا الى مثل كفرهم .

وفى التوراة والانجيل من الترغيب فى محبة الله ما هم مشفقون عليه ، حتى ان ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس .

ففى الانجيل أعظم وصايا المسيح ، أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك ، والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة ، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة ، هو من ذلك ، وهم براء من محبة الله ، اذ لم يتبعوا ما أحبه ، بل اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم . والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم ، وهو سبحانه يحب من يحبه . لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له ، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ، وان كان جزاء الله لعبده أعظم . كما فى الحديث الصحيح الالهى عن الله تعالى أنه قال : « من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة »(١) .

وقد أخبر الله سبحانه أنه يحب المتقين المحسنين ، والصابرين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب ، كما فى الحديث الصحيح : « لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به .. »(٢) الحديث . وكثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء فى الزهد والعبادة وقعوا فيما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته : وترك المجاهدة فى سبيله ، ونحو

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وقد تكلم عليه الحافظ ابن رجب الحنبلى فى « جامع العلوم والحكم » فليراجع .

ذلك ، ويتمسكون فى الدين الذى يتقربون به الى ربهم بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التى لا يعرف صدق قائلها ، ولو صدق لم يكن قائلها معصوما ، فيجعلون متبوعيهم وشيوخهم شارعين لهم دينا ، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا • ثم أنهم ينتقصون العبودية ، ويدعون أن الخاصة يتعدونها ، كما يدعى النصارى فى المسيح والقساوسة ، ويثبتون لخاصتهم من المشاركة فى الله ، من جنس ما تثبته النصارى فى المسيح وأمه والقسيسين والرهبان : الى أنواع أخر يطول شرحها فى هذا الموضع •

وانما الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه ؛ وهو تحقيق محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ، وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ؛ وكلما كان فى القلب حب لغير الله ، كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ، وكل محبة لا تكون لله فهى باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل • فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله ، ولا يكون لله الا ما أحبه الله ورسوله ، وهو المشروع •

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق الله لم يكن لله بل لا يكون لله الا ما جمع الوصفين : أن يكون لله ، وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب ، كما قال تعالى : **« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »**(١) •

فلابد من العمل الصالح ، وهو الواجب والمستحب ، ولابد أن يكون خالصا لوجه الله تعالى ، كما قال تعالى **« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**(٢) •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »(٣) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى • فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله

---

(١) الكهف : ١١٠ . (٢) البقرة : ١١٢.

(٣) رواه أحمد ومسلم عن عائشة رضى الله عنها .

ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه »[1] .

وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، واليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قطب الدين الذي يدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء في الحديث : « هو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل »[2] وفي حديث آخر : قال أبو بكر : يا رسول الله .. كيف ننجو منه ، وهو اخفى من دبيب النمل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « الا أعلمك كلمة اذا قلتها نجوت من دقه وجله . قل : اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم »[3] ، وكان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .

وكثيرا ما يخالط النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له واخلاص دينها له ، كما قال شداد ابن أوس : يا بقايا العرب ! يا بقايا العرب ! ان أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . وقيل : لأبي داوود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة .

وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه »[4] .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فبين صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه البزار بلفظ : « الشرك اخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا » . وفي سنده عبد الاعلى بن اعين ، وهو ضعيف .

(٣) رواه أبو يعلى بمعناه عن شيخه عمرو بن الحصين العقيلي ، وهو متروك ، كما قال الهيثمي في « المجمع » .

(٤) رواه احمد والترمذي وابو يعلى . وقال المنذري : اسناده جيد ، وقد كتب الحافظ ابن رجب في هذا الحديث رسالة قيمة أدرجت في كتاب « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر .

أن الحرص على المال والشرف (فى افســاد الدين) : لا ينقص عن افساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنـم • فان الدين السـليم لا يكـون فيه هـذا الحرص ، وذلك أن القلب اذا ذاق حلاوة عبودية الله ومحبته له ، لم يكن شيء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف ـ عن أهل الاخلاص لله ـ السوء والفحشاء ، كما قال تعالى •

((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين))(١)

فان المخلص لله ذاق من حـلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره ، اذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعـم من حـلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له ، واخلاصه الدين كله له ، وذلك يقتضى انجذاب القلب الى الله ، فيصـير القلب منيبا الى الله ، خـائفا منـه ، راغبا راهبا ، وكما قال تعـالى : **((من خشى الرحمن بالغيب وجـاء بقلب منيب))(٢)** •

اذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، أو حصول مرهوبه : فلا يكون عبد الله ومحبـه ، الا بين خوف ورجاء ، كما قال تعـالى : **((أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمـته ويخـافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا))(٣)** •

واذا كان العبد مخلصا لله اجتباه ربه • فأحيا قلبـه واجتذبه اليه • فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السـوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك ، بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وحبـا مطلقا ، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهـواه ، كالغصن ، أى نسيم مر به عطفه وأماله • فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحـرمة ، فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هـو عبدا له لكان ذلك عيبا ونقصـا وذما • وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضـيه الكلمة وتغضـبه الكلمة • ويستعبده من يثنى عليه ولو بالباطل ، ويعادى من يذمه ولو بالحق •

وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمـور التى

---

(١) يوسف : ٢٤ (٢) سورة ق : ٣٣
(٣) الاسراء : ٥٧

تستبعد القلوب ، والقلوب تهــواها ، فيتخذ الهه هواه ، ويتبع هواه بغير هدى من الله .

ومن لم يكن محبا مخلصا لله ، وعبدا له ، قد صار قلبه معبدا لربه وحده لا شريك له ، بحيث يكون الله أحب اليه من كل ما سواه ، ويكون ذليلا له خاضعا ، والا استعبدته الكائنات ، واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين اخوان الشياطين ، وصــار فيه من الســوء والفحشاء ما لا يعلمه الا الله ، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه .

فالقلب ان لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضــا عما سواه ، كان مشركا : ((**فأقــم وجهك للدين حنيفا ، فطــرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخــلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر النــاس لا يعلمــون . منيبين اليه واتقــوه واقيموا الصــلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون**))(١) .

وقد جعل الله سبحانه ابراهيم وآل ابراهيم أئمة لهــؤلاء الحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته ، واخلاص الدين له ، كمــا جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم . قال تعــالى فى ابراهيم : ((**ووهبنا له اســحاق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صــالحين . وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعــل الخيــرات واقام الصــلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**))(٢) . وقال فى فرعــون وقــومه : ((**وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ، ويوم القيــامة لا ينصرون . وأتبعنــاهم فى هــذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين**))(٣) .

ولهذا يصير أتباع فرعون أولا الى أن لا يميزوا بين ما يحبــه الله ويرضاه ، وبين ما قدره وقضــاه ، بل ينظــرون الى المشيئة المطلقــة الشاملة ،ثم فى آخر الأمــر يميزون بين الخالق والمخلوق ، بل يجعلون وجود هذا وجود هذا . ويقول محققوهم : الشريعة فيها طاعة ومعصية ، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة ، والتحقيق ليس فيه طــاعة ولا معصية ، وهذا التحقيق هو مذهب فرعون وقــومه الذين أنكروا الخالق وأنكراو تكليمه لعبده موسى ، وما أرسله به من الأمر والنهى .

---

(١) الروم : ٣٠ — ٣٢ (٢) الانبياء : ٧٢ ، ٧٣
(٣) القصص : ٤١ ، ٤٢

وأما ابراهيم وآل ابراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم ، فهم يعلمون أنه لابد من الفرق بين الخالق والمخلوق . ولابد من الفرق بين الطاعة والمعصية ، وأن العبد كلما ازداد تحقيقا لهذا الفرق ، ازدادت محبته لله وعبوديته له ، وطاعته له ، واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره ، وطاعة غيره . وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه . والخليل يقول : **« افرأيتم ما كنتم تعبدون . انتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين »**(١) . ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ كما فعلت النصارى .

مثال ذلك : اسم « الفناء » فان الفناء ثلاثة أنواع : نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين ، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين .

فأما الأول : فهو الفناء عن ارادة ما سوى الله ، بحيث لا يحب الا الله ، ولا يعبد الا اياه ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يطلب من غيره . وهو المعنى الذى يجب أن يقصد بقول الشيخ أبى يزيد حيث قال : أريد أن أريد الا ما يريد ، أى المراد المحبوب المرضى . وهو المراد بالارادة الدينية . وكمال العبد ان لا يريد ولا يحب ولا يرضى . الا ما أراده الله ورضيه وأحبه ، وهو ما أمر به أمر ايجاب أو استحباب ، ولا يحب الا ما يحبه الله ، كالملائكة والأنبياء والصالحين ، وهذا معنى قولهم فى قوله تعالى : **« الا من أتى الله بقلب سليم »**(٢) . قالوا : هو السليم مما سوى الله ، أو مما سوى عبادة الله ، أو مما سوى ارادة الله . أو مما سوى محبة الله ، فالمعنى واحد . وهذا المعنى ان سمى فناء ، أو لم يسم ، هو أول الاسلام وآخره ، وباطن الدين وظاهره .

وأما النوع الثانى : فهو الفناء عن شهود السوى ، وهذا يحصل لكثير من السالكين ، فانهم لفرط انجذاب قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته ، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد ، وترى غير ما تقصد ، لا يخطر بقلوبهم غير الله ، بل ولا يشعرون به . كما قيل فى قوله تعالى : **« واصبح فؤاد أم موسى فارغا ، ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها »**(٣) . قالوا : فارغا من كل شيء : الا من ذكر موسى . وهذا

---

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧ (٢) الشعراء : ٨٩
(٣) القصص : ١٠

كثيرا ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور ، اما حب ، واما خوف ، واما رجاء ، يبقى قلبه منصرفا عن كل شيء ، الا عما قد أحبه أو أخافه أو طلبه ، بحيث يكون عند استغراقه فى ذلك لا يشعر بغيره ، فاذا قوى على صاحب الفناء هذا ، فانه يغيب بموجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن ، وهى المخلوقات ، العبد فمن سواه ، ويبقى من لم يزل ، وهو الرب تعالى ، والمراد فناؤها فى شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يذكرها أو يشهدها ، واذا قوى هذا ، ضعف المحب حتى يضطرب فى تمييزه • فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلا ألقى نفسه فى اليم ، فألقى محبه نفسه خلفه فقال : أنا وقعت ، فما أوقعك خلفى ؟ قال غبت بك عنى ، فظننت أنك أنى • وهذا الموضع زلت فيه أقدام أقوام ، وظنوا أنه اتحاد ، وأن المحب يتحد بالمحبوب ، حتى لا يكون بينهما فرق فى نفس وجودهما • وهذا غلط ، فان الخالق لا يتحد به شيء اصلا ، لانه ((**ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير**))(١) •

وهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • بل لا يمكن أن يتحد شيء بشيء ، الا اذا استحال وفسدت حقيقة كل منهما ، وحصل من اتحادهما أمر ثالث لا هو هذا ولا هذا ، كما اذا اتحد الماء واللبن ، والماء والخمر ، ونحو ذلك • ولكن يتحد المراد والمحبوب والمراد والمكروه ، ويتفقان فى نوع الارادة والكراهة فيحب هذا ما يحب هذا ، ويبغض هذا ما يبغض هذا ، ويرضى ما يرضى ويسخط ما يسخط ، ويكره ما يكره ، ويوالى من يوالى ، ويعادى ما يعادى • وهذا الفناء كله فيه نقص •

وأكابر الأولياء ، كأبى بكر وعمر ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، لم يقعوا فى هذا الفناء ، فضلا عمن هو فوقهم من الأنبياء ، وانما وقع شيء من هذا بعد الصحابة وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل وعدم التمييز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان ، فان الصحابة رضى الله عنهم كانوا أكمل وأقوى عقولا ، وأثبت فى الأحوال الايمانية من أن تغيب عقولهم ، أو يصل لهم غشى

---

(١) الشورى : ١١

أو صعق أو سكر ، أو فناء ، أو وله ، أو جنون ، وانما كان بادىء هذه الأمور فى التابعين من عبـاد البصرة ، فانه كان فيهـم من يغشى عليه اذا سـمع القرآن ، ومنهم من يموت ، كأبى جهـير الضـرير ، وزرارة بن أبى أوفى قاضى البصرة . وكذلك صـار فى شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسـكر ما يضعف معه تمييزه ، حتى يقـول فى تلك الحال من الأقوال ما اذا صـحا عرف أنه غالط فيه . كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبى يزيد وأبى الحسن النورى ، وأبى بكـر الشبلى . وأمثالهم ، بخـلاف أبى سليمان الدرانى ومعروف الكرخى والفضـيل ابن عياض ، بل وبخلاف الجنيد وأمثاله ، ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم فى أحوالهم ، فلا يقعون فى مثل هـذا الفناء والسكر ونحوه ، بل الكمل (من المؤمنين الذين لا يهتـدون الا بهـدى الكتاب والسنة) لا يكون فى قلوبهم سوى محبـة الله وارادته وعبادته ، لأن عنـدهم من سعة العلم والتمييز ما يشـهدون به الأمور على ما هى عليـه . بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله ، مدبرة بمشـيئته ، بل مسبحة له : قانتة له . فيكون لهم فيهـا تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشـهدونه من ذلك مؤيدا وممدا لمـا فى قلوبهم من اخلاص الدين ، وتجريد التوحيد لله ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه هى الحقيقة التى دعا اليها القرآن ، وقـام بها أهل تحقيق الايمان والكمل من أهل العرفان ونبينا صلى الله عليه وسلم امام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لمـا عرج به الى السموات وعاين ما هنالك من الآيات . وأوحى اليه ربه من أنواع المناجاة ما أوحى ، أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك . بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشى صلى الله (وسلم) عليهم أجمعين .

وأما النوع الثالث ، مما قد يسمى فناء فهو ان يشـهد أن لا موجود الا الله ، وأن وجود الخالق هـو وجود المخلوق ، فلا فـرق بين الرب والعبد ، فهـذا فنـاء أهل الضـلال والالحاد ، الواقعـين فى الحلول والاتحاد ، وهـذا يبرأ منه المشايخ (المستقيمون على هـدى الكتاب والسنة ، كالصحابة والأئمة المهتدين ، فانهم) اذا قال أحـدهم ما أرى غير الله ، أو لا أنظر الى غـير الله ونحو ذلك ، فمرادهم بذلك ما أرى ربا غيره ، ولا الها لى غيره ، ولا أنظـر الى غيره محبة له أو خـوفا

منه أو رجاء له ، فان العين تنظــــر الى ما يتعلق به القلب فمن أحب شيئا أو رجاه أو خافه التفت اليه . واذا لم يكن فى القــلب محبــة له ولا رجاء له ، ولا خوف منه ، ولا بغض له ، ولا غير ذلك من تعــلق القلب له ، لم يقصد القلب أن يلتفت اليه ، ولا أن ينظــر اليه ، ولا أن يراه ، وان رآه اتفاقا رؤية مجردة ، كما لو رأى حائطا ونحــوه مما ليس فى قلبه تعلق به .

والمشايخ والصالحون رضى الله عنهم يذكرون شـيئا من تجـريد التوحيد الربانية وتحقيق اخلاص الدين كــله ، بحيث لا يكــون العبد ملتفتا الى غــير الله ولا ناظــرا الى ما ســواه ، لا حبا له ولا خوفا منه ولا رجاء له ، بل يكون القلب فارغا من المخلوقات ، خاليا منها لا ينظــر اليها الا بنور الله .

فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر ، وبالحق يبطش ، وبالحق يمشى . فيحب منها ما يحبه الله ، ويبغض منها ما يبغضــه الله ، ويوالى منهـــا ما والاه الله ، ويعادى منها ما عــاداه الله ، ويخاف الله فيها ، ولا يخافها فى الله ، ويرجو الله فيها ، ولا يرجوها فى الله ، فهذا هــو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العــارف بمعرفة الأنبيــاء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم .

فهذا النوع الثالث — الذى هــو الفناء فى الوجود — هو تحقيق آل فرعون ومعرفتهم وتوحيدهم ، كالقرامطة وأمثالهم (من كــل من يدين بوحدة الوجود الذين نطق عنهم الحلاج وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمسانى) .

وأما النوع الذى عليه أتباع الأنبياء فهــو التحقيق المحمــود ، الذى يكون صاحبه به ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وجنده الغالبين .

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول ، أن الذى أراه بعينى من المخلوقات : هو رب الأرض والسموات ، فان هــذا لا يقوله الا من هو فى غاية الضلال والفســاد : اما فساد العقل ، واما فساد الاعتقاد ، فهو متردد بين الجنون والالحــاد وكل المشايخ الذين يقتدى بهــم فى الدين متفقون على ما اتفق عليــه سلف الأمة وأئمتها ، من أن الخالق

سبحانه مباين للمخلوقات . وليس فى مخلوقاته شىء من ذاته . ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته ، وأنه يجب افراد القديم عن الحادث ، وتمييز الخالق عن المخلوق ، وهذا فى كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا . وهم قد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الأمراض والشبهات . فان بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات . فيظنه خالق الأرض والسموات، لعدم التمييز والفرقان فى قلبه - بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التى فى السماء . وهم قد يتكلمون فى الفرق والجمع ، ويدخل فى ذلك من العبارات المختلفة نظير ما دخل فى الفناء .

فان العبد اذا شهد التفرقة والكثرة فى المخلوقات ، يبقى قلبه متعلقا بها مشتتا ناظرا اليها ، وتعلقه بها ، اما محبة ، واما خوفا ، واما رجاء . فاذا انتقل الى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فالتفت قلبه الى الله بعد التفاته الى المخلوقين ، فصارت محبته لربه ، وخوفه من ربه ، ورجاؤه لربه ، واستعانته بربه . وهو فى هذا الحال قد لا يتسع قلبه للنظر الى المخلوق ، ليفرق بين الخالق والمخلوق (فقد يكون مجتمعا على الحق معرضا عن الخلق . نظرا وقصدا) وهو نظير النوع الثانى من الفناء ، ولكن بعد ذلك الفرق الثانى ، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله ، مدبرة بأمره ، ويشهد كثرتها معدومة بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه رب المصنوعات والهها ، وخالقها ومالكها ، فيكون مع اجتماع قلبه على الله اخلاصا ومحبة وخوفا ورجاء واستعانة وتوكلا على الله وموالاة فيه . وأمثال ذلك - ناظرا الى الفرق بين الخالق والمخلوق ، مميزا بين هذا وهذا ، يشهد فى تفرق المخلوقات كثرتها ، مع شهادته ان الله رب كل شىء ومليكه وخالقه ، وأنه هو الذى لا اله الا هو .

وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم ، وذلك واجب فى علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفى حال القلب وعبادته ، وقصده وارادته ، ومحبته وموالاته وطاعته ، وذلك تحقيق شهادة أن « لا اله الا الله » . فانها تنفى عن القلب ألوهية ما سوى الحق ، وتثبت فى قلبه ألوهية الحق .

فيكون نافيا لألوهية كل شىء من المخلوقات ، مثبتا لألوهية رب العالمين ، رب الأرض والسموات ، وذلك يتضمن اجتماع القلب على

الله ، وعلى مفارقة ما سواه ، فيكون مفرقا فى علمه وقصده ، فى شهادته وارادته ، فى معرفته ومحبته : بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالما بالله تعالى ، ذاكرا له ، عارفا به ، وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه ، وانفراده عنهم ، وتوحده دونهم ويكون محبا لله ، معظما ، عابدا له ، راجيا له ، خائفا منه ، محبا فيه ، مواليا فيه ، معاديا فيه ، مستعينا به ، متوكلا عليه ، ممتنعا عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو خصائص الهية الله سبحانه وتعالى .

واقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه ، يتضمن اقراره بربوبيته وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ، فحينئذ يكون موحدا لله.

وذلك يبين أن أفضل الذكر « لا اله الا الله » كما رواه الترمذى ، وابن أبى الدنيا ، وغيرهما مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله »[1] .

وفى « الموطأ » وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير »[2] .

ومن زعم أن هذا ذكر العامة ، وأن ذكر الخاصة : هو الاسم المفرد ، وذكر خاصة : هو الاسم المضمر ، فهم ضالون غالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله : ((**قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**))[1] من أبين غلط هؤلاء ، فان الاسم (الله) مذكور فى الأمر بجواب الاستفهام فى الآية قبله وهو قوله : ((**قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس**))[3] الى قوله : ((**قل الله**)) أى الله هو الذى أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ، فالاسم (الله)

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وهو حديث حسن ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .

(٢) رواه مالك فى « الموطأ » مرسلا ، ورواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٣) الانعام : ٩١

مبتدأ ، خبره قد دل عليه الاستفهام ، كما فى نظائر ذلك ، يقال : من جاءك ؟ فتقول : زيد •

وأما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا ، فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهى •

ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة • ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطى القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالا نافعا وانما يعطيه تصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفى ولا اثبات •

فان لم يقترن به معرفة القلب ، وحاله ما يفيد بنفسه ، والا لم يكن فيه فائدة ، والشريعة انما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره •

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد ، وبـ (هو) ، فى فنون من الالحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط فى غير هذا الموضع •

وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : « أخاف أن أموت بين النفى والاثبات » حال لا يقتدى فيها بصاحبها ، فان فى ذلك من الغلط ما لا خفاء به ، اذ لو مات العبد فى هذه الحال ، لم يمت الا على ما قصده ونواه ، اذ الأعمال بالنيات ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت : « لا اله الا الله »[1] • وقال : « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة »[2] ، ولو كان ما ذكره محذورا ، لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت فى أثنائها موتا غير محمود ، بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد •

والذكر بالاسم المضمن (أو) المفرد • أبعد عن السنة ، وأدخل فى البدعة ، وأقرب الى ضلال الشيطان ، فان من قال : يا هو يا هو • أو هو هو ، ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائدا الا الى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدى وقد يضل •

---

(١) رواه مسلم وابو داوود والنسائى •

(٢) رواه ابو داوود ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد

وقد صنف صاحب « الفصوص » كتابا سماه كتاب (الهو)
وزعم بعضهم ان قوله : « **وما يعلم تأويله الا الله** »(١) . معناه :
وما يعلم تأويل هذا الاسم الذى هو الهو ، وهذا وان كان مما اتفق
المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل ، فقد يظن ذلك ، من
يظنه من هؤلاء ، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئا من ذلك : لو كان
هذا كما قلته لكتبت الآية : وما يعلم تأويل (هو) « منفصلة » .

ثم كثيرا ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل
« الله » بقوله : « **قل الله ، ثم ذرهم** »(٢) . ويظن ان الله أمر نبيه
بأن يقول الاسم المفرد ، وهذا غلط باتفاق أهل العلم ، فان قوله
« **قل الله** » . معناه : الله الذى انزل الكتاب الذى جاء به موسى ،
وهو جواب لقوله : « **قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم ، قل الله** »(٣) . اى الله الذى انزل الكتاب الذى جاء
به موسى ، والكلام رد لقول من قال من المكذبين لرسول الله :
« **ما انزل الله على بشر من شىء** » . فقال : « **من انزل الكتاب الذى جاء به موسى** » . ثم قال : « **قل الله** » انزله ، ثم ذر هؤلاء المكذبين
فى خوضهم يلعبون .

ومما يبين ما تقدم ، ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو
أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما ، لا يحكون به ما كان قولا .
فالقول لا يحكى به الا كلام تام ، أو جملة اسمية ، أو جملة فعلية ،
ولهذا يكسرون « ان » اذا جاءت بعد القول ، فالقول لا يحكى به اسم ،
والله تعالى لا يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للمسلمين ذكرا
باسم مفرد مجرد والاسم المجرد لا يفيد شيئا من الايمان باتفاق
أهل الاسلام ، ولا يؤمر به فى شىء من العبادات ، ولا فى شىء من
المخاطبات .

ونظير من اقتصر على الاسم المفرد : ما يذكر أن بعض الأعراب
مر بمؤذن يقول : « أشهد أن محمدا رسول الله » فقال : ماذا يقول

---

(١) آل عمران : ٧ — (٢) الانعام : ٩١
(٣) الانعام : ٩١

هذا ؟ .. هذا الاسم ، فأين الخبر عنه الذى يتم به الكلام ؟ وما فى القرآن من قوله : ((واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا))(١) . وقوله : ((سبح اسم ربك الأعلى)) (٢) . ((قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى))(٣) . ((فسبح باسم ربك العظيم))(٤) . ونحو ذلك لا يقتضى ذكره مفردا . بل فى السنن انه لما نزل قوله : ((فسبح باسم ربك العظيم))(٥) .

قال صلى الله عليه وسلم : ((اجعلوها فى ركوعكم)) ، ولما نزل قوله : ((سبح اسم ربك الأعلى))(٦) .

قال : ((اجعلوها فى سجودكم))(٧) . فشرع لهم أن يقولوا فى الركوع : ((سبحان ربى العظيم)) وفى السجود : ((سبحان ربى الأعلى)) .

وفى الصحيح : أنه كان يقول فى ركوعه : ((سبحان ربى العظيم)) وفى سجوده : ((سبحان ربى الأعلى))(٨) . وهذا معنى قوله : ((اجعلوها فى ركوعكم وسجودكم)) . باتفاق المسلمين . فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك : هو بالكلام التام المفيد ، كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : ((أفضل الكلام بعد القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر))(٩) .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((كلمتان خفيفتان

---

(١) المزمل : ٨ (٢) الأعلى : ١

(٣) الأعلى : ١٤ ، ١٥ (٤) الواقعة : ٧٤

(٥) الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ، الحاقة : ٥٢

(٦) الأعلى : ١

(٧) رواه أحمد فى ((المسند)) وأبو داوود وابن ماجه .

(٨) الذى فى الصحيح بلفظ : ((سبوح قدوس رب الملائكة والروح)) .
واما هذا فرواه أحمد وابو داوود وابن ماجه ، وهو صحيح .

(٩) رواه مسلم بلفظ : ((أحب الكلام الى الله اربع : سبحان الله ...)) .
ورواه ابن حبان بلفظ ، ((أفضل الكلام)) وجملة : ((بعد القرآن)) ليست عندهم .

على اللسان ثقيلتان فى الميـزان ، حبيبتان الى الرحمن : سـبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[١] .

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قـال فى يومه مائة مرة : لا اله الا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمـد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حـرزا من الشـيطان يومه ذلك ، حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه »[٢] . و « من قال فى يومه مـائة مـرة : سـبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم حطت عنـه خطاياه ، ولو كانت مثـل زبد البحر »[٣] .

وفى « الموطـأ » وغيره عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهـو على كل شيء قدير »[٤] . وفى سنن ابن ماجه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضـل الذكـر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله[٥] . ومثـل هـذه الأحاديث كثيرة فى أنواع ما يقال من الذكر والدعـاء ، وكذلك ما فى القرآن من قوله تعالى : ((ولا تأكلوا مما لم يذكـر اسـم الله عليـه))[٦] وقـوله : ((فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه))[٧] .

انما هو قول : باسم الله .. باسم الله وهذا جملة تاما ، اما اسمية ، على أظهر قولى النحاة ، أو فعلية ، والتقـدير : ذبحى باسـم الله أو أذبح باسم الله . وكذلك قول القارىء : « بسم الله الرحمن الرحيم » . فتقديره : قراءتى باسم الله ، أو أقـرأ باسم الله . ومن الناس من يضمر فى مثل هذا : ابتدائى باسم الله ، أو ابتدأت باسـم الله ، والأول أحسن ، لأن الفعل كله مفعـول باسم الله ، ليس مجـردا ابتدائه ، كمـا أظهـر

(١) رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة .
(٢) رواه البخارى ومسلم (٣) رواه البخارى ومسلم
(٤) رواه مالك مرسلا والترمذى ، وتقدم .
(٥) رواه الترمذى ، وهو حديث حسن .
(٦) الانعام : ١٢١ (٧) المـائدة : ٤

المضمر فى قوله : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** »(١) . وفى قوله : « **باسم الله مجراها ومرساها** »(٢) .

وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ، ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله »(٣) ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لربيبه عمر بن أبى سلمة : « يا غلام .. سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك »(٤) . فالمراد أن يقول : باسم الله ، ليس المراد أن يذكر الاسم مجردا . وكذلك قوله فى الحديث الصحيح لعدى بن حاتم : « اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت الله فكل »(٥) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند خروجه ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء »(٦) . وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين فى صلاتهم وآذانهم وحجهم واعيادهم : من ذكر الله تعالى ، انما هو بالجملة التامة كقول المؤذن : « الله اكبر ، الله اكبر ، أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله » وقول المصلى : « الله أكبر ، سبحان ربى العظيم ، سبحان ربى الأعلى ، سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، التحيات لله وقول الملبى : « لبيك اللهم لبيك » وأمثال ذلك » .

فجميع ما شرعه الله من الذكر ، انما هو كلام تام ، لا اسم مفرد ، لا مظهر ولا مضمر .

وهذا هو الذى يسمى فى اللغة : كلمة كقوله : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »(٧) وقوله : « أفضل كلمة قالها الشاعر — كلمة لبيد — : ألا كل شىء ما خلا الله باطل .. »(٨) .

---

(١) العلق : ١ — (٢) هود : ٤١
(٣) رواه البخارى ومسلم — (٤) رواه البخارى ومسلم
(٥) رواه البخارى ومسلم — (٦) رواه مسلم
(٧) رواه البخارى ومسلم — (٨) رواه البخارى

ومنه قـــوله تعالى : ((**كبرت كلمــة تخــرج من أفــواههم**))[1] .
وقــوله : ((**وتمت كلمة ربك صــدقا وعــدلا**))[2] .

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ : « الكلمة » . من الكتاب والسنة، بل وسائر كلام العرب ، انما يراد به الجملة التامة ، كما كانوا يستعملون الحرف فى الاسم ، فيقولون : هــذا حرف غريب ، أى : لفظ الاســم غريب .

وقسم سيبويه الكلام الى : اسم وفعل وحرف . جــاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا . لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وسمى حروف الهجــاء باســم الحروف ، وهى أسماء .

ولفظ الحرف يتناول هــذه الأسماء وغيرها ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من قــرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، أما أنى لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حــرف ، ولام حــرف وميم حرف »[3] . وقــد سأل الخليل بن أحمد أصحابه عن النطق بحــرف « الزاى » من زيد ، فقالوا : زاى . فقال : جئتم بالاســـم ، وانمــا الحرف « ز » .

ثم ان النحاة اصطلحوا على أن هذا المسمى فى اللغة بالحــرف ، يسمى كلمة ، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، كحروف الجر ونحوها .

وأما ألفاظ حروف الهجاء ، فيعبر تارة بالحــرف عن نفس الحرف من اللفظ ، وتارة باسم الحرف ، ولمــا غلب هــذا الاصطلاح صـــار يتوهم من اعتاده أنه هكذا فى لغة العرب ، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة فى اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثــلا ، وبين الجملة ، ولا يعــرف فى صريح اللغة من لفظ « الكلمة » الا الجملة التامة .

والمقصود هنا : أن المشروع فى ذكر الله سبحانه ، هــو ذكره بجملة

---

(١) الكهف : ٥ — (٢) الانعام : ١١٥

(٣) رواه الترمذى بلفظ : « من قــرأ حــــرفا من كتاب الله فله به حسنة ... » وقال : حديث حسن صحيح غريب .

تامة ، وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلمة ، وهو الذى ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر ، ويجذب القلوب الى الله ومعرفته ، ومحبته وخشيته ، وغير ذلك من المطالب العالية ، والمقاصد السامية .

وأما الاقتصار على الاسم المفرد ، مظهرا أو مضمرا ، فلا أصل له ، فضلا عن أن يكون ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة فى أنواع من البدع والضلالات ، وذريعة الى تصورات وأحوال فاسدة ، من أحوال أهل الالحاد وأهل الاتحاد ، كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع .

وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد الا الله ، ولا نعبده الا بما شرع ، لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : « **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** »(١) .

وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن « لا اله الا الله » ، وشهادة أن « محمدا رسول الله » .

ففى الأولى : أن لا نعبد الا اياه .

وفى الثانية : أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه ، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره .

وقد بين صلى الله عليه وسلم لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور ، واخبر انها ضلالة ، قال تعالى : « **بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٢) . وكما أننا مأمورون أن لا نخاف الا الله ، ولا نتوكل الا على الله ، ولا نرغب الا الى الله ، ولا نستعين الا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ، ونتأسى به . فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، قال تعالى : « **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون** »(٣) . فجعل الايتاء لله وللرسول ، كما قال : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** »(٤) . وجعل التوكل

---

(١) الكهف : ١١٠ . (٢) البقرة : ١١٢
(٣) التوبة : ٥٩ (٤) الحشر : ٧

على الله وحده بقوله : « **وقالوا حسبنا الله** » ولم يقل : ورسوله ، كما قال فى وصف الصحابة رضى الله عنهم : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** »(١) . ومثله قوله : « **يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** »(٢) اى حسبك وحسب المؤمنين ، كما قال : « **أليس الله بكاف عبده** »(٣) ثم قال : « **وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله** »(٤) . فجعل الايتاء لله وللرسول ، وقد ذكر الفضل لله ، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين . وقال : « **انا الى الله راغبون** »(٤) فجعل الرغبة الى الله وحده ، كما فى قوله : « **فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب** »(٥) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله »(٦) والقرآن يدل على مثل هذا فى غير موضع .

فجعل العبادة والخشية والتقوى لله ، وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله ، كما فى قول نوح عليه السلام : « **ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون** »(٧) . وقوله : « **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون** »(٨) وأمثال ذلك .

فالرسل أمروا بعبادته وحده ، والرغبة اليه ، والتوكل عليه وطاعته ، والطاعة لهم ، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم ، فأشركوا بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ، ويسألونهم مع معصيتهم لأمرهم ، ومخالفتهم لسنتهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله ، أهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه ، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، فأخلصوا دينهم لله ، وأسلموا وجوههم لله وأنابوا الى ربهم ، وأحبوه ورجوه ، وخافوه وسألوه ،

---

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) الانفال : ٦٤
(٣) الزمر : ٣٦ (٤) التوبة : ٥٩
(٥) الشرح : ٧ ، ٨
(٦) رواه أحمد ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وهو حسن لغيره . (٧) نوح : ٣
(٨) النور : ٥٢

ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه ، وتوكلوا عليه ، وأطاعوا رسله ، وعزروهم ، ووقروهم ، وأحبوهم ووالوهم ، واتبعوهم واقتفوا آثارهم ، واهتدوا بمنارهم .

وذلك هو دين الاسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينا الا اياه ، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين .

فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ، ويكمله لنا ويميتنا عليه ، وسائر اخواننا المسلمين .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



الرسالة الخامسة عشرة :

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تاليف شيخ الاسلام
احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى الحنبلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . أرسله بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغى ، وفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وفرق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغى ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة ، والأشقياء أهل النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله . فمن شهد له محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء الله وأولياء الشيطان .

وقد بين سبحانه وتعالى فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن لله أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى :

((الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، وذلك هو الفوز العظيم))(١) . وقال تعالى : **((الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون))(٢)** .

---

(١) يونس : ٦٢ — ٦٤ (٢) البقرة : ٢٥٧

وقال تعالى : ((يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم ، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين . يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون))(١) .

وقال تعالى : ((هنالك الولاية لله الحق ، هو خير ثوابا وخير عقبا))(٢) .

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ((فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون))(٣) .

وقال تعالى : ((الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا))(٤) .

وقال تعالى : ((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ، افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلا))(٥) .

وقال تعالى : ((ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا))(٦) . وقال تعالى : ((الذين قال لهم الناس ان الناس

---

(١) المائدة : ٥١ — ٥٦ (٢) الكهف : ٤٤
(٣) النحل : ٩٨ — ١٠٠ (٤) النساء ٧٦
(٥) الكهف : ٥٠ (٦) النساء : ١١٩

قد جمعوا فاخشــوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سـوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشـيطان يخـوف أوليـاءه فلا تخـافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين))(١) .

وقال تعالى : ((**انا جعلنا الشـياطين أوليـاء للذين لا يؤمنون . واذا فعلوا فاحشـة قالوا وجـدنا عليها آباءنا))**(٢) الى قوله : ((**انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسـبون انهم مهتدون))**(٣) وقال تعـالى : ((**وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم))**(٤) .

وقال الخليل عليـه السـلام : ((**يا أبت انى أخـاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشـيطان وليا))**(٥) . وقال تعـالى : ((**يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخـذوا عدوى وعدوكم أوليـاء تلقـون اليهم بالمـودة))**(٦) . الآيات الى قوله : ((**انك أنت العزيز الحكيم))**(٧) .

* * *

فصـــل

واذا عرف أن النـاس فيهم أوليـاء الرحمن وأولياء الشـيطان ، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كمـا فـرق الله ورسـوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقـون ، كمـا قال تعالى : ((**ألا ان أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون))**(٨) .

وفى الحـديث الصـحيح الذى رواه البخـارى وغـيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليـا فقد بارزنى »(٩) بالمحاربة ــ أو فقـد آذنته

(١) آل عمران : ١٧٣ ــ ١٧٥ (٢) الاعراف : ٢٧ ، ٢٨
(٣) الاعراف : ٣٠ (٤) الانعام : ١٢١
(٥) مريم : ٤٥ (٦) الممتحنة : ١
(٧) الممتحنة : ٥ (٨) يونس : ٦٢ ، ٦٣
(٩) لفظ : « المبارزة » لم يرد فى صحيح البخـارى ، وانما هـو من رواية الطبرانى عن أبى امامة ، والحـديث فى البخـارى مروى فى كتاب « الرقائق باب التواضع » ولفظه : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » . وقد تكلم الحافظ ابن رجب الحنبلى عن هـذا الحديث فى « جامع العلوم والحكم » . فليراجع .

بالحرب — وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ؛ فاذا أحببته : كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها . ورجله التى يمشى بها » « ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن : يكره الموت وأكره مساءته . ولابد له منه » وهذا أصح حديث يروى فى الأولياء ، فبين النبى صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله فى المحاربة .

وفى حديث آخر : « (و) انى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث الحرب» أى : آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، كما فى الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله والبغض فى الله »[١] . وفى حديث آخر رواه أبو داوود قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان »[٢] .

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : ان الولى سمى وليا من موالاته للطاعات ، أى متابعته لها ، والأول أصح . والولى : القريب ؛ يقال : هذا يلى هذا ؛ أى : يقرب منه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر »[٣] أى لأقرب رجل الى الميت ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص

---

(١) حديث حسن اخرجه احمد فى « المسند » عن البراء والطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس وفى « الصغير » عن ابن مسعود .

(٢) رواه أبو داوود بسند حسن .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والاناث ، كما قال فى الزكاة : « فابن لبون ذكر »(١) .

فاذا كان ولى الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادى لوليه معاديا له ، كما قال تعالى : **« لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة »**(٢) . فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال : « ومن عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » .

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولوا العزم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم قال تعالى : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »**(٣) . وقال تعالى : **« واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم ، وأعد للكافرين عذابا أليما »**(٤) .

وأفضل أولى العزم : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا ، وخطيبهم اذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، الذى بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقا ، وأول الأمم بعثا ، كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا

---

(١) هذا اللفظ جاء فى رواية أبى داوود عن أبى بكر ونصه : « فيما دون خمس وعشرين من الابل والغنم ، كل خمس ذود شاة ، فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض الى أن تبلغ خمسا وثلاثين ، فان لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر » ورواه النساء والبخارى بمعناه .

(٢) الممتحنة : ١ (٣) الشورى : ١٣

(٤) الاحزاب : ٧ ، ٨

الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعـدهم ، فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه — يعنى يوم الجمعة — فهدانا الله له : الناس لنا تبع فيه : غدا لليهود ، وبعد غد للنصارى »[١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »[٢] . وقال صلى الله عليه وسلم : « آتى باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت : فأقول : أنا محمـد ، فيقول : بك أمـرت أن لا افتح لأحـد قبلك »[٣] .

وفضائله صلى الله عليه وسلم وفضـائل أمته كثيرة . ومن حـين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون وليا لله الا من آمن به وبما جاء به ، واتبعـه باطنـا وظاهرا ؛ ومن ادعى محبـة الله وولايته وهـو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من خـالفه كان من اعداء لله واولياء الشـيطان . قال تعـالى : ((**قـل ان كنتم تحبـون الله فاتبعونى يحببكم الله**))[٤] .

قال الحسن البصرى رحمـه الله : ادعى قـوم أنهم يحبـون الله ، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيهـا ، ان من اتبع الرسـول فان الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول صلى الله عليـه وسلم ، فليس من أوليـاء الله ، وان كان كثير من النـاس يظنـون فى أنفسهم ، أو غيرهم ، أنهم من أوليـاء الله ، ولا يكونون من أوليـاء الله ، فاليهود والنصـارى يدعون أنهم أوليـاء الله (وأنه لا يدخـل الجنة الا من كان منهم ، بل يدعـون أنهم أبناؤه) وأحبـاؤه ، قال تعـالى : ((**قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشر ممن خلق**))[٥] . وقـال تعـالى : ((**وقالوا لن يدخل الجنـة الا من كان هـودا او نصـارى ، تلك امانيهم**)) الى قوله : ((**ولا هم يحزنون**))[٦] .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله، لسكناهم مكة ومجاورتهم

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢) رواه الترمذى وأبو داوود ومسلم بمعناه .
(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن أنس .
(٤) آل عمران : ٣١ (٥) المـائدة : ١٨
(٦) البقرة : ١١١ : ١١٢

البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : ((**قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون • مستكبرين به سامرا تهجرون**))(١) . وقال تعالى : ((**واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك**))(٢) الى قوله : ((**وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ، ان أولياؤه الا المتقون**))(٣) . فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، انما أولياؤه المتقون •

وثبت فى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا من غير سر : « ان آل فلان ليسوا لى بأولياء — يعنى طائفة من أقاربه — انما وليى الله وصالح المؤمنين »(٤) . وهذا موافق لقوله تعالى : ((**فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**))(٥) . وصالح المؤمنين : هو من كان صالحا من المؤمنين • وهم المؤمنين المتقون أولياء الله ، ودخل فى ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكلهم فى الجنة ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة »(٦) • ومثل هذا الحديث الآخر : « ان أوليائى المتقون أيا كانوا وحيث كانوا »(٧) •

كما أن من الكفار من يدعى أنه ولى الله ، وليس وليا لله ، بل عدو له فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ، يقرون فى الظاهر بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأنه مرسل الى جميع الانس ،

---

(١) المؤمنون : ٦٦، ٦٧ (٢) الانفال : ٣٠.

(٣) الانفال : ٣٤

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب « الادب » باب (يبل الرحم ببلالها) . وأخرجه مسلم فى « كتاب الايمان » باب (موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم) عن عمرو بن العاص .

(٥) التحريم : ٤

(٦) أخرجه مسلم بلفظ : « لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة — أحد — الذين بايعوا تحتها » وأبو داوود والترمذى عن جابر .

(٧) روى الحاكم فى « المستدرك » مرفوعا : « ان أوليائى منكم المتقون » ، وفى سنده اسماعيل بن عبيد وهو مجهول . ولفظ : « أيا كانوا، وحيث كانوا » انما هو من كلام مجاهد .

بل الى الثقلين : الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك ، مثل ان لا يقروا في الباطن بأنه رسـول الله ، وانما كان ملكـا مطاعا ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : انه رسول الله الى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ؛ أو أنه مرسل الى عامة الخلق ، وأن لله أولياء خاصة ، لم يرسل اليهم ، ولا يحتاجون اليه ، بل لهم طريق الى الله من غير جهته : كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخـذون عن الله كل ما يحتاجون اليه وينتفعون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو هم أعـرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : ان أهـل الصفة كانوا مستغنين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : ان الله أوحى الى أهل الصفة في الباطن ما أوحى اليه ليلة المعراج . فصار أهل الصفة بمنزلته ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الاسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : **« سبحان الذى أسرى بعبـده ليـلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله »**(١) .

وأن الصفة لم تكن الا بالمدينة ، وكانت صفة في شـمالي مسجده صلى الله عليه وسلم ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهـل وأصـحاب ينزلون عندهم ، فان المؤمنين كانوا يهاجرون الى النبى صلى الله عليـه وسلم الى المدينة ، فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ، ومن تعـذر ذلك عليه نزل في المسجد ، الى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه .

ولم يكن أهل الصفة ناسـا بأعيانهم يلازمون الصـفة ، بل كانوا يقلون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زمانا ، ثم ينتقل منهـا ، والذين ينزلون بها هم من جنس سـائر المسـلمين ، ليس لهـم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسـلام وقتله النبى صـلى الله عليه وسلم ، كالعرنيين الذين اجتووا المدينـة — أى : استوخموها — ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح — أى ابل لها لبن — وأمـرهم أن يشربوا من أبوالها ، فلما صحوا ، قتلوا الراعى ، واستاقوا الذود ،

---

(١) الاسراء : ١

فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، فأتى بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، وتركهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون .

وحديثهم فى الصحيحين[1] من حديث أنس ، وفيه أنهم أنزلوا الصفة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد ابن أبى وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة ، وغيره ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمى تاريخ من نزل الصفة .

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفة ، وكذلك أكابر المهاجرين ــ كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى عبيدة (ابن الجراح) وغيرهم ــ لم يكونوا من أهل الصفة .

وقد روى أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم ، وان كان قد رواه أبو نعيم فى « الحلية » وكذا كل حديث يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل أربعة ، أو سبعة ، أو اثنى عشرة ، أو أربعين ، أو سبعين ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والقطب الواحد . فليس فى ذلك شىء صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينطق السلف بشىء من هذه الألفاظ الا بلفظ الأبدال .

وروى فيهم حديث أنهم أربعين رجلا ، وأنهم بالشام ، وهو فى

---

(١) أخرجه البخارى فى « كتاب الحدود » باب (لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا) ونصه : « قدم رهط من عكل على النبى صلى الله عليه وسلم كانوا فى الصفة فاجتووا المدينة ، فقالوا : يا رسول .. أبغنا رسلا ، فقال : ما أجد لكم الا ان تلحقوا بابل رسول الله . فأتوها فشربوا من البانها وابوالها حتى صحوا وسمنوا وقتلوا الراعى واستاقوا الذود ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم الصريخ ، فبعث الطلب فى آثارهم ، فما ترجل النهار حتى اتى بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم ، وما حسمهم ، ثم القوا فى الحرة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا»

« المسند »[1] من حديث على كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس فى عسكر معاوية دون عسكر على .

وقد أخرجا فى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين فى خلافة على ، فقتلهم على بن أبى طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح أن على بن أبى طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال فى أدنى العسكرين دون أعلاهما .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أنشد منشد :

قد لسعت حية الهوى كبدى   فلا طبيب لها ولا راقى

الا الحبيب الذى شغفت به   فعنده رقيتى وترياقى

وأن النبى صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه ، فانه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فعلقها على العرش ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضى الله عنه أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزنجى ، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ، أنه فيمن يقر برسالته العامة فى الظاهر ومن يعتقد فى الباطن ما يناقض ذلك ، فيكون منافقا ، وهو يدعى فى نفسه

---

(1) قال الشيخ احمد فى تعليقه على « المسند » ، اسناده ضعيف لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحضرمى الحمصى لم يدرك عليا ، بل لم يدرك الا بعض متاخرى الوفاة من الصحابة .

وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم فى البـاطن بمـا جاء به رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، اما عنادا ، واما جهلا ، كما أن كثيرا من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله ، وأن محمدا رسول الله ، لكن يقولون : انما ارسل الى غير أهـل الكتـاب ، وأنه لا يجب علينا اتبـاعه ، لأنه أرسل الينا رسلا قبله ، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون فى طائفتهم أنهم أولياء الله ، وانما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله : ((**الا ان أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنـوا وكانوا يتقـون**))(١) .

ولابد فى الايمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتـاب أنزله الله : كما قال تعـالى : ((**قولوا آمنـا بالله وما انزل الينـا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم نحن له مسـلمون . فان آمنـوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم**))(٢) . وقال تعـالى : ((**آمن الرسـول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبـه ورسـله لا نفـرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصـير . لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنـا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمـل علينـا اصرا كما حملتـه على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنـا مالا طاقة لنـا بـه ، واعف عنـا واغفر لنـا وارحمنـا ، انت مولانـا فانصرنا على القوم الكـافرين**))(٣) . وقال فى أول السـورة : ((**الم . ذلك الكتاب لا ريب فيـه هـدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنـاهم ينفقـون . والذين يؤمنون بمـا انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنـون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون**))(٤) .

فلابد فى الايمـان من أن تؤمن أن محمـدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبى بعـده ، وأن الله أرسـله الى جميع الثقلين : الجن والانس . فكـل من لم يؤمن بمـا جاء به فليس بمؤمن ، فضلا عن ان

---

(١) يونس : ٦٢ ، ٦٣
(٢) البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧
(٣) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦
(٤) البقرة : ١ — ٥

يكون من أوليـاء الله المتقين . ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهـو كافـر ليس بمؤمن ، كما قال الله تعـالى : ((**ان الذين يكفـرون بالله ورسـله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسـله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنـوا بالله ورسـله ولم يفرقـوا بين احـد منهم ، اولئك سـوف يؤتيهم اجورهم ، وكان الله غفـورا رحيما**))(١) .

ومن الايمان : بأنه هـو الرابطة بين الله وبين خلقه فى تبليغ امره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحـلاله وحرامه . فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسـوله ، والدين ما شرعـه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقـا الى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أوليـاء الشـيطان .

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقـه اياهم ، واجابتـه لدعائهم ، وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، ويفعله بما يشاء من الأسباب ، لا يدخـل فى مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل فى الزهـد والعبـادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمـد صلى الله عليه وسـلم فليس بمؤمن ، ولا ولى لله تعالى ، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصـارى وعبـادهم . وكذلك المنتسبون الى العلم والعبـادة من المشركين ، مشركى العـرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهنـد والترك ، وله علم أو زهد وعبادة فى دينه ، وليس مؤمنا بجميع ما جاء به محمد ، فهـو كافر عدو لله ، وان ظن طائفة أنه ولى لله ، كمـا كان حكمـاء الفرس من المجوس كفارا مجوسا ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثاله ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان وزيرا للاسكندر بن فليبس المقدونى ، وهـو الذى يؤرخ له تواريخ الروم واليـونان ، وتؤرخ بـه اليهـود

---

(١) النساء : ١٥٠ — ١٥٢

والنصارى . وليس هذا هو ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه ، كما يظن بعض الناس ان أرسطو كان وزيرا لذى القرنين لما رأوا أن ذلك اسمه الاسكندر ، وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذاك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك — الذى قد كان أرسطو وزيره — متأخر عن ذاك ، ولم يبن هذا السور ، ولا وصل الى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذى كان أرسطو من وزرائه ، يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفى أصناف المشركين ، من مشركى العرب ، ومشركى الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد فى العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا مؤمن بما جاءوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء الله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : **« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون »**(١) .

وهؤلاء جميعهم ينتسبون الى المكاشفات وخوارق العادات اذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلابد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولابد أن يكون فى أعمالهم ما هو اثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع فى العبادة .

ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . قال الله تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »**(٢) .

وذكر الرحمن هو الذكر الذى بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترن به . قال تعالى :

---

(١) الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٣ (٢) الزخرف : ٣٦

« وهذا ذكر مبارك انزلناه »(١) . وقال تعالى : **« ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لما حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »**(٢) . فدل ذلك على ان ذكره هو آياته التى انزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد ، وعبده مجتهدا فى عبادته ، ولم يكن متبعا لذكره الذى أنزله ــ وهو القرآن ــ كان من أولياء الشيطان ، ولو طار فى الهواء ، أو مشى على الماء فان الشيطان يحمله فى الهواء ، وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع .

* * *

فصـــل

ومن الناس من يكون فيه ايمان ، وفيه شعبة من نفاق . كما جاء فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان ، واذا عاهد غدر » .

وفى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الايمان بضع وستون ــ أو بضع وسبعون ــ شعبة ، أعلاها قول : لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان » فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت فى الصحيحين أنه قال لأبى ذر وهو من خيار المؤمنين : « انك امرؤ فيك جاهلية » ، فقال : يا رسول الله .. أعلى كبر سنى ؟ قال : « نعم » .

وثبت فى الصحيح عنه أنه قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم »(٣) .

---

(١) الانبياء : ٥٠ (٢) طه : ١٢٤ ــ ١٢٦

(٣) أخرجه مسلم فى (كتاب الجنائز) عن أبى مالك الأشعرى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان » .

وفى صحيح مسلم : « وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

وذكر البخارى عن ابن أبى مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) كلهم يخاف النفاق على نفسه . وقد قال الله تعالى : ((**وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ، وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان**))(١) .

فقد جعل هؤلاء الى الكفر ، أقرب منهم للايمان ، فعلم أنهم مخلطون ، وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخلطا وايمانه أقوى .

واذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين ، فبحسب ايمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل ايمانا وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون فى ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم فى الايمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون فى عداوة الله ، بحسب تفاضلهم فى الكفر والنفاق ، قال الله تعالى : ((**واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا ، فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون**))(٢) .

وقال تعالى : ((**انما النسىء زيادة فى الكفر**))(٣) .

وقال تعالى : ((**والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم**))(٤) .

وقال تعالى فى المنافقين : ((**فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا**))(٥) فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب ايمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

---

(١) آل عمران : ١٦٦ ، ١٦٧
(٢) التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥
(٣) التوبة : ٣٧
(٤) محمد : ١٧
(٥) البقرة : ١٠

كفره ونفاقه . وقال تعالى : ((**ويزداد الذين آمنوا ايمانا**))(١) . وقال تعالى : ((**ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم**))(٢) .

* * *

فصل

وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة (الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الانسان) و (المطففين) ، وفي سورة (فاطر) ، فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في أولها ، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ، فقال في أولها : ((**اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . اذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . وكنتم أزواجا ثلاثة . فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة . والسابقون السابقون . اولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين**))(٣) .

فهذا تقسيم الناس اذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة : ((**فلولا**)) — أي فهلا — : ((**اذا بلغت الحلقوم . وانتم حينئذ تنظرون . ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين . فاما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . واما ان كان من اصحاب اليمين . فسلام لك من اصحاب اليمين . واما ان كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم**))(٤) وقال تعالى في سورة الانسان : ((**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا . انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا . ان الأبرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما**

---

(١) المدثر : ٣١
(٢) الفتح : ٤
(٣) الواقعة : ١ — ٤
(٤) الواقعة : ٨٣ — ٩٦

كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »(١) وكذلك ذكر فى سورة المطففين فقال : « **كلا ان كتاب الفجار لفى سجين . وما أدرك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين . وما يكذب به الا كل معتد أثيم . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون . كلا ان كتاب الأبرار لفى عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون . ان الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون »**(٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من السلف ، قالوا : بمزج لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقربون صرفا ، وهو كما قالوا فانه تعالى قال : « **يشرب بها** » ولم يقل يشرب منها ، لأنه ضمن قوله : يشرب معنى يروى ، فان الشارب قد يشرب ولا يروى ، فاذا قيل : يشربون منها ، لم يدل على الرى ، فاذا قيل : يشربون بها ، كان المعنى يروى بها ، فالمقربون ، يروون بها فلا يحتاجون معها الى ما دونها ، فلهذا يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا ، وهو كما قال تعالى فى سورة الانسان : « **كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** »(٣) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون فى تلك السورة ، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل فى الخير والشر ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا

---

(١) الانسان : ٣ — ١٢   (٢) المطففين : ٧ — ٢٨
(٣) الانسان : ٥ ، ٦

والآخرة ، ون ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم فى صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »(١) قال الترمذى : حديث صحيح .

وفى الحديث الآخر الصحيح الذى فى السنن يقول الله تعالى : « أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته »(٢) . وقال : « ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعة الله »(٣) ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين ، كما تقدم ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عمل القسمين فى حديث الأولياء فقال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها »(٤) .

---

(١) رواه احمد ، وابو داوود ، والترمذى وقال : حديث صحيح .

(٢) أخرجه ابو داوود والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : حسن صحيح . قال الحافظ المنذرى : وفى تصحيح الترمذى له نظر ، فان أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا .

(٣) رواه البخارى ومسلم بلفظ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله » .

(٤) رواه البخارى فى صحيحه ، وليس فيه لفظ : المبارزة ، وانما هو من رواية الطبرانى عن ابى امامة . وقد تقدم .

فالأبرار أصحاب اليمين هـم المتقربون اليـه بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حـرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا اليه بالنوافـل بعـد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما تقربوا اليـه بجميع ما يقـدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبـا تاما ، كمـا قال تعـالى : « ولا يزال عبـدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه »(١) . يعنى الحب المطلق كقوله تعالى : **((اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غـير المغضـوب عليهم ولا الضـالين))**(٢) . اى انعـم عليهم الانعـام المطلق التـام المذكـور فى قـوله تعـالى : **((ومن يطع الله والرسـول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا))**(٣) .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات فى حقهم طاعات يتقربون بهـا الى الله عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشربوا صرفا ، كما عملوا صرفا ، والمقتصدون كان فى أعمـالهم ما فعلوه لنفوسهم ، فلا يعـاقبون عليه ، ولا يثابون عليه ، فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه فى الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبيـاء عليهم السلام الى عبد رسـول ، ونبى ملك ، وقد خير الله سبحانه محمـدا صلى الله عليه وسلم ، بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا ، فاختار أن يكون عبـدا رسـولا ، فالنبى الملك ، مثل داوود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسـلام ، قال الله تعالى فى قصة سليمان الذى قال : **((رب اغفر لى وهب لى ملكـا لا ينبغى لأحد من بعدى ، انك أنت الوهاب . فسـخرنا له الريح تجـرى بامره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين فى الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب))**(٤) : أى : اعط من شئت ، واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، فالنبى الملك ، يفعـل ما

---

(١) حديث قدسى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة .
(٢) الفاتحة : ٦ ، ٧ (٣) النسـاء : ٦٩.
(٤) سورة ص : ٣٥ ــ ٣٩

فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار ، من غير اثم عليه .

وأما العبد الرسول : فلا يعطى أحدا الا بأمر ربه ، ولا يعطى من يشاء ، ويحرم من يشاء ، بل يعطى من أمره ربه باعطائه ، ويولى من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات لله تعالى ، كما فى « صحيح البخارى » عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « انى والله لا أعطى أحدا ، ولا أمنع أحدا ، انما أنا قاسم أضع حيث أمرت »(١) ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية الى الله والرسول ، كقوله تعالى : ((**قل الأنفال لله والرسول**))(٢) وقوله تعالى : ((**ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله والرسول**))(٣) . وقوله تعالى : ((**واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول**))(٤) .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولى الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل فى الخمس : انه يقسم على خمسة كقول الشافعى ، وأحمد فى المعروف عنه ، وقيل : على ثلاثة ، كقول أبى حنيفة رحمه الله .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبى الملك ، كما أن ابراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام ، أنضل من يوسف ، وداوود ، وسليمان عليهم الصلاة والسلام ، كما أن المقربين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات

---

(١) رواه البخارى بلفظ : « ما اعطيكم ولا امنعكم ، انا قاسم ، اضع حيث امرت » واخرجه احمد بن حنبل فى « مسنده » عن عبد الله ابن عمر بلفظ : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر فى ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس . فقال قائل : يا رسول الله .. وما فتنة الأحلاس ؟ قال : « هى فتنة السراء دخلها ــ أو دخنها ــ من تحت قدمى رجل من اهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى ، انما وليى المتقون » .

(٢) الأنفال : ١ (٣) الحشر : ٧

(٤) الأنفال : ٤١

بما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان انما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره الله ، فهو من أولئك .

* * *

فصـــل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين فى سورة « فاطر » ، فى قوله تعالى : **« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، ان ربنا لغفور شكور . الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب »**(١) .

لكن هذه الأصناف الثلاثة فى هذه الآية ، هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، كما قال تعالى : **« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير »**(١) .

وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة ، وليس ذلك مختصا بحفاظ القرآن ، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء ، وقسمهم الى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق ، بخلاف الآيات التى فى « الواقعة » و « المطففين » و « الانفطار »(٢) فانه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة ، كافرهم ومؤمنهم ، وهذا التقسيم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالظالم لنفسه : أصحاب الذنوب المصرون عليها . والمقتصد : المؤدى للفرائض ، المجتنب للمحارم . والسابق للخيرات : هو المؤدى للفرائض والنوافل ، كما فى تلك الآيات . ومن تاب من ذنبه ، أى ذنب كان ، توبة صحيحة ، لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين ، كما فى قوله تعالى : **« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين**

---

(١) فاطر : ٣٢ — ٣٥

(٢) الواقعة : ٧ — ١٠ ، المطففين : ٦ — ١٨ ، الانفطار : ٣ ، ١٤

ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين))(١) . وقوله : **((جنات عدن يدخلونها))(٢)** .

مما يستدل به أهل السنة ، على أنه لا يخلد فى النار أحد من أهل التوحيد .

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم . كما تواترت بخروجهم من النار : وشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى أهل الكبائر واخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وشفاعة غيره : فمن قال : ان أهل الكبائر مخلدون فى النار ، وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله (من تأوله) من المعتزلة ، فهو مقابل بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولاجماع سلف الأمة وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى فى آيتين من كتابه ، وهو قوله تعالى : **((ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))(٣)** : فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك ، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب ، وما دون الشرك ، يغفره الله أيضا للتائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين ، قال تعالى : **((قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم))(٤)** : فهنا عمم المغفرة واطلقها ، فان الله يغفر للعبد أى

---

(١) آل عمران : ١٣٣ — ١٣٦
(٢) الرعد : ٢٣
(٣) النساء : ٤٨
(٤) الزمر : ٥٣

ذنب تاب منه ، فمن تاب من الشرك غفر الله له ، ومن تاب من الكبائر غفر الله له . وأى ذنب تاب العبد منه غفر الله له .

ففى آية التوبة ، عمم وأطلق ، وفى تلك الآية خصص وعلق ، فخص الشرك بأنه لا يغفره ، وعلق ما سواه على المشيئة ، ومن الشرك التعطيل للخالتين ؛ وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب ، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه ، كتعطيل الخالق ؛ أو يجوز أن لا يعذب بذنب ، فانه لو كان كذلك ، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض ، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفورا له ، بلا توبة ولا حسنات ماحية ، لم يعلق ذلك بالمشيئة . وقوله تعالى : « **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** »(١) ، دليل على انه يغفر للبعض دون البعض ، فبطل النفى والعفو العام .

* * *

فصـــل

واذا كان أولياء الله عز وجل ، هم المؤمنين المتقين ، والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون فى ولاية الله بحسب ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين فى الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك .

وأصل الايمان والتقوى : الايمان برسل الله ، وجماع ذلك : الايمان بخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله . وأصل الكفر والنفاق ، هو الكفر بالرسل ، وبما جاءوا به ، فان هذا هو الكفر الذى يستحق صاحبه العذاب فى الآخرة ، فان الله تعالى أخبر فى كتابه ، أنه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة . قال الله تعالى : « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** »(٢) وقال تعالى : « **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داوود زبورا . ورسلا**

(١) النساء : ٤٨ (٢) الاسراء : ١٥

قد قصصنـاهم عليك من قبل ورسـلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليمـا . رسـلا مبشرين ومنـذرين لئلا يكون للنـاس على الله حجـة بعد الرسـل))(١) .

وقال الله تعـالى عن اهـل النـار : ((**كلما القى فيها فوج سـألهم خزنتها الم ياتكم نذير . قالوا بلى قـد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتـم الا فى ضـلال كبير**))(٢) ، فأخبر انـه كلمـا القى فى النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ؛ فدل ذلك على أنه لا يلقى فيهـا فوج الا من كذب النذير . وقال تعـالى فى خطـابه لابليس : ((**لأمـلأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين**))(٣) ، فاخبر انـه يملؤهـا بابليس ومن اتبعه ، فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم أنه لا يدخـل النار الا من اتبع الشيطان ، وهذا يدل على أنه لا يدخلهـا من لا ذنب له ، فانه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنبـا ، وما تقـدم يدل على أنه لا يدخلها الا من قامت عليه الحجة بالرسل .

* * *

فصـــل

ومن الناس من يؤمن بالرسل ايمانا (عاما) مجملا ، وأما الايمـان المفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسـل ولم يبلغـه بعض ذلك ، فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ؛ ولو بلغـه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل ايمانا مجملا ، فهذا اذا عمـل بما علم أن الله أمره به مع ايمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعـالى ، له من ولاية الله بحسب ايمانه وتقواه . وما لم تقم عليه الحجـة بـه ، فان الله تعالى لم يكلفه معرفته ، والايمان المفصـل به فلا يعـذبه على تركه ، لكن يفـوته من كمـال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك : فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به ايمانا مفصلا ، وعمل به ، فهو أكمـل ايمـانا وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا ، ولم يعمـل به ، وكلاهمـا ولى الله تعالى . والجنـة درجات متفاضلة تفـاضلا عظيمـا ، وأوليـاء الله المؤمنون المتقـون فى تلك الدرجات بحسب ايمـانهم وتقواهـم . قال الله تبارك وتعالى : ((**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشـاء**

(١) النسـاء : ١٦٣ — ١٦٥ (٢) الملك : ٨ ، ٩
(٣) سورة ص : ٨٥

لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة اكبر درجات وأكبر تفضيلا))(١) .

فبين الله سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظورا من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى : ((**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**))(١) . فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس فى الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : ((**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس**))(٢) . وقال تعالى : ((**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داوود زبورا**))(٣) .

وفى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان (لو) تفتح عمل الشيطان »

وفى « الصحيحين » عن أبى هريرة ، وعمرو بن العاص رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : ((**لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى**))(٤) . وقال تعالى : ((**لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين**

---

(١) الاسراء : ٨ — ٢١ (٢) البقرة : ٢٥٣
(٣) الاسراء : ٥٥ (٤) الحديد : ١٠

على القاعدين اجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما »(١) . وقال تعالى : **« اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم »**(٢) . وقال تعالى : **« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب »**(٣) . وقال تعالى : **« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير »**(٤) .

* * *

فصل

واذا كان العبد لا يكون وليا لله الا اذا كان مؤمنا تقيا ، لقوله تعالى : **« الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون »**(٥) .

وفى « صحيح البخارى » الحديث المشهور ، وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » . ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب الى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين ، فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله ، وكذلك من لا يصح ايمانه وعباداته وان قدر أنه لا اثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وان قيل : انهم لا يعذبون حتى يرسل اليهم ، فلا يكونون من أولياء الله ، الا اذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن (لم) يتقرب الى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ، وكذلك المجانين والأطفال ،

---

(١) النساء : ٩٥ ، ٩٦
(٢) التوبة : ١٩ — ٢٢
(٣) الزمر : ٩
(٤) المجادلة : ١١
(٥) يونس : ٦٢ ، ٦٣

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ »[1] .

وهذا الحديث تد رواه أهل « السنن » من حديث على وعائشة رضى الله عنهما ، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبى المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، وأما المجنون الذى رفع عنه القلم ، فلا يصح شىء من عباداته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه ايمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح أن يكون بزازا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا ، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا اقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعى ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبى المميز فان له أقوالا معتبرة فى مواضع بالنص والاجماع ، وفى مواضع فيها نزاع .

واذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ، ولا التقرب الى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون وليا لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولى لله ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك ، اما مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه قد أشار الى واحد ، فمات أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله ، وان لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف اذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبى صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، بل يعتقد أنه تتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : ان الأنبياء

---

(١) رواه احمد فى « المسند » وأبو داوود والحاكم . وقال الحافظ ابن حجر بعد ما أورد له طرق عديدة بألفاظ متقاربة : هذه طرق يتقوى بعضها بعضا . وصححه أحمد شاكر فى « المسند » .

ضيقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ؛ دون الخاصـة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعى الولاية ، فهؤلاء فيهم من الكفر ما ينـاقض الايمان ، فضلا عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن احدهم من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى •

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنونا ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولايـة الله ، ومن كان يجن احيـانا ويفيق احيانا ، اذا كان في حال افاقته مؤمنا بالله ورسـوله ، ويؤدى الفرائض ، ويجتنب المحارم ، فهذا اذا جن ، لم يكن جنونه مانعا من أن يثيبـه الله على ايمانه وتقواه الذى أتى به في حال افاقته ، ويكون له من ولايـة الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه جنون بعد ايمانه وتقـواه ، فان الله يثيبه ويأجره على ما تقدم من ايمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالجنـون الذى ابتلى به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنـه في حال جنونه •

فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدى الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتى بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولى الله ، فان هذا ان لم يكن مجنونا ، بل كان متولها من غير جنـون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ، ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسـلم ، فهـو كافر ، وان كان مجنونا باطنا وظاهرا قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وان لم يكن معاقبا عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقا لمـا يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقـد فيه أحد أنه ولى الله ، ولكن ان كان له حالة في افاقته كان فيها مؤمنـا بالله متقيا ، كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وان كان له حال افاقتـه فيه كفر أو نفاق ، أو كان كافرا أو منافقا ، ثم طرأ عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال افاقته من كفر أو نفاق •

* * *

فصـــــل

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميـزون بلباس دون لبـاس اذا كان كلاهما مباحـا ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره ، اذا كان مباحـا ،كما قيـل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عبـاء ، بل يوجـد في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم اذا لم يكونوا من أهـل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهـل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجار والصناع والزراع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : **« ان ربك يعـلم انك تقـوم ادنى من ثلثى الليـل ونصـفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم ان لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن ، عـلم ان سـيكون منكم مرضى وآخـرون يضربون في الأرض يبتغون من فضـل الله وآخرون يقاتلون في سـبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه »**(١) .

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : « القراء » فيدخل فيهم العلماء والنساك ، ثم حدث بعد ذلك اسـم الصوفية والفقراء ، واسـم الصوفية هو نسبة الى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح .

وقد قيل : انه نسبة الى صفوة الفقهاء ، وقيـل : الى صـــوفة (بن مر) بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالنسـك ، وقيل : الى أهل الصـفة . وقيل : الى (أهـل) الصفاء ، وقيل : الى الصفوة ، وقيل : الى الصف المقدم بين يدى الله تعالى ، وهـذه أقوال ضعيفة ، فانه لو كان كذلك لقيـل : صفى ، أو صفائى ، أو صـفوى ، أو صفى ، ولم يقل صـوفى ، وصـار اسم الفقراء ، يعنى به أهـل السلوك ، وهذا عرف حادث قـد تنازع الناس : أيهما أفضـل : مسمى الصوفى ، أو مسمى الفقـير ؟ ويتنازعون أيضا أيهما أفضـل : الغنى الشاكر ، أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيـد وبين أبى العبـاس

---

(١) المزمل : ٢٠

ابن عطـاء ، وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روايتان . والصـواب فى هذا كله ما قاله الله تبارك وتعـالى ، وحيث قال : **« يا ايها النـاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكـرمكم عند الله اتقاكم »**(١) .

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنـه : عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه سـئل : أى الناس أفضـل ؟ قال : « اتقاهم » ، قيل له : ليس عن هـذا نسألك ، فقال : « يوسف نبى الله . ابن يعقـوب نبى الله ، ابن اسـحاق نبى الله ، ابن ابراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألونى ؟ النـاس معادن كمعادن الذهب والفضـة ؛ خيارهم فى الجاهلية خيـارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا »(٢) .

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أتقاهم .

وفى السنن عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « لا فضـل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسـود على أبيض ؛ ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب »(٣) .

وعنه أيضا صلى الله عليه وسـلم أنه قال : « ان الله تعالى أذهب عنكم غيبة الجاهلية ، وفخـرها بالآباء ، الناس رجـلان : مؤمن تقى ، وفاجر شقى »(٤) .

فمن كان من هذه الأصـناف أتقى الله ، فهو أكرم عند الله ، واذا استويا فى التقوى ، استويا فى الدرجة .

ولفظ الفقر فى الشرع ، يراد به الفقـر من المـال ، ويراد به فقر المخلوق الى خالقه ، كما قال تعالى : **« انما الصـدقات للفقـراء والمساكين »**(٥) وقال تعـالى : **« يا ايها الناس أنتم الفقراء الى الله »** (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٣ — (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه أحمد فى « المسند » عن أبى نضرة ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .
(٥) التوبة : ٦٠ — (٦) فاطر : ١٥

وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل الفيء .

فقال في الصنف الأول : « **للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا** »(١) .

وقال في الصنف الثاني ، وهم افضل الصنفين : « **للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، اولئك هم الصادقون** »(٢) .

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات ، وجاهدوا أعداء الله باطنا وظاهرا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »(٣) و « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »(٤) و « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله »(٥) .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » فلا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله(٦) ، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان . قال الله تعالى : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما** »(٧) . وقال تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٧٣ (٢) الحشر : ٨

(٣) رواه احمد ، والترمذى وقال : حسن . ورواه ابن ماجه ، ورجاله ثقات .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه الترمذى ، وأحمد ، والطبرانى . قال العلائى : حديث حسن

(٦) قال الحافظ العراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر . وقال الحافظ ابن حجر : هو من كلام ابراهيم بن عيلة .

(٧) النساء : ٩٥

« اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم »(١) .

وثبت فى صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ، قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : ما أبالى الا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أسقى الحاج . وقال آخر : ما أبالى أن أعمل عملا بعد الاسلام ، الا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال على بن أبى طالب : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ، ولكن اذا قضيت الصلاة سألته فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل عند الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » . قال : حدثنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادنى .

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ، وجهاد فى سبيله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

وفى الصحيحين أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يعدل الجهاد فى سبيل الله ، قال : « لا تستطيعه ـ أو لا تطيقه ـ » قال : فأخبرنى به ، قال : « هل تستطيع اذا خرجت مجاهدا أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تفتر » ؟

وفى السنن عن معاذ رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه وصاه لما بعثه الى اليمن ، فقال : « يا معاذ .. اتق الله حيثما

---

(١) التوبة : ١٩ ـ ٢٢

كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »(١) .
وقال : « يا معاذ انى لأحبك ، فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك »(٢) ، وقال له وهــو رديفه : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على عباده » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . أتدرى ما حــق العباد على الله اذا فعلوا ذلك » ؟ قلت : الله ورســوله أعلم . قــال : « حقهم عليه الا يعذبهم »(٣) .

وقال أيضا لمعاذ : « رأس الأمــر الاسلام ، وعموده الصــلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » وقال : « يا معاذ .. ألا أخبــرك بأبواب البر ؟ الصوم جنــة ، والصــــدقة تطفىء الخطيئة كمــا يطفىء المــاء النار ، وقيام الرجل فى جــوف الليل » ثم قــرأ : ((**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعــلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**))(٤) .

ثم قال : « يا معاذ .. ألا أخبرك بما هــو أملك لك من ذلك » ؟ فقال : « أمسك عليك لسانك هذا » فأخذ بلسانه ، قال : يارسول الله .. وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمــك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم »(٥) .

وتفسير هذا ما ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وســلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخــر فليقل خيرا أو ليصــمت » فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خــير من التكلم به ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهى عنهــا ، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحــم وشرب المــاء ، فذلك من البدع المذمومة أيضــا ، كما ثبت فى صحيح البخــارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما فى الشمس ، فقال : « ما هــذا » ؟ فقالوا : أبو اسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ، ولا يستظل ولا يتكلم ،

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن . وهو كما قال .
(٢) رواه أبو داوود ، والنسائى ، وسنده صحيح .
(٣) رواه الشيخان .
(٤) السجدة : ١٦ ، ١٧
(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صــحيح ، وقد تكلم عليه الحافظ ابن رجب الحنبلى فى « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع .

ويصوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه » .

وثبت فى الصحيحين عن أنس أن رجالا سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنهم تقالوها . فقالوا : وأيننا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال لآخر : أما أنا فلا آكل اللحم[1] ، وقال الآخر : اما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال رجال يقول أحدهم : كذا وكذا ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل اللحم ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » ، أى سلك غيرها ظانا أن غيرها خير منها . فمن كان كذلك فهو برىء من الله ورسوله ، قال تعالى : « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه** »[2] .

بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت عنه فى الصحيح[3] أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة .

* * *

فصل

وليس من شرط ولى الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطىء ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه ، ويجوز أن يظن فى بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ، ولا يعرف أنها من الشيطان ، وان لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فان الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ،

---

(١) جملة : « آكل اللحم » هى من رواية مسلم ، وليست فى البخارى .
(٢) البقرة : ١٣٠
(٣) أى « صحيح مسلم » . ولفظه : « أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد » صلى الله عليه وسلم .

فقال تعالى : ((**آمن الرسـول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله لا نفرق بين احد من رسله ، وقالوا سـمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير . لا يكلف الله نفسا الا وسـعها ، لهـا ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنـا لا تؤاخذنا ان نسـينا او اخطـانا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنـا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**))(١) .

وقد ثبت في الصحيح(٢) أن الله سبحانه استجاب هـذا الدعاء وقال « قد فعلت » .

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لمـا نزلت هذه الآية : ((**وان تبـدوا ما في انفسـكم او تخفـوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشـاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير**))(٣) .

قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبـل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسـلم : « قولوا سمعنا وأطعنا وسـلمنا » قال فالقى الله الايمـان في قلوبهم ، فانزل الله تعالى : ((**لا يكلف الله نفسـا الا وسعها**)) الى قوله : ((**او اخطانا**)) .

قال الله : « قد فعلت » ((**ربنـا لا تحمـل علينا اصرا كما حملتـه على الذين من قبلنا**)) قال : « قد فعلت » ((**ربنـا لا تحملنا ما لا طـاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنـا ، انت مولانا فانصرنا على القـوم الكافرين**))(٤) . قال : « قد فعلت » وقد قال تعـالى : ((**وليس عليكـم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**))(٥) .

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسـلم من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، مرفوعا أنه قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وان أخطـأ فله أجر » . فلم يؤثم المجتهد المخطيء . بل جعل له أجـرا على اجتهاده ، وجعل خطأه مغفورا له ، ولكن المجتهد المصيب له أجـران ، فهو أفضل منه ، ولهـذا لما كان

(١) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم »
(٣) البقرة : ٢٨٤ (٤) البقرة : ٢٨٦
(٥) الاحزاب : ٥

ولى الله يجوز ان يغلط . لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولى الله ، الا أن يكون نبيا . بل ولا يجوز لولى الله أن يعتمد على ما يلقى اليه فى قلبه ؛ الا أن يكون موافقا ؛ وعلى ما يقع له مما يراه الهاما ومحادثة وخطابا من الحق . بل يجب عليه ان يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان وافقه قبله . وان خالفه لم يقبله ، وان لم يعلم اموافق هو أم مخالف . توقف فيه .

والناس فى هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط . فمنهم من اذا اعتقد فى شخص أنه ولى الله . وافقه فى كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه ، وسلم اليه جميع ما يفعله ، ومنهم من اذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية لله بالكلية وان كان مجتهدا مخطئا ، وخيار الأمور أوساطها . وهو أن لا يجعل معصوما ولا مأثوما اذا كان مجتهدا ، فلا يتبع فى كل ما يقوله . ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله ؛ وأما اذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين . لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قد كان فى الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن فى أمتى أحد فعمر منهم » . وروى الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر »[١] .

وفى حديث آخر : « ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه »[٢] وفيه : « لو كان نبى بعدى لكان عمر »[٣] وكان على بن أبى طالب

---

(١) ليس هو فى الترمذى ، وانما أخرجه ابن عدى ، وفى سنده زكريا ابن يحيى الوقار . قال ابن عدى : يضع الحديث ، وللحديث شواهد كلها ضعيفة والذى جاء فى الترمذى : « لو كان نبى بعدى لكان عمر » . وهو حديث حسن .

(٢) رواه الترمذى بلفظ : « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٣) رواه الترمذى ، وهو حديث حسن .

رضى الله عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر • ثبت هذا عنه عن رواية البيهقى[1] • وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول فى شىء : انى لاراه كذا ، الا كان كما يقول • وعن قيس بن طارق قال : كنا نتحدث ان عمر ينطق على لسانه ملك ، وكان عمر يقول : اقتربوا من أفواه المطيعين • واسمعوا منهم ما يقولون ، فانه تتجلى لهم أمور صادقة •

وهذه الأمور الصادقة التى أخبر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ انها تتجلى للمطيعين ، هى الأمور التى يكشفها الله عز وجل لهم ، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء فى هذه الأمة بعد أبى بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »[2] •

وقد ثبت فى الصحيحين تعيين عمر ، بأنه محدث فى هذه الأمة ، فأى محدث ومخاطب فرض فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فعمر أفضل منه ، ومع هذا كان عمر رضى الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك ، كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين ، والحديث معروف فى البخارى وغيره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد اعتمر سنة ست من الهجرة ، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم ، على ان يرجع فى ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطا فيها نوع

---

(١) رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » •

(٢) أخرج البخارى عن ابن عمر قال : كنا نخير الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم . وأخرج البخارى وأبو داوود عن محمد ابن الحنفية قال : قلت لابى رضى الله عنه : يا ابت ! أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر . وخشيت ان أقول : ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم انت ، قال : ما انا الا رجل من المسلمين .

غضاضة على المسلمين فى الظاهر . فشق ذلك على كثير من المسلمين . وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما فى ذلك من المصلحة ، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » قال : أفليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال : « بلى » قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « انى رسول الله وهو ناصرى ، ولست أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا نأتى البيت ونطوف به . قال : « بلى » ، قال : أقلت لك : « انك تأتيه العام »؟ قال : لا . قال : « انك آتيه ومطوف به » .

فذهب عمر الى أبى بكر رضى الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبى صلى الله عليه وسلم . فكان أبو بكر رضى الله عنه أكمل موافقة لله وللنبى صلى الله عليه وسلم من عمر ، وعمر رضى الله عنه رجع عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك أعمالا (١) .

وكذلك لما مات النبى صلى الله عليه وسلم ، أنكر عمر موته أولا ، فلما قال أبو بكر : انه مات . رجع عمر عن ذلك (٢) .

---

(١) رواه البخارى فى « باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب » (ج ٢٣٩/٣) .

(٢) روى البخارى عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وابو بكر بالسنخ قال اسماعيل : (هو شيخ البخارى) يعنى بالعالية ، فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى الا ذلك ، وليبعثه الله فليقطعن ايدى رجال وارجلهم ، فجاء ابو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله فقال : بابى انت وامى .. طبت حيا وميتا ، والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا . ثم خرج فقال : ايها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر واثنى عليه وقال : الا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، وقال : « انك ميت وانهم ميتون » (الزمر : ٣٠) وقال « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه =

وكذلك فى قتال مانعى الزكاة قال عمر لأبى بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » فقال له أبو بكر رضى الله عنه : الم يقل : « الا بحقها » فان الزكاة من حقها . والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق (١) .

ولهذا نظائر تبين تقدم أبى بكر على عمر . مع أن عمر رضى الله عنه محدث ، فان مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث ، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعوضه على ما جاء به النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يشاور الصحابة رضى الله عنهم ، ويناظرهم ويرجع اليهم فى بعض الأمور ، وينازعونه فى أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرهم على منازعته ، ولا يقول لهم : أنا محدث ملهم مخاطب فينبغى أن تقبلوا منى ولا تعارضونى فأى أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولى الله ، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وهم مخطئون ، ومثل هذا أضل الناس ، فعمر بن الخطاب رضى الله عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقوله ، وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وائمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فان الأنبياء صلوات الله

= **فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين**» (آل عمران : ١٤٤) أخرجه البخارى عقب باب « قول النبى صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا » . فى المناقب (٥/٦) .

(١) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة . وفى مسلم بلفظ : لو منعونى عقالا ، بدل : عناقا .

عليهم وسلامه ، يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل ؛ وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فانهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا ، وان كان صاحبه من أولياء الله ، وكان مجتهدا معذورا فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ، ولكنه اذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا ، وكان من الخطأ المغفور اذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فان الله تعالى يقول : ((**فاتقوا الله ما استطعتم**))(١) . وهذا تفسير قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**))(٢) .

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وان يشكر فلا يكفر . أي بحسب استطاعتكم ، فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها ، كما قال تعالى : ((**لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**))(٣) . وقال تعالى : ((**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون**))(٤) . وقال تعالى : ((**واوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها**))(٥) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الايمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع ، كقوله تعالى : ((**قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون**))(٦) . وقال تعالى : ((**الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، اولئك على هدى من ربهم ، واولئك هم المفلحون**))(٧) . وقال تعالى : ((**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن**

---

(١) التغابن : ١٦
(٢) آل عمران : ١٠٢
(٣) البقرة : ٢٨٦
(٤) الاعراف : ٤٢
(٥) الانعام : ١٥٢
(٦) البقرة : ١٣٦
(٧) البقرة : ١ — ٥

بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى الباساء والضراء وحين الباس ، اولئك الذين صدقوا ، واولئك هم المتقون))(١) .

وهذا الذى ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع فى قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ، ومن خالف فى هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم ، بل اما أن يكون كافرا ، واما أن يكون مفرطا فى الجهل .

وهذا كثير فى كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبى سليمان الدارانى أنه ليقع فى قلبى النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها الا بشاهدين : الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له ان يتكلم فى علمنا ، أو قال : — لا يقتدى به — .

وقال أبو عثمان النيسابورى : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا ، نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول فى كلامه القديم : ((**وان تطيعوه تهتدوا**))(٢) .

وقال أبو عمر بن نجيد : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط فى هذا الموضع ، فيظن فى شخص أنه ولى لله ، ويظن أن ولى الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم اليه كل ما يقوله ويسلم اليه كل ما يفعله ، وان خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك الشخص له ، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذى فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين ، وجنده المفلحين ، وعباده الصالحين ،

---

(١) البقرة : ١٧٧ (٢) النور : ٥٤

ومن لم يتبعه كان من أعـداء الله الخاسرين المجرمين . فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا الى البدعة والضلال . وآخرا الى الكفر والنفـاق ، ويكون له نصيب من قـوله تعالى : « **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخـذت مع الرسـول سـبيلا . يا ويلتي ليتني لم اتخـذ فلانا خليلا . لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا** »(١) . وقوله تعـالى : « **يوم تقلب وجـوههم في النـار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنـا الرسـولا . وقالوا ربنا انا اطعنـا سادتنا وكبراءنا فاضـلونا السبيلا . ربنـا آتهم ضـعفين من العـذاب والعنهم لعنا كبيرا** »(٢) . وقوله تعالى : « **ومن النـاس من يتخـذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنـوا أشـد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العـذاب ان القـوة لله جميعا وان الله شديد العـذاب . اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعـوا ورأوا العـذاب وتقطعت بهـم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كـرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار** »(٣) . وهؤلاء مشـابهون للنصـارى الذين قال الله تعالى فيهم : « **اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والمسـيح ابن مريم وما امـروا الا ليعبدوا الها واحدا ، ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون** »(٤) .

وفي المسند وصححه(٥) الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسـيره هذه الآية ، لما سـأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما عبدوهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أحـلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم اياهم » ولهذا قيـل في مثـل هؤلاء : انما حرموا الوصول بتضـييع الأصول ، فان أصـل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد من الايمان بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسـلم الى جميع الخلق انسـهم وجنهم ، عربهم وعجمهم . علمـائهم وعبادهم ، ملوكهم وسـوقتهم ، وأنه لا طريق الى الله عز وجل لأحد من الخلق الا بمتابعته باطنـا وظاهرا حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ،

---

(١) الفرقان : ٢٧ ــ ٢٩ (٢) الاحزاب : ٦٦ ــ ٦٨

(٣) البقرة : ١٦٥ ــ ١٦٧ (٤) التوبة : ٣١

(٥) الترمذي لم يصححه وانما حسنه فقط وهو الصواب .

كما قال تعالى : ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصـــدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقـررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقـررنا ، قال فاشـهدوا وأنا معكـــم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هى الفاسقون**))(١) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبيا الا أخـــذ عليــه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمـــره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحيــاء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى : ((**ألم تر الى الذين يزعمـون أنهم آمنـوا بما أنزل اليـــك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقـد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيـــل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصـدون عنك صـدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قـــدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعـلم الله ما فى قلوبهم فأعـرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفســهم قولا بليغا . وما أرسلنا من رسول الا ليطـاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاسـتغفروا الله واســتغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفســهم حرجا مما قضيت ويسـلموا تسليما**))(٢) . وكل من خالف شيئا مما جاء به الرســـول ، مقلدا فى ذلك لمن يظن أنه ولى الله ، فانه بنى أمـــره على أنه ولى الله ، وأن ولى الله لا يخالف فى شىء ، ولو كان هــذا الرجل من أكبر أوليــاء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ، فكيف اذا لم يكن كذلك ؟! وتجد كثيرا من هؤلاء ، عمــدتهم فى اعتقاد كونه وليا لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة فى بعض الأمـور ، أو بعض التصرفات الخارقة المعادة ، مثل أن يشــير الى شخص فيموت ، أو يطير فى الهواء الى مكة أو غيرها ، أو يمشى على المــاء أحيانا ، أو يملأ ابريقا من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفى أحيــانا عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم ، أو بحـال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس فى شىء من هذه الأمور

---

(١) آل عمران : ٨١ ، ٨٢ (٢) النساء : ٦٠ — ٦٥

ما يدل على أن صاحبها ولى الله ، بل قــد اتفق أولياء الله ، على ان الرجل لو طار فى الهواء ، أو مشى على المــاء ، لم يغتر به حتى ينظــر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هــذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة . وان كان قد يكون صاحبها وليا لله ، فقد يكون عــدوا لله ، فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهــل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشــياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولى لله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التى دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقــائق الايمان الباطنة وشرائع الاســلام الظــاهرة .

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها ، قد توجــد فى أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلى الصــلوات المكتوبة ، بل يكــون ملابسا لنجاسات ، معــاشرا للكلاب ، يأوى الى الحمامات ، والقمامين والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا كلب »[1] . وقال عن هــذه الأخلية : « ان هــــذه الحشــوش محتضرة »[2] أى يحضرها الشيطان ، وقال : « من أكــل من هــاتين الشجرتين الخبيثتين ، فلا يقربن مســجدنا ، فان الملائكة تتأذى ممــا يتأذى منه بنو آدم »[3] .

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائى عن على ، ورجاله ثقــات ، الا ان نجى ــ وهو أحــد الرواة ــ لم يوثقــه ســوى العجلى ، والحديث فى « الصحيحين »دون قوله : « ولا جنب » وروى أبو داوود فى سننه « ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر ، والمتضمــخ بالخـلوق ، والجنب الا ان يتوضأ ، وهو حديث حسن لطرقه .

(٢) أخرجه أبو داوود عن زيد بن أرقم ، ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم بلفظ : « من اكل الثوم والبصــل والكرات فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم » ورواه البخارى بلفظ : « من اكل بصلا او ثوما فليعتزل ــ أو ليعتزلنا ــ بمسجدنا »و لفظــة الخبيثتين وردت من قول عمر ، كما فى « صحيح مسلم » .

وقال : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا »[١] ، وقال : « ان الله نظيف يحب النظافة »[٢] ، وقال : « خمس من الفواسق يقتلن فى الحل والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور »[٣]

وفى رواية : « الحية والعقرب » وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب[٤] وقال : « من اقتنى كلبا لا يغنى عنه زرعا ولا ضرعا ، نقص من عمله كل يوم قيراط »[٥] ، وقال : « لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب »[٦] وقال : « اذا ولغ الكلب لأ اناء أحدكم فليغسله سبع مرات ، أحداهن بالتراب »[٧] .

وقال تعالى : ((ورحمتى وسعت كل شىء ، فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون))[٨] .

فاذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التى يحبها الشيطان ، أو يأوى الى الحمامات والحشوش ، التى تحضرها الشياطين ،

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .

(٢) رواه الترمذى بلفظ : « ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة » ، وهو حسن .

(٣) اخرجه مسلم بهذا اللفظ ، والبخارى بلفظ . « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب ، والحداة ، والعقرب ، والفارة ، والكلب العقور » .

(٤) ثبت انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ، ثم نهى عن ذلك واستثنى من النهى الكلب العقور ، اوالاسود البهيم .

(٥) رواه مسلم ، وابو داوود والترمذى واحمد ، عن أبى هريرة .

(٧) رواه مسلم بلفظ : « أولاهن » ولفظة احداهن وردت عند الدارقطنى ، واسنادها ضعيف .

(٨) الاعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ، ويتوجه اليها أو يسجد الى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوى الى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوى الى المقابر ، ولا سيما الى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم على سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن ، فان كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الايمان فى القلب ، كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق فى القلب ، كما ينبت الماء البقل .

وان كان الرجل خبيرا بحقائق الايمان الباطنة ، فارقا بين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله فى قلبه من نوره كما قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم** »(١) . وقال تعالى : « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا** »(٢) .

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذى رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » . قال الترمذى : حديث حسن (٣) .

---

(١) الحديد : ٢٨ (٢) الشورى : ٥٢

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمى وغيره .

وقد تقدم الحديث الصحيح الذى فى البخارى وغيره قال فيه : « لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل ، حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، (فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى)[1] ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت فى شىء أنا فاعله ، ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه »[1] .

فاذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفى بين الدرهم الجيد والدرهم المزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الردىء ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان ، وكما أنه يجب أن يفرق بين النبى الصادق وبين المتنبى الكذاب ، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح ، وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسى ، وطليحة الأسدى ، والحارث الدمشقى ، وباباه الرومى ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين ، وأولياء الشيطان الضالين .

* * *

فصل

والحقيقة حقيقة الدين ، دين رب العالمين : هى ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وان كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة : هى الشريعة قال الله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** »[2] . وقال تعالى : « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين** »[3] . والمنهاج : هو الطريق .

---

(١) ما بين القوسين ليس من رواية البخارى .

(٢) المائدة : ٤٨ (٣) الجاثية : ١٨ ، ١٩

قال تعـــالى : ((وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا))(١) فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر ، والمنهـاج هو الطريق الذى سلك فيه ، والغاية المقصـودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحـده لا شريك له وهي حقيقة دين الاسلام ، وهي أن يستسلم العبـد لله رب العـالمين لا يستسلم لغيره ، فمن استسلم لغـيره كان مشركا . والله ((لا يغفـر أن يشرك به))(٢) . ومن لم يسـتسلم لله بـل اسـتكبر عن عبـادته ، كـان ممن قال الله فيه : ((ان الذين يسـتكبرون عن عبادتي سـيدخلون جهنم داخرين))(٣) .

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخـرين من النبيين والمرسلين .

وقـوله تعـالى : ((ومن يبتغ غير الاسـلام دينا فلن يقبل منه))(٤) . عام في كل زمان ومكان . فنوح وابراهيم ويعقـوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون ، كلهم دينهم الاسلام ، الذى هو عبادة الله وحـده لا شريك له . قال الله تعالى : ((يا قـوم ان كان كبر عليكم مقـامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعـوا أمركم)) الى قـوله : ((وأمـرت أن أكون من المسلمين))(٥) . وقال تعـالى : ((ومن يرغب عن مـلة ابراهيم الا من سـفه نفسـه ، ولقـد اصطفيناه في الدنيـا ، وانه في الآخـرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسـلم قال أسـلمت لرب العـالمين . ووصى بهـا ابراهيم بنيـه ويعقـوب يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسـلمون))(٦) . وقال تعـالى : ((وقال موسى يا قـوم ان كنتم آمنتم بالله فعليـه توكلوا أن كنتم مسـلمين))(٧) . وقال السحرة : ((ربنا أفـرغ علينا صبرا وتوفنا مسـلمين))(٨) . وقال يوسف عليـه السـلام : ((توفني مسـلما وألحقني بالصـالحين))(٩) . وقالت بلقيس : ((واسلمت مع سـليمان لله رب العالمين))(١٠) . وقال تعـالى : ((يحكم

---

(١) الجن : ١٦ ، ١٧
(٢) النسـاء : ٤٨
(٣) غافـر : ٦٠
(٤) آل عمران : ٨٥
(٥) يونس : ٧١ ، ٧٢
(٦) البقرة : ١٣٠ — ١٣٢
(٧) يونس : ٨٤
(٨) الاعراف : ١٢٦
(٩) يوسف : ١٠١
(١٠) النمل : ٤٤

بهـا النبيـون الذين اسـلموا للذين هـادوا والربانيون والأحبـار »(١) .
وقال الحواريون : « **آمنا بالله واشهد بانا مسلمون** (٢) .

فدين الأنبياء واحد ، وان تنوعت شرائعهم ، كما فى « الصحيحين » عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال « أنا معشر الأنبياء ديننا واحد » .

وقال تعـالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينـا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليـه** »(٣) . وقال تعـالى : « **يا ايهـا الرسل كلوا من الطيبـات واعملوا صـالحا ، انى بمـا تعملون عليم . وان هذه امتكم امـة واحـدة وانا ربكم فاتقون . فتقطعوا امـرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون** »(٤) .

* * *

فصـــــل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتهـا ، وسائر أولياء الله تعـالى : على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عبـاده السـعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعـالى : « **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعـم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشـهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا** »(٥) .

وفى الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر » وأفضل الأمم أمـة محمـد صـلى الله عليه وسـلم . قال تعـالى : « **كنتم خـير امـة اخرجت للناس** »(٦) . وقال تعـالى : « **ثم اورثنا الكتـاب الذين اصـطفينا من عبـادنا** »(٧) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى فى « المسند » :

---

(١) المـائدة : ٤٤
(٢) آل عمران : ٥٢
(٣) الشورى : ١٣
(٤) المؤمنون : ٥١ ـــ ٥٣
(٥) النسـاء : ٦٩
(٦) آل عمران : ١١٠
(٧) فاطـر : ٣٢

وأنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » وأفضـل أمـة محمد صلى الله عليه وسلم القرن الأول .

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، من غـير وجه أنه قال : « خير القرون القـرن الذى بعثت فيـه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وهذا ثابت فى « الصحيحين » من غير وجه .

وفى « الصحيحين » أيضـا عنه صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « لا تسبوا أصحابى ، والذى نفس محمد بيده : لو أنفق أحـدكم مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والسابقون الأولون من المهاجـرين والأنصـار ، أفضل من سائر الصحابة . وقال تعـالى : « **لا يسـتوى منكم من أنفق من قبـل الفتـح وقاتل ، أولئك أعظم درجـة من الذين أنفقوا من بعـد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى** »(١) . وقال تعـالى : « **والسـابقون الأولون من المهـاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسـان رضى الله عنهم ورضـوا عنه** »(٢) .

والسابقون الأولون : الذين أنفقـوا من قبل الفتح وقاتلوا : والمراد بالفتح : صلح الحـديبية . فانه كان أول فتـح مكة ، وفيـه أنزل الله تعـالى : « **انا فتحنا لك فتحـا مبينا . ليغفـر لك الله ما تقدم من ذنبـك وما تأخـر** »(٣) . **فقالوا** : يا رسول الله أو فتـح هـو ؟ قال : « نعم » .

وأفضل السابقين الأولين ، الخلفاء الأربعة : وأفضـلهم أبو بكـر ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم باحسـان وأئمـة الأمة وجماهيرها ، وقد دلت على ذلك دلائل ، بسـطناها فى « منهاج أهل السنة النبوية فى نقض كلام أهل الشيعة والقدرية » .

وبالجملة اتفقت طوائف السـنة والشيعة ، على أن أفضـل هـذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضـل من الصحابة . وأفضـل أولياء الله تعالى ، أعظمهم معرفة بما جـاء به الرسول واتباعا له ، كالصحابة الذين هم أكمل الأمـة فى معرفة دينـه واتباعه ، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جـاء به وعملا به ، فهـو

---

(١) الحديد : ١٠ (٢) التوبة : ١٠٠

(٣) الفتح : ١ ، ٢ .

أفضل أولياء الله ، اذ كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم ، وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه .

وقد ظن طائفة غالطة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء ، قياسا على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء ، الا محمد بن على الحكيم الترمذى ، فانه صنف مصنفا غلط فيه فى مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ، ومنهم من يدعى ان خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وان الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته ، كما زعم ذلك ابن عربى صاحب كتاب « الفتوحات المكية » وكتاب «الفصوص» فخالف الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن .

وذلك أن الأنبياء أفضل فى الزمان من أولياء هذه الأمة ، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف الأنبياء كلهم ؟ ! والأولياء انما يستفيدون معرفة الله ممن يأتى بعدهم ، ويدعى أنه خاتم الأولياء وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما ان آخر الأنبياء أفضلهم ، فان فضل محمد صلى الله عليه وسلم ثبت بالنصوص الدالة على ذلك . كقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وقوله : « آتى باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ، أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وليلة المعراج ، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم ، فكان أحقهم بقوله تعالى : ((**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**))(١) .

الى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتيه الوحى من الله ، لا سيما محمد صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فى نبوته محتاجا الى غيره ، فلم تحتج شريعته الى سابق ، ولا الى لاحق ، بخلاف المسيح ، أحالهم فى أكثر الشريعة على التوراة ، وجاء المسيح فكملها ، ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح ، فالتوراة والزبور ، وتمام

---

(١) البقرة : ٢٥٣

الأربع وعشرين نبـوة ، وكان الأمم قبلنا محتاجين الى محدثين ، بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسـلم ، فان الله أغناهم به ، فلم يحتاجوا الى نبى ، ولا الى محدث ، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه فى غيره من الأنبياء ، فكان ما فضـله الله به بما أنزله اليه ، وأرسله اليه لا بتوسط بشر .

وهذا بخلاف الأولياء ، فان كل من بلغـه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يكون وليا لله الا باتباع محمد صلى الله عليـه وسـلم ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمـد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من بلغه رسالة رسـول الله ، لا يكون وليا لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذى أرسل اليه .

ومن ادعى أن من الأوليـاء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمـد ، فهذا كافـر ملحد ، واذا قال : أنا محتاج الى محمـد فى علم الظاهر ، دون عـلم الباطن ، أو فى علم الشريعة دون عـلم الحقيقة ، فهو شر من اليهـود والنصارى الذين قالوا : ان محمدا رسول الى الأمين دون أهل الكتاب ، فان أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفـارا بذلك ، وكذلك هذا الذى يقول : ان محمدا بعث بعلم الظاهر ، دون عـلم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهـو أكفر من أولئـك ، لأن علم الباطن ، الذى هو علم ايمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الايمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمـال الاسـلام الظاهرة .

فاذا ادعى المدعى ، أن محمـدا صلى الله عليـه وسلم ، انما عـلم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الايمان ، وأنه لا يأخـذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذى آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أؤمن ببعض ، وأكفر ببعض ، ولا يدعى أن هذا البعض الذى آمن به ، أدنى القسمين .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ، ويلبسـون على الناس ، فيقولون : ولايته أفضل من نبوته ، وينشدون :

مقام النبـوة فى برزخ فويق الرسـول ودون الولى

ويقولون : نحن شاركناه فى ولايته التى هى أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فان ولاية محمد لم يماثله فيها أحد ، لا ابراهيم ولا موسى ، فضلا عن ايمان ثلة فيها هؤلاء الملحدون •

وكل رسول نبى ولى ، فالرسول نبى ولى ، ورسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة لولايته ، واذا قدروا مجرد انباء الله اياه بدون ولايته لله ، فهذا تقدير ممتنع ، فانه حال انبائه اياه ، ممتنع أن يكون الا وليا لله ، ولا تكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة ، لم يكن أحد مماثلا للرسول فى ولايته •

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب « الفصوص » ابن عربى : أنهم يأخذون من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول ، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ، ثم أخرجوها فى قالب المكاشفة ، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا : ان الافلاك قديمة أزلية ، لها علة تتشبه بها ، كما يقوله أرسطو وأتباعه : أولها موجب بذاته ، كما يقوله متأخروهم ، كابن سينا ، وأمثاله ، ولا يقولون : انها لرب خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ولا خلق الأنبياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل اما أن ينكروا علمه مطلقا ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : انما يعلم فى الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول ، انكار علمه بها ، فان كل موجود فى الخارج فهو معين جزئى الأفلاك ، كل معين منها جزئى ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ، فمن لم يعلم الا الكليات ، لم يعلم شيئا من الموجودات ، والكليات انما توجد كليات فى الأذهان ، لا فى الأعيان •

والكلام على هؤلاء مبسوط فى موضع آخر ، فى رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فان كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركى العرب ، فان جميع هؤلاء يقولون : ان الله خلق السموات والأرض ، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته •

وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان ، كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس فى كتب أرسطو ذكر شىء من ذلك ، وانما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية •

وأما الأمور الالهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب . كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيئات منهم بكثير . ولكن متأخروهم كابن سينا وغيره أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصل الجهمية والمعتزلة ، وركبوا مذهبا قد يعتزى اليه متفلسفة أهل الملل . وفيه الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه فى غير هذا الموضع .

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل . كموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ، أعظم ناموس طرق العالم . ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد أثبتوا عقولا عشرة ، يسمونها : المجردات ، والمفارقات .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن : وسموا تلى المفارقات، لمفارقتها المادة ، وتجردها عنها، وأثبتوا الأفلاك ، لكل فلك نفسا . وأكثرهم جعلوها أعراضا ، وبعضهم جواهر .

وهذه المجردات التى أثبتوها ، ترجع عند التحقيق الى أمور موجودة فى الأذهان لا فى الأعيان (كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعدادا مجردة ، و) كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة ، أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ، ومدة وخلاء مجردين ؛ وقد اعترف حذاقهم ، بأن ذلك انما يتحقق فى الأذهان ، لا فى الأعيان ، فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من اتصف بها فهو نبى :

١ — أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوة القدسية ، ينال بها العلم بلا تعلم .

٢ — وأن يكون له قوة تخيلية ، تخيل له ما يعقل فى نفسه ، بحيث يرى فى نفسه صورا ، أو يسمع فى نفسه أصواتا ، كما يراه النائم ويسمعه ، ولا يكون لها وجود فى الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هى ملائكة الله ، وتلك الأصوات هى كلام الله تعالى .

٣ — وأن يكون له قوة فعالة ، يؤثر بها فى هيولى العالم وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ، هى (من) قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصا حية ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء فى مواضع ، وبينا أن كلامهم هذا أفسد الكلام وأن هذا الذى جعلوه من خصائص النبى تحصل ، ما هو أعظم منه لآحاد العامة ، ولأتباع الأنبياء ، وأن الملائكة التى أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : « **وما يعلم جنود ربك الا هو** »[١] .

وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضا ، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل ما دونه ، والعقل الفعال العاشر ، رب كل ما تحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله ، وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور فى حديث يروى : « ان أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتى ما خلقت خلقا أكرم على منك ، فبك آخذ ، وبك أعطى ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضا القلم لما روى « أن أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذى[٢] .

والحديث الذى ذكروه فى العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستى ، والدارقطنى ، وابن الجوزى ، وغيرهم . وليس فى شىء من دواوين الحديث التى يعتمد عليها ، ومع هذا فلفظه لو كان ثابتا حجة عليهم ، فان لفظه : « أول ما خلق الله تعالى العقل » قال — ويروى — : « لما خلق الله العقل قال له .. »[٣] ،

---

(١) المدثر : ٣١

(٢) هو حديث صحيح أخرجه أحمد ، والترمذى وصححه .

(٣) أخرج عبد الله ابن الامام أحمد فى « زوائد المسند » قال : حدثنا على بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن برفعه : « لما خلق الله تعالى العقل قال له : اقبل فاقبل ، ثم قال له : ادبر فادبر قال : ما خلقت خلقا أحب الى منك ، بك آخذ وبك أعطى » وهو مرسل . =

فمعنى الحديث : أنه خاطبه فى أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنـه أول المخلوقات (وأول) منصوب على الظرف كما فى اللفظ الآخر (لمـا) وتمام الحديث : « ما خلقت خلقا اكرم على منك » فهذا يقتضى أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخـذ ، وبك أعطى ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض • وعندهم أن جميع جواهـر العالم العلوى والسفلى صدر عن ذلك العقل • فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل فى لغة المسلمين ليس هو لفظ العقـل فى لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل فى لغة المسلمين مصـدر عقل يعقـل عقلا ، كما فى القرآن : **« وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنـا فى اصحـاب السـعير »**(١) • **« ان فى ذلك لآيات لقـوم يعقلون »**(٢) **« افلم يسـيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها »**(٣) •

ويراد بالعقل الغريزة التى جعلها الله تعالى فى الانسان يعقل بهـا •

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل ، وليس هـذا مطابقا للغة الرسـل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كمـا يذكره أبو حامد عالم الأجسام : العقل والنفوس ، فيسـميهـا عالم الأمـر ، وقـد يسمى (العقـل) عالم الجبروت (والنفـوس) عالم الملكوت ، و (الأجسـام) عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسـل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما فى الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك •

وهؤلاء يلبسـون على المسلمين تلبيسـا كثيرا كاطلاقهم أن الفلك

= وهـو فى « معجم الطبرانى الأوسط » موصـول من حديث ابى امامة وابى هريرة باسنادين ضعيفين . ومما يحسن التنبيه عليه ان كل ما ورد فى فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شىء وهى تدور بين الضعف والوضع وقد أخرج الحارث بن أبى اسامة فى « مسنده » عن داوود بن المحبر بضعا وثلاثين حديثا فى فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر كلها موضوعة وقال ابن القيم فى المنار : أحاديث العقل كلها كذب .

(١) الملك : ١٠ (٢) الرعد : ٤

(٣) الحج : ٤٦

محدث ، أى معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون الا مسبوقاً بالعدم ، ليس فى لغة العرب ولا فى لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلى ، محدثا ، والله قد أخبر أنه خالق كل شىء . وكل مخلوق فهو محدث وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما خبر به الرسول ، ولا أحكموا فيها قضايا العقول ، فلا للاسلام نصروا ، ولا للأعداء كسروا ، وشاركوا أولئك فى بعض قضاياهم الفاسدة ، ونازعوهم فى بعض المقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء فى العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك ، كما قد بسط فى غير هذا الموضع .

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذى يتشكل فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله ، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ، كابن عربى صاحب « الفتوحات » و « الفصوص » . فقال : انه يأخذ من المعدن الذى أخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذى هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبى ، ولو كان خاصة النبى ما ذكروه ، ولم يكن هو من جنسه ، فضلا عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين ؟ ! والنبوة أمر وراء ذلك ، فان ابن عربى وأمثاله وان ادعوا أنهم من الصوفية ، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ، ليسوا من صوفية أهل العلم ، فضلا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة ، كالفضيل بن عياض ، وابراهيم بن أدهم ، وأبى سليمان الدارانى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التسترى ، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين ، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة فى كتابه بصفات تباين قول هؤلاء ، كقوله تعالى : **« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى اله من**

دونه فذلك نجـزيه جهنم ، كذلك نجـزى الظـالمين »(١) وقال تعـالى : **« وكم من ملك فى السـموات لا تغنى شـفاعتهم شـيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشـاء ويرضى »**(٢)آ . وقال تعـالى : **« قـل ادعـوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقـال ذرة فى السـموات ولا فى الأرض وما لهم فيهمـا من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشـفاعة عنـده الا لمن اذن له »**(٣) . وقال تعـالى : **« ولـه من فى السـموات والأرض ، ومن عنـده لا يستكبرون عن عبادته ولا يسـتحسرون . يسـبحون الليل والنهار لا يفترون »**(٤) .

وقد أخبر أن الملائكة جاءت ابراهيم عليه السلام فى صورة البشر ، وأن الملك تمثل لمريم بشرا سويا وكان جبريل عليه السـلام يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى ، وفى صـورة أعرابى ، ويراهم الناس كذلك . وقـد وصف الله تعـالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة : **« عند ذى العرش مكين . مطـاع ثم امين »**(٥) . وان محمـدا صلى الله عليـه وسـلم **« رآه بالافـق المبين »**(٦) . ووصـفه بأنـه : **« شـديد القوى . ذو مرة فاسـتوى . وهو بالافق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكـان قاب قوسـين او ادنى . فاوحى الى عبـده ما اوحى . ما كـذب الفؤاد ما رأى . افتماروته على ما يرى . ولقـد رآه نزلة اخـرى . عند سـدرة المنتهى . عنـدها جنـة المـاوى . اذ يغشى السـدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وماطغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى »**(٧) .

وقد ثبت فى « الصحيحين » عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم ير جبريل فى صورته التى خلق عليها غـير مرتين ، يعنى المرة الأولى بالأفق الاعلى ، والنزلة الأخرى عند سـدرة المنتهى ، ووصف جبريل عليه السلام فى موضع آخر بأنه الروح الأمين ، وأنه روح القـدس ، الى غير ذلك من الصفات التى تبين أنه من أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنـه جوهر قائم بنفسـه ، ليس

---

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٩
(٢) النجم : ٢٦
(٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣
(٤) الأنبياء : ٩ ، ٢٠
(٥) التكوير : ٢٠ ، ٢١
(٦) التكوير : ٢٣
(٧) النجم : ٥ — ١٨

خيالا فى نفس النبى ، كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ، والمدعون بولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء انكار أصول الايمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فان الموجودات تشترك فى مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسى فى مسمى الانسان ، والحيوانات فى مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلى لا يكون مشتركا كليا الا فى الذهن ، والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هى الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذى عطل الصانع ، فانه لم يكن منكرا هذا الموجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه فى ذلك لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وان كان قوله هذا هو أظهر فسادا منهم ، ولهذا جعلوا عباد الأصنام ما عبدوا الا الله ، وقالوا : لما كان فرعون فى منصب التحكم صاحب السيف — وان جاز فى العرف الناموس لذلك قال : أنا ربكم الأعلى — أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته فى الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له بذلك وقالوا : « **فاقض ما انت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا** »(١) . قالوا : فصح قول فرعون : « **انا ربكم الأعلى** »(٢) .

وكان فرعون عين الحق ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله ، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم .

---

(١) طه : ٧٢ (٢) النازعات : ٢٤

وليس هذا موضع بسط الحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام فى أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله ، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان نبهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم ، انما هو فى الحالات الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » (باب أرض الحقيقة) ويقولون : هى أرض الخيال .

فتعرف بأن الحقيقة التى يتكلم فيها هى الخيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الأمور بخلاف ما هى .

قال تعالى : « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون** (١) . وقال تعالى : « **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** »(٢) . الى قوله : « **يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا** »(٣) . وقال تعالى : « **وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى ، انى كفرت بما اشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم** »(٤) . وقال تعالى : « **واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى مالا ترون انى اخاف الله ، والله شديد العقاب** »(٥) .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : أنه رأى جبريل يزع الملائكة(٦) ، والشياطين اذا رأت ملائكة الله

---

(١) الزخرف : ٣٦ — ٣٩ (٢) النساء : ١١٦
(٣) النساء : ١٢٠ (٤) ابراهيم : ٢٢
(٥) الانفال : ٤٨

(٦) فى « موطأ مالك » باب جامع الحج ، عن طلحة بن عبيد الله ابن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك الا =

التى يؤيد بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته قال تعالى : « **اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا** »(١) . وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها** »(٢) . وقال تعالى : « **اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها** »(٣) . وقال تعالى : « **اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** »(٤) .

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم ، وهى جن وشياطين ، فيظنونها ملائكة ، كالأرواح التى تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام .

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء فى الاسلام : المختار بن أبى عبيد الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى « صحيحه » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكون فى ثقيف كذاب ومبير »(٥) وكان الكذاب : المختار بن أبى عبيد والمبير : الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس ان المختار يزعم انه ينزل اليه ، فقالا : صدق ، قال الله تعالى : « **هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم** »(٦) .

وقال الآخر : وقيل له : ان المختار يزعم أنه يوحى اليه ، فقال : قال الله تعالى : « **وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم** »(٧) .

وهذه الأرواح الشيطانية ، هى الروح الذى يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى اليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات

= لما راى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر » . قيل : وما راى يوم بدر يارسول الله ؟ قال : « أما انه قد راى جبريل يزع الملائكة » أي يصفهم للقتال وهو حديث مرسل .

(١) الأنفال : ١٢ (٢) الأحزاب : ٩

(٣) التوبة : ٤٠ (٤) آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥

(٥) رواه مسلم بلفظ : « أن فى ثقيف كذابا ومبيرا » والمبير : المهلك .

(٦) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢ (٧) الأنفال : ١٢١

بطعام معين ، وشيء معين ، وهـذه مما تفتح لصـاحبها اتصـالا بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وانما هو من الأحـوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عددا . ومنهم من كان يحمـل في الهواء الى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بمال تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من النـاس أو لعطاء يعطونه اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولمـا كانت أحوال هؤلاء شيطانية ؛ كانوا منـاقضين للرسـل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و « الفصوص » وأشباه ذلك يمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء كنوح وابراهيم وموسى وهارون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمـد ، وسهل بن عبد الله التسترى وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه ، كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فان الجنيد — قدس الله روحه — كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقـال : التوحيد افراد الحـدوث عن القـدم . فبين أن التوحيـد أن نميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق .

وصاحب « الفصـوص » أنكر هذا وقال في مخاطبتـه الخياليـة الشيطانية له : يا جنيد .. هـل يميز بين المحدث والقـديم الا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله : افراد الحدوث عن القـدم ، لأن قوله هو : ان وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قاله في « فصوصـه » ومن أسـمائه الحسنى : « العـلى » على من ؟ وما ثم الا هو . وعن ماذا ؟ وما هو الا هو ، فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات ، فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست الا هو .. الى أن قال :

هـو عين ما بطن ، وهـو عين ما ظهـر ، وما ثم من يراه غـيره ، وما ثم من ينطق عنه سواه ، وهو المسـمى أبو سـعيد الخراز ، وغـير ذلك من الأسماء المحدثات .

فيقال لهذا الملحد : من شرط المميز بين الشيئين بالعـلم والقـول أن يكون ثالثا غيرهما ، فان كل واحد من الناس يميز بين نفسـه وغيره ، وليس هو ثالثا ، فالعبـد يعرفه أنه عبد ، ويميز بين نفسـه وخالقه ،

والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ، وأنهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن فى غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا .

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمسانى منهم ، وهو أحذقهم فى اتحادهم — لما قرىء عليه « الفصوص » فقيل له : القرآن يخالف « فصوصكم » فقال : القرآن كله شرك ، وانما التوحيد من كلامنا . فقيل له : فاذا كان الوجود واحدا ، فلم كانت الزوجة حلالا والأخت حراما ؟ فقال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام . فقلنا : حرام عليكم .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهرا ، فان الوجود اذا كان واحدا ، فمن المحجوب ومن الحاجب ؟ ولهذا قال أحد شيوخهم لمريده : من قال لك ان فى الكون سوى الله فقد كذب . فقال له مريده : فمن هو الذى يكذب ؟ وقالوا لآخر : هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر ، أم هى ؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة ، وان كانت اياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء فى موضع آخر ، وبينا حقيقة قول كل واحد منهم ، وأن صاحب « الفصوص » يقول : المعدوم شىء ، ووجود الحق فاض عليهما ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : المعدوم شىء ثابت فى الخارج مع ضلالهم خير منه ، فان أولئك قالوا : ان الرب خلق لهذا الأشياء الثابتة فى العدم وجودا ليس هو وجود الرب ، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليهما ، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق ، وصاحبه الصدر القونوى يفرق بين المطلق والمعين ، لأنه كان أقرب الى الفلسفة فلم يقر بأن المعدوم شىء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف « مفتاح غيب الجمع والوجود » .

وهذا القول أدخل فى تعطيل الخالق وعدمه ، فان المطلق بشرط الاطلاق ، وهو الكلى العقلى ، لا يكون الا فى الأذهان لا فى الأعيان ، والمطلق لا بشرط ، وهو الكلى الطبيعى . وان قيل : انه موجود فى الخارج ، فلا يوجد فى الخارج الا معينا ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته فى الخارج ، فيلزم أن يكون وجود الرب ، اما منتفيا فى

الخـارج ، وأما أن يكون جـزءا من وجود المخلوقات ؛ واما أن يكون عين وجود المخلوقات • وهل يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه ؟ أم العدم يخلق الوجود ؟ أو يكون بعض الشيء خالقا لجميعه ؟

وهؤلاء يفـرون من لفظ الحلول لأنه يقتضي حالا ومحلا ، ومن لفظ الاتحاد ، لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر . وعندهم الوجود واحد ويقولون : النصارى كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله ، ولو عمموا لما كفروا •

وكذلك يقولون في عباد الأصنام : انما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض ، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم . والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام •

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ؛ ففيه ما يلزمهم دائما من التنـاقض ، لأنه يقـال لهم : فمن المخطيء ؟ لكنهم يقولون : ان الرب هو الموصوف بجميع النقـائص التي يوصف بها المخلوق ، ويقولون : ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ، ويقولون ما قاله صاحب « الفصوص » : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمـال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية ، سـواء أكانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة •

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فانه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمسانى أنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقـل يقولون : من أراد التحقيق — يعني تحقيقهم — فليترك العقل والشرع •

وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم أن كشف الأنبيـاء أعظم وأتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والأنبيـاء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع ، فيخبرون بمجازات العقـول لا بمحـالات العقول ، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان ، سـواء أكانا عقليين أو سـمعيين ، أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا ، فكيف بمن ادعى كشـفا يناقض صريح الشرع والعقل ؟ !

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشـياء تكون فى نفوسهم ويظنونها فى الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة فى الخـارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبيسات الشياطين •

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة يقدمون الأوليـاء على الأنبياء ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبعين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة : يقولون : العبـد يشـهد أولا طاعة ومصعيـة ، ثم طاعة بلا معصيـة ، ثم لا طاعة ولا معصية ، والشـهود الأول هو الشـهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصى ، وأما الشهود الثـانى ، فيريدون به شهود القـدر ، كما أن بعض هـؤلاء يقول : أنا كافر برب يعصى ، وهذا يزعم أن المعصية : مخالفـة الارادة التى هى المشـيئة ، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة ويقول شاعرهم :

أصبحت منفعلا لمـا تختاره   منى ففعـلى كله طـاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسـل الله به رسله ، وأنزل به كتبـه فان المعصية التى يستحق صاحبها الذم والعقاب ، مخالفة أمر الله ورسوله ، كما قال تعالى : ((**تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسـوله يدخله جنـات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**))(١) •

وسنذكر الفرق بين الارادة الكونية والدينيـة ، والأمـر الكونى والدينى •

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية ، فبينهـا الجنيد رحمه الله لهم ، فمن اتبع الجنيـد فيها كان على السـداد ، ومن خالفه ضل ، لأنهم تكلفوا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفى شهود هذا التوحيد ، وهذا يسمونه الجمع الأول ، فبين لهم الجنيد أنه لابد من شهود الفرق الثانى ، وهو أنه مع شـهود كون الأشـياء كلها مشتركة فى مشيئة الله وقدرته وخلقه ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسـخطه ، ويفرق بين أوليـائه وأعـدائه ، كمـا قال تعـالى : ((**افنجعـل المسـلمين كالمجـرمين • ما لكم كيف**

---

(١) النساء : ١٣ ، ١٤ •

تحكمون))(١) . وقال تعالى : ((أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار))(٢) . وقال تعالى : ((أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون))(٣) . وقال تعالى : ((وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ، قليلا ما تتذكرون))(٤) .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شىء وربه ومليكه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره . وهو مع ذلك أمر بالطاعة ، ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى عادة الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، وان كانت واقعة بمشيئته ، فهو لا يحبها ، ولا يرضاها ، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية . فانه يرى أن الوجود واحد ، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله ، وهو فى الحقيقة غاية الالحاد فى أسماء الله وآياته ، وغاية العداوة لله ؛ فان صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ؛ وقد قال تعالى : ((ومن يتولهم منكم فانه منهم))(٥) . ولا يتبرأ من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : ((قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه . اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده))(٦) وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : ((افرأيتم ما كنتم تعبدون . انتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين))(٧) . وقال تعالى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه))(٨) .

---

(١) القلم : ٣٥ ، ٣٦ — (٢) سورة ص : ٢٨
(٣) الجاثية : ٢١ — (٤) غافر : ٥٨
(٥) المائدة : ٥١ — (٦) الممتحنة : ٤
(٧) الشعراء : ٧٥ ـ ٧٧ — (٨) المجادلة : ٢٢

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتبا وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بـ « نظم السلوك » يقول فيها :

لها صلواتى فى المقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى ... حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن ... صلاتى لغيرى فى أداء كل ركعة

الى أن قال :

وما زلت اياها واياى لم تزل ... ولا فرق بل ذاتى لذاتى صلت
الى رسولا كنت منى مرسلا ... وذاتى بآياتى على استدلت
فان دعيت كنت المجيب وان أكن ... منادى أجابت من دعانى ولبت

الى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

ان كان منزلتى فى الحب عندكم ... أمنية ظفرت نفسى بها زمنا
ما قد لقيت فقد ضيعت أيامى ... واليوم أحسبها أضغاث أحلامى

فان كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : **« سبح لله ما فى السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم »**(١) .

فجميع ما فى السموات والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى : **« له ملك السموات والأرض ، يحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم »**(٢) .

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عنى الدين ، وأغننى من الفقر » .

---

(١) الحديد : ١ ... (٢) الحديد : ٢ ، ٣

ثم قال : ((**هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير**))(١) .

فذكر ان السموات والأرض ، وفى موضع آخر : ((**وما بينهما**)) مخلوق مسبح له وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شىء . وأما قوله : ((**وهو معكم**)) فلفظ ((مع)) لا تقتضى فى لغة العرب ان يكون احد الشيئين مختلطا بالآخر ، كقوله تعالى : ((**اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**))(٢) . وقوله تعالى : ((**محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار**))(٣) . وقوله تعالى : ((**والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم**))(٤) . ولفظ ((مع)) جاءت فى القرآن عامة وخاصة ، فالعامة فى هذه الآية وفى آية المجادلة : ((**ألم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شىء عليم**))(٥) .

فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم . ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه .

وأما المعية الخاصة ، ففى قوله تعالى : ((**ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**))(٦) . وقوله تعالى لموسى : ((**انى معكما أسمع وأرى**))(٧) . وقال تعالى : ((**اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا**))(٨) ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبى جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان ، تناقض الخبر الخاص

---

(١) الحديد : ٤
(٢) التوبة : ١١٩
(٣) الفتح : ٢٩
(٤) الأنفال : ٧٥
(٥) المجادلة : ٧
(٦) النحل : ١٢٨
(٧) طه : ٤٦
(٨) التوبة : ٤٠

والخبر العـام ، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييـده دون أولئك ، وقوله تعـالى : ((**وهـو الذى فى السـماء اله وفى الأرض اله**))(١) ، أى هو اله من فى السـموات واله من فى الأرض كمـا قال تعـالى : ((**وله المثـل الأعلى فى السـموات والارض ، وهـو العزيز الحكيم**))(٢) . وكذلك قوله تعالى : ((**وهو الله فى السموات وفى الأرض**))(٣) .

كما فسره أئمة العلم ، كالامام أحمد وغيره أنه المعبود فى السموات والأرض .

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثله شىء ، ولا كقـوله ، فى شىء من صفات الكمال ، كما قال الله تعالى : ((**قل هو الله أحـد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد**))(٤) .

قال ابن عباس : الصمد العليم الذى كمل فى علمه ، العظيم الذى كمل فى عظمته ، القدير الكامل فى قدرته ، الحكيم الكامل فى حكمته ، السيد الكامل فى سؤدده .

وقال ابن مسعود وغيره هو : الذى لا جوف له ، والأحد : الذى لا نظير له . فاسمه « الصمد » يتضمن اتصافه بصفات الكمـال ، ونفى النقائص عنه ، واسمه « الأحد » يتضمن اتصافه أنه لا مثيل له .

وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك فى هذه السورة وفى كونها تعدل ثلث القرآن .



فصـــل

وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقـائق الأمرية الدينيـة الايمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية ، فان الله سـبحانه وتعـالى له الخلق

---

(١) الزخرف : ٨٤ (٢) الروم : ٢٧
(٣) الأنعام : ٣ (٤) سورة الاخلاص .

والأمر . كما قال تعـالى : **« ان ربكم الله الذى خـلق السـموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العـرش يغشى الليل النهـار يطلبـه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين »**(١) .

فهو سبحانه خالق كل شىء وربه ومليكـه . لا خالق غيره . ولا رب سواه . ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن . فكل ما فى الوجود من حركة وسكون . فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقـه ؛ وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسـله ؛ أمر بالتوحيد والاخلاص ، ونهى عن الاشراك بالله . فأعظم الحسنات التوحيد . وأعظم السيئات الشرك . قال الله تعـالى : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفـر** ما دون ذلك لمن يشاء »(٢) .

وقال تعـالى : **« ومن الناس من يتخـذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله »**(٣) .

وفى « الصـحيحين » عن ابن مسعود رضى الله عنـه قال : قلت : يا رسول الله .. أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت :ثمأى . قال : « أن تقتل ولدك مخـافة ان يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك » . فأنزل الله تصـديق ذلك : **« والذين لا يدعون مع الله الها آخـر ولا يقتلون النفس التى حـرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضـاعف له العـذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهـانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما »**(٤)

وأمر سبحانه بالعـدل والاحسان وايتاء ذى القـربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكـر والبغى . وأخبر أنه يحب المتقين ، ويحب المحسـنين ، ويحب المقسطين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهـرين ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صـفا كأنهم بنيان مرصوص ، وهو يكره ما نهى عنه ، كما قال فى سـورة « سبحان » : **« كل ذلك سيئه عند ربك مكروها »**(٥)

---

(١) الاعراف : ٥٤
(٢) النساء : ١١٦
(٣) البقرة : ١٦٥
(٤) الفرقان : ٦٨ — ٧٠
(٥) الاسراء : ٣٨

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بايتاء ذى القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقتير ، وأن يجعل يده مغلولة الى عنقه ، وأن يبسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم الا بالتى هى أحسن الى أن قال : « **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها** »(١) . وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب الى الله تعالى دائما قال الله تعالى : « **وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** »(٢) .

وفى « صحيح البخارى » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس .. توبوا الى ربكم ، فوالذى نفسى بيده انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وفى « صحيح » مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنه ليغان عن قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

وفى « السنن » عن ابن عمر قال : « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم » .. مائة مرة »(٣) . أو قال : « أكثر من مائة مرة » .

وقد أمر الله سبحانه أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثا ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام »(٤) .

كما ثبت فى الحديث الصحيح عنه . وقد قال الله تعالى : « **والمستغفرين بالأسحار** » (٥) . فامرهم ان يقوموا بالليل ويستغفرون بالأسحار . وكذلك ختم سورة « المزمل » وهى سورة قيام الليل بقوله

---

(١) الاسراء : ٣٨ (٢) النور : ٣١

(٣) رواه أبو داوود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٤) اخرجه مسلم عن ثوبان (٥) آل عمران : ١٧

تعـالى : ((واستغفروا الله ، ان الله غفـور رحيم))(١) . وكذلك قـال فى سورة ((البقرة)) : ((فاذا افضـتم من عرفات فاذكروا الله عند المشـعر الحرام واذكروه كما هـداكم وان كنتم من قبـله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض النـاس واسـتغفروا الله ، ان الله غفـور رحيم))(٢) . بل أنزل سـبحانه وتعالى فى آخـر الأمر لما غـزا النبى صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهى آخـر غزواته : ((لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعـد ما كاد يزيغ قـلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسـهم وظنـوا ان لا ملجا من الله الا اليـه ثم تاب عليهم ليتـوبوا ، ان الله هـو التواب الرحيم))(٢) . وهى من آخـر ما نزل من القرآن . وقد قيـل : ان آخـر سورة نزلت قـوله تعالى : ((اذا جاء نصر الله والفتـح . ورأيت النـاس يدخلون فى دين الله افواجـا . فسبح بحمـد ربك واسـتغفره ، انه كـان توابا))(٣) . فامره الله تعالى ان يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفى ((الصحيحين)) عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليـه وسلم كان يقول فى ركوعه وسجوده : ((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى)) ـ يتأول القرآن .

وفى ((الصحيحين)) عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : ((اللهم اغفر لى خطيئتى ، وجهلى ، واسرافى فى أمرى ، وما أنت أعـلم به منى ، اللهم اغفر لى هزلى وجدى ، وخطئى ، وعمـدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخـرت ، وما أسررت وما أعلنت . لا اله الا أنت)) .

وفى ((الصحيحين)) أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يارسول الله .. علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى، قال : قال : ((اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم)) .

---

(١) البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩ (٢) التوبة : ١١٧ ، ١١٨

(٣) سورة النصر .

وفى « السنن » عن أبى بكر رضى الله عنه قال : يارسول الله .. علمنى دعاء أدعو به اذا أصبحت واذا أمسيت ، فقال : « قل : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شىء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءا ، أو أجره الى مسلم : اذا أصبحت واذا أمسيت ، واذا أخذت مضجعك »[١] .

فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة الى الله والاستغفار من الذنوب ، بل كل أحد محتاج الى ذلك دائما قال الله تبارك وتعالى : **« وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما »**[٢] .

فالانسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى فى كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

وثبت فى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل »[٣] . وهذا لا ينافى قوله : **« كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية »**[٤] . فان الرسول صلى الله عليه وسلم نفى باء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت باء السبب .

وقول من قال : اذا أحب الله عبدا لم تضره الذنوب ، معناه أنه اذا أحب عبدا ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب ، ومن يظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها ، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والأئمة ، بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وانما عباده الممدوحون هم المذكورون فى قوله : **« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت**

---

(١) رواه ابو داوود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣ (٣) رواه البخارى ومسلم
(٤) الحاقة : ٢٤

للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »(١) . ومن ظن انه القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم : « **سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء »(٢)** .

قال الله تعالى ردا عليهم : « **كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين »(٣)** .

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين للرسل ، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات ، وقوم فرعون ، ولم يأمر باقامة الحدود على المعتدين ، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم والعقاب ، فعليه أن لا يذم أحدا ولا يعاقبه اذا اعتدى عليه ، بل يستوى عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم ، فلا يفرق بين من يعمل معه خيرا ولا بين من يفعل معه شرا ، وهذا ممتنع طبعا وعقلا وشرعا . وقد قال تعالى : « **ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ام نجعل المتقين كالفجار »(٤)** . وقال تعالى : « **أفنجعل المسلمين كالمجرمين » (٥)** . وقال تعالى : « **ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون »(٦)** وقال تعالى : « **افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون »(٧)** وقال تعالى : « **أيحسب الانسان أن يترك سدى »(٨)** . أى مهملا لا يؤمر ولا ينهى .

وقد ثبت فى « الصحيحين » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) آل عمران ١٣٣ — ١٣٥ (٢) الانعام : ١٤٨
(٣) الانعام : ١٤٨ ، ١٤٩ (٤) سورة ص : ٢٨
(٥) القلم : ٣٥ (٦) الجاثية : ٢
(٧) المؤمنون : ١١٥ (٨) القيامة : ٣٦

قال : « احتــج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم .. أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ، فبكم وجــدت مكتوبا على قبــل أن أخــلق ((وعصى آدم ربه فغــوى))(١) ؟ . قال : بأربعين سنة . قال : فلم تلومنى على أمر قدره الله على قبـــل أن أخلق بأربعين سنة ؟ قال : فحــج آدم موسى » أى غلبه بالحجة .

وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان : طائفة كذبت به لما ظنــوا أنه يقتضى رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لأجــل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون : القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو الذين لا يرون أن لهم فعـــلا ، ومن الناس من قال : انما حج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ، أو لان الذنب كان فى شريعة واللوم فى أخرى ، أو لأن هذا يكون فى الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه الا لأجــل المصيبة التى لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجــرد كونه أذنب ذنبــا وتاب منه ، فان موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام ، وهــو قــد تاب منه أيضــا ، ولو كان آدم يعتقــد رفع الملام عنه لأجل القــدر لم يقل : ((ربنا ظلمنــا انفسنا وان لم تغفــر لنا وترحمنــا لنكونن من الخاسرين))(٢) . والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال الله تعــالى : ((فاصــبر ان وعــد الله حــق واستغفر لذنبك))(٣) . فأمره بالصبر على المصائب . والاستغفار من المعائب . وقال تعــالى : ((ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهــد قلبــه))(٤) .

قال ابن مسعود : هــو الرجل تصــيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فالمؤمنون اذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقــر والذل ، صبروا لحكم الله ، وان كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أنفق أبوه ماله فى

---

(١) طــه : ١٢١ (٢) الاعراف : ٢٣
(٣) غافر : ٥٥ (٤) التغابن : ١١

المعاصى فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم ان يصبروا لما أصابهم ، واذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله ، والرضا قد قيل : انه واجب . وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من أنعام الله عليه بها ، حيث جعلها سببا لتكفير خطاياه ، ورفع درجاته ، وانابته الى الله وتضرعه اليه ، واخلاصه له فى التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغى والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر اذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم ، ويضيفون الحسنات الى أنفسهم اذا أنعم عليهم بها ، كما قال أحد العلماء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبرى؛ أى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وأهل الهدى والرشاد اذا فعلوا حسنة ، شهدوا انعام الله عليهم بها ، وأنه هو الذى أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة الا به ، فزال عنهم بشهود القدر العجب والمن والأذى ، واذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا اليه منها .

ففى « صحيح البخارى » عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت؛ أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت . من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة » .

وفى الحديث الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالى ، فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم . يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم . يا عبادى انكم

لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى • يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا • يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا • يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص البحر اذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة • يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها • فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه »[1] •

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير وأنه اذا وجد شرا فلا يلومن الا نفسه •

وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته ، وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقا لما أمر الله به على ألسن رسله ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذى بعث الله به رسوله ، فان هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه الا كافر ، وبين الشرع الذى هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطىء ، هذا اذا كان عالما عادلا ، والا ففى « السنن » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة ، رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو فى النار »[2] •

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد ثبت فى الصحيحين أنه قال : « انكم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وانما أقضى بنحو مما

---

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير فى بعض الفاظه .

(٢) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه .

أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه . فانما أقطع له قطعة من النار » .

فقد أخبر سيد الخلق أنه اذا قضى بشيء مما سمعه وكان فى الباطن بخلاف ذلك ، لم يجز للمقضى له أن يأخذ ما قضى به له . وأنه انما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء فى الأملاك المطلقة اذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر ، لم يجز للمقضى له أن يأخذ ما قضى به له بالاتفاق . وان حكم فى العقود والفسوخ بمثل ذلك ،فأكثر العلماء يقول : ان الأمر كذلك ، وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، وفرق أبو حنيفة رضى الله عنه بين النوعين .

فلفظ الشرع والشريعة اذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه ، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر .

ومن احتج فى ذلك بقصة موسى مع الخضر ، كان غالطا من وجهين :

أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعه ، فان موسى كان مبعوثا الى بنى اسرائيل . وأما محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن ، والانس ، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر ، كابراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه ، فكيف بالخضر سواء أكان نبيا أو وليا ؟ ولهذا قال الخضر لموسى : « أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه »[1] وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا .

الثانى : أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام ، وموسى لم يكن علم الأسباب التى تبيح ذلك ، فلما بينها له وافقه على ذلك ، فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفا من

---

(١) اخرجه الشيخان والترمذى .

الظالم أن يأخذها ، احسان اليهم ، وذلك جائز ، وقتل الصائل جائز وان كان صغيرا ، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع الا بقتله جاز قتله .

قال ابن عباس رضى الله عنهما لنجدة الحرورى لما سأله عن قتل الغلمان ، قال له : « ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم ، والا فلا تقتلهم » رواه البخارى .

وأما الاحسان الى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع ، فهذا من صالح الأعمال ، فلم يكن فى ذلك شىء مخالفا شرع الله .

وأما اذا أريد بالشرع حكم الحاكم ، فقد يكون ظالما ، وقد يكون عادلا ، وقد يكون صوابا ، وقد يكون خطأ ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه ، كأبى حنيفة والثورى ومالك بن أنس والأوزاعى والليث ابن سعد والشافعى وأحمد واسحاق ، وداوود وغيرهم ، فهؤلاء أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة ، واذا قلد غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزا ، أى ليس اتباع أحدهم واجبا على جميع الأمة ، كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .

وأما ان أضاف أحد الى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ، أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ، فيجب الفرق بين الشرع المنزل ، والشرع المؤول ، والشرع المبدل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية الدينية الأمرية ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتفى فيها بذوق صاحبها ووجده .

* * *

فصل

وقد ذكر الله فى كتابه الفرق بين الارادة والأمر والقضاء والاذن والتحريم ، والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكونى الذى خلقه وقدره وقضاه ، وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الدينى الذى أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرمهم ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التى يفرق بها بين أولياء

الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على ذلك ، كان من أوليائه ، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه : وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وارادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعا ودينا . وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح ، قال الله تعالى : ((**فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء**))(١) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : ((**ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم**))(٢) وقال تعالى : ((**واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال**))(٣) .

وقال تعالى فى الثانية : ((**ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**))(٤) . وقال فى آية الطهارة : ((**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**))(٥) .

ولما ذكر ما احله وما حرمه من النكاح قال : ((**يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم . والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا**))(٦) .
وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وما نهاهن عنه : ((**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا**))(٧) .

والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، فمن أطاع أمره كان مطهرا قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه .

وأما الأمر ، فقال فى الأمر الكونى : ((**انما قولنا لشيء اذا اردناه**

---

(١) الأنعام : ١٢٥ — (٢) هود : ٣٤
(٣) الرعد : ١١ — (٤) البقرة : ١٨٥
(٥) المائدة : ٦ — (٦) النساء : ٢٦ — ٢٨

ان نقول له كن فيكون»(١) وقال تعالى : «**وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر**»(٢) . وقال تعالى : «**أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس**»(٣) .

وأما الأمر الدينى فقال تعالى :

«**ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون**»(٤) . وقال تعالى : «**ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا**»(٥) وأما الاذن ، فقال فى الكونى لما ذكر السحر : «**وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله**»(٦) أى بمشيئته وقدرته ، والا فالسحر لم يبحه الله عز وجل .

وقال فى الاذن الدينى : «**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**»(٧) . وقال تعالى : «**انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه**»(٨) وقال تعالى : «**وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله**»(٩) . وقال تعالى : «**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله**»(١٠) .

وأما القضاء فقال فى الكونى : «**فقضاهن سبع سموات فى يومين**»(١١) . وقال سبحانه : «**واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون**»(١٢) .

وقال فى الدينى : «**وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه**»(١٣) . أى أمر ، وليس المراد به : قدر ذلك ، فانه قد عبد غيره ، كما أخبر

---

(١) النحل : ٤٠
(٢) القمر : ٥٠
(٣) يونس : ٢٤
(٤) النحل : ٩٠
(٥) النساء : ٥٨
(٦) البقرة : ١٠٢
(٧) الشورى : ٢١
(٨) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦
(٩) النساء : ٦٤
(١٠) الحشر : ٥
(١١) فصلت : ١٢
(١٢) البقرة : ١١٧
(١٣) الاسراء : ٢٣

فى غـير موضـع ، كقوله تعـالى : ((**ويعبـدون من دون الله مالا يضرهـم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**))(١) .

وقال الخليـل عليه السـلام لقومه : ((**افرايتم ما كنتم تعبـدون . انتـم وآباؤكـم الاقـدمون . فانهم عـدو لى الا رب العـالمين**))(٢) . وقال تعـالى : ((**قـد كانت لكم أسـوة حسـنة فى ابراهيم والذين معـه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العداوة والبغضـاء أبـدا حتى تؤمنوا بالله وحـده الا قـول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما املك لك من الله من شىء**))(٣) .

وقال تعـالى : ((**قـل يا أيهـا الكـافرون . لا اعبـد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما اعبـد . ولا انا عابد ما عبـدتم . ولا انتـم عابـدون ما اعبـد . لكم دينكم ولى دين**))(٤) . وهـذه كلمـة تقتضى براءتـه من دينهم ، ولا تقتضى رضاه بذلك ، كما قال تعـالى فى الآية الأخـرى : ((**وان كذبوك فقـل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئـون مما اعمـل وانـا برىء مما تعملون**))(٥) . ومن ظن من الملاحـدة أن هـذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من أكـذب النـاس وأكفرهـم ، كمن ظن أن قـوله : ((**وقضى ربـك**))(٦) . بمعنى قـدر ، وان الله سـبحانه ما قضى بشىء الا وقع ، وجعل عباد الأصنام ما عبـدوا الا الله ، فان هـذا من أعظم الناس كفرا بالكتب .

واما لفظ البعث ، فقال تعالى فى البعث الكونى : ((**فاذا جاء وعـد اولاهما بعثنا عليكم عبـادا لنـا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا**))(٧) .

وقال فى البعث الدينى : ((**هـو الذى بعث فى الأميين رسـولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمـة**))(٨) . وقال تعـالى :

---

(١) يونس : ١٨
(٢) الشعراء : ٧٥ — ٧٧
(٣) الممتحنة : ٤
(٤) سورة الكافرون .
(٥) يونس : ٤١
(٦) الاسراء : ٢٣
(٧) الاسراء : ٥
(٨) الجمعة : ٢

((ولقد بعثنا فى كل امة رسـولا أن اعبـدوا الله واجتنبوا الطاغوت))(١) .

وأما لفظ الارسال فقال فى الارسـال الكونى : ((الم تر انا ارسـلنا الشـياطين على الكافرين تؤزهم أزا))(٢) . وقال تعـالى : ((وهـو الذى ارسـل الرياح بشرا بين يدى رحمته))(٣) .

وقال فى الدينى : ((انا ارسـلناك شـاهدا ومبشرا ونذيرا))(٤) . وقال تعـالى : ((انا ارسـلنا نوحـا الى قومـه))(٥) . وقال تعـالى : ((انا ارسـلنا اليكم رسـولا شـاهدا عليكم كما ارسـلنا الى فرعـون رسـولا))(٦) . وقال تعـالى : ((الله يصطفى من الملائكـة رسـلا ومن النـاس))(٧) .

وأما لفظ الجعل ، فقال فى الكونى : ((وجعلنـاهم ائمـة يدعـون الى النـار))(٨) .

وقال فى الدينى : ((لكـل جعلنـا منكم شرعـة ومنهـاجا))(٩) . وقال تعالى : ((ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حـام))(١٠) .

وأما لفظ التحريم ، فقـال فى الكونى : ((وحرمنـا عليـه المراضـع من قبـل))(١١) . وقال تعـالى : ((فانهـا محرمة عليهم اربعين سـنة ، يتيهون فى الأرض))(١٢) .

وقال فى الدينى : ((حرمت عليكم الميتـة والـدم ولحـم الخنزير ، وما أهل لغير الله به))(١٣) .

وقال تعالى : ((حرمت عليكم امهاتكم وبنـاتكم واخواتكم وعمـاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت))(١٤) .

وأما لفظ الكلمات ، فقال فى الكلمات الكونية : ((وصـدقت بكلمات ربهـا وكتبه))(١٥) .

---

(١) النحل : ٣٦
(٢) مريم : ٨٣
(٣) الفرقان : ٤٨
(٤) الأحزاب : ٤٥
(٥) نوح : ١
(٦) المزمل : ١٥
(٧) الحج : ٧٥
(٨) القصص : ٤١
(٩) المـائدة : ٤٨
(١٠) المـائدة : ١٠٣
(١١) القصص : ١٢
(١٢) المـائدة ٢٦
(١٣) المـائدة : ٣
(١٤) النساء : ٢٣
(١٥) التحريم : ١٢

وثبت فى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق ، ومن غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون »[١] وقال صلى الله عليه وسلم : « من نزل منزلا فقال : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك »[٢] . وكان يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق ، الا طارقا يطرق بخير يا رحمن »[٣] .

وكلمات الله التامات لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، هى التى كون بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته ، وأما كلماته الدينية ، وهى كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ، فأطاعها الأبرار ، وعصاها الفجار .

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية . وجعله الدينى ، واذنه الدينى ، وارادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التى لا يجاوزها بر ولا فاجر ، فانه يدخل تحتها جميع الخلق ، حتى ابليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من

---

(١) ليس فى الصحيح بهذا اللفظ وانما رواه مالك فى « الموطأ » عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى أن خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اروع فى منامى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » .

(٢) اخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نزل منزلا ... » الحديث .

(٣) روى الطبرانى عن خالد بن الوليد انه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى أجد فزعا فى الليل فقال : « الا أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام وزعم أن عفريتا من الليل يكيدنى فقال : اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل وفتن النهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن » ورواه مالك بنحوه .

يدخل النار ، فالخلق وان اجتمعوا فى شمول الخلق والمشيئة والقـدرة والقدر لهم ، فقد افترقوا فى الأمر والنهى والمحبة والرضـا والغضب .

وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المـأمور ، وتركوا المحظـور ، وصبروا على المقدور ، فأحبهم وأحبوه ، ورضى عنهم ورضـوا عنـه .

وأعداؤه أولياء الشياطين ، وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ، ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم .

وبسط هذه الجمل له موضع آخر ، وانما كتبت هنا تنبيهـا على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأوليـاء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هـو الذى فـرق الله تعالى به بين أوليائه السـعداء ، وأعـدائه الأشقياء ، وبين أوليـائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهـل الهـدى والرشـاد ، وبين أعدائه أهل البغى والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشـيطان ، وأوليائه الذين كتب فى قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه ، قال تعالى : **« لا تجـد قومـا يؤمنـون بالله واليـوم الآخـر يوادون من حـاد الله ورسـوله »**(١) . وقال تعـالى : **« اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فـوق الاعنـاق واضربوا منهم كل بنـان »**(٢) . وقال فى أعـدائه : **« وان الشياطين ليوحون الى أوليـائهم ليجـادلوكم »**(٣) . وقال : **« وكذلك جعلنـا لكل نبى عـدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخـرف القول غرورا »**(٤) . وقال : **« هل أنبئكم على من تنزل الشـياطين . تنزل على كل افاك أثيم . يلقون السـمع وأكثرهـم كاذبون . والشـعراء يتبعهم الغاوون . الم تر أنهم فى كـل واد يهيمـون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنـوا وعملوا الصـالحات وذكـروا الله كثيرا وانتصروا من بعـد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبـون »**(٥) . وقال تعـالى : **« فلا أقسم بما تبصرون . ومالا تبصرون . انـه لقول رسـول كـريم . وما هو بقول شـاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينـا بعض الأقاويل . لأخـذنا منـه**

---

(١) المجادلة : ٢٢
(٢) الانفال : ١٢
(٣) الانعام : ١٢١
(٤) الانعام : ١١٢
(٥) الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٧

باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وانه لتذكرة للمتقين . وانا لنعلم ان منكم مكذبين . وانه لحسرة على الكافرين . وانه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم))(١) . وقال تعالى : ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون))(٢) الى قوله : ((ان كانوا صادقين))(٣) .

فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عمن نقترن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين ، وبين أن الذى جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى : ((الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس))(٤) . وقال تعالى : ((وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين))(٥) . وقال تعالى : ((قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله))(٦) . وقال تعالى : ((فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم))(٧) . الى قوله : ((وبشرى للمسلمين))(٨) فسماه الروح الأمين ، وسماه روح القدس . وقال تعالى : ((فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس))(٩) . يعنى الكواكب التى تكون فى السماء خانسة ، أى مختفية قبل طلوعها ، فاذا ظهرت رآها الناس جارية فى السماء ، فاذا غربت ذهبت الى كناسها الذى يحجبها ((والليل اذا عسعس))(١٠) أى اذا ادبر واقبل الصبح ((والصبح اذا تنفس))(١١) . اى اقبل . ((انه لقول رسول كريم))(١٢) وهو جبريل عليه السلام . ((ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين))(١٣) . اى مطاع فى السماء امين ، ثم قال : ((وما صاحبكم بمجنون (١٤))) . اى صاحبكم بصحبكم اذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة . كما قال تعالى :
بصحبكم اذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة : كما قال تعالى :
((وقالوا لولا نزل عليه ملك ، ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم

---

(١) الحاقة : ٣٨ — ٥٢ (٢) الطور : ٢٩
(٣) الطور : ٣٤ (٤) الحج : ٧٥
(٥) الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥ (٦) البقرة : ٩٧
(٧) النحل : ٩٨ (٨) النحل : ١٠٢
(٩) التكوير : ١٥ ، ١٦ (١٠) التكوير : ١٧
(١١) التكوير : ١٨ (١٢) التكوير : ١٩
(١٣) التكوير : ٢٠ ، ٢١ (١٤) التكوير : ٢٢

لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا »(١) . وقال تعالى : « **ولقد رآه بالأفق المبين** »(٢) . أى رأى جبريل عليه السلام . « **وما هو على الغيب بظنين** »(٣) . أى بمتهم ، وفى القراءة الأخرى : « **بضنين** »(٤) أى ببخيل يكتم العلم ولا يبذله الا بجعل ، كما يفعل من يكتم العلم الا بالعوض « **وما هو بقول شيطان رجيم** »(٥) . فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا ، كما نزه محمدا صلى الله عليه وسلم عن أن يكون شاعرا أو كاهنا .

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيفعلون ما أمر به ، وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ، ويقذف الله فى قلوبهم من أنواره ، ولهم الكرامات التى يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله ، كراماتهم لحاجة فى الدين ، أو لحاجة بالمسلمين ، كما كانت معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك .

وكرامات أولياء الله انما حصلت ببركة اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهى فى الحقيقة تدخل فى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر(٦) وتسبيح الحصا فى كفه(٧) ، واتيان الشجر اليه(٨) ، وحنين الجذع اليه(٩) ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس(١٠) واخباره بما كان وما يكون(١١) ، واتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما أشبع فى الخندق العسكر

---

(١) الأنعام : ٨ ، ٩ (٢) التكوير : ٢٣
(٣) التكوير : ٢٤
(٤) التكوير : ٢٤ وهى قراءة حفص .
(٥) التكوير : ٢٥
(٦) رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك .
(٧) رواه البزار والطبرانى عن أبى ذر .
(٨) رواه مسلم عن جابر . (٩) فى « الصحيحين » .
(١٠) فى « الصحيحين » والترمذى عن جابر . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » .
(١١) أخرج مسلم من حديث له عن عمرو بن أخطب « فأخبرنا ما كان وما هو كائن فأعلمنا احفظنا » .

من قدر طعام وهو لم ينقص فى حديث أم سليم المشـهور[١] ، وروى العسكر فى غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص . وملأ أوعية العسـكر عام تبـوك من طعام قليـل ولم ينقص ، وهـم نحو ثلاثين ألفـا ونبع المـاء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه ، كما كانوا فى غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة ـ أو خمسمائة[٢] ، ورده لعين أبى قتادة حين سالت على خـده فرجعت أحسن عينيـه[٣] ، ولمـا أرسل محمد بن مسلمة لقتـل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرأت[٤] ، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلا كلا منهم حز له قطعة ، وجعل منهـا قطعتين فأكلوا منهـا جميعهم ، ثم فضـل فضلة[٥] . و (قضى) دين عبد الله أبى جابر لليهـودى وهـو ثلاثون وسـقا[٦] .

قال جابر : فأمر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعـه بالذى كان له فلم يقبـل ، فمشى فيهـا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، ثم قال لجابر : جد له ، فوفاه الثلاثين وسقا ، وفضـل سـبعة عشر وسـقا ؛ ومثل هذا كثير ، قد جمعت نحو ألف معجزة .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جـدا ، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السـماء مثـل الظلة فيها أمثال السرج ، وهى الملائكة نزلت لقراءته[٧] وكانت الملائكـة تسلم على عمران بن حصين ، وكان سـلمان وأبو الدرداء يأكـلان فى

---

(١) فى الصحيحين عن جابر . (٢) فى الصحيحين عن جابر .

(٣) رواه الطبرانى وأبو يعلى . قال الهيثمى فى « المجمع » وفى اسناد الطبرانى من لم أعرفهم ، وفى اسناد أبى يعلى : الحمانى ، وهو ضعيف .

(٤) الذى فى البخارى أن الذى كسرت رجله فمسحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرات هو عبد الله بن عتيك الذى بعثه رسـول الله صلى الله عليه وسلم لقتل ابى رافع ، واما محمد بن مسلمة فقد قتل كعبـا ولم تكسر رجله .

(٥) فى « الصحيحين » عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .

(٦) اخرجه البخارى فى باب اذا قضى دون حقه أو حلله .

(٧) نزول الظلة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كمـا اخرجـه البخارى عن أسيد بن حضير اذ تبدت له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ « تغشته سحابة » .

صحفة ، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . وعباد بن بشر وأسيد ابن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط ، فلما افترقا ، افترق الضوء معهما ، رواه البخارى وغيره .

وقصة الصديق فى الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه الى بيته ، وجعل لا يأكل لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هى قبل ذلك . فنظر اليها أبو بكر وامرأته ، فاذا هى أكثر مما كانت ، فرفعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا .

وخبيب بن عدى كان أسيرا عند المشركين بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة[1] .

وعامر بن فهيرة قتل شهيدا، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما كان قتل رفع ، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع . وقال عروة : فيرون الملائكة رفعته .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حسا على رأسها ، فرفعته فاذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده[2] .

والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه[3] ، وكان الحرب اذا اشتدت على المسلمين فى الجهاد يقولون : يا براء .. أقسم

---

(١) رواه البخارى عن ابى هريرة .

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا .

(٣) رواه الترمذى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رب اشعث اغبر لا يؤبه له ، لو اقسم على الله لابره ، منهم البراء ابن مالك » .

على ربك ، فيقول : يا رب .. أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد . فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا .

وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا ، فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم ، فشربه فلم يضره .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة[١] : ما دعا قط الا استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية ، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية .. الجبل ، يا سارية .. الجبل ، الجبل . فقدم رسول الجيش فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين .. لقينا عدوا فهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[٢] .

ولما عذبت الزبيرة على الاسلام في الله ، فأبت الا الاسلام وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى . قالت : كلا والله فرد الله عليها بصرها[٣] .

ودعا سعد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه ، فقال : اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت[٤] .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين ، وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم ،

---

(١) روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم استجب لسعد اذا دعاك » فكان لا يدعو الا استجيب له .

(٢) رواه البيهقي في « الدلائل » قال ابن حجر في « الاصابة » : اسناده حسن .

(٣) أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في « الاصابة » .

(٤) القصة : انها ادعت عليه ارضا له .

فيستجاب له ، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عـدموا المـاء والاسقاء لمـا بعدهم ، فأجيب ، ودعا الله لمـا اعترضهم البحر ولم يقـدروا على المرور بخيولهم ، فمـروا كلهم على المـاء ما ابتلت سروج خيـولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده اذا مات ، فلم يجـدوه فى اللحـد ، وجرى مثل ذلك لأبى مسلم الخولانى الذى ألقى فى النار ، فانـه مشى هـو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهى ترمى بالخشب من مـدها ، ثم التفت الى أصحابه فقال : تفقدون من متـاعكم شـيئا حتى أدعـو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقـدت مخلاة ، فقال : اتبعنى ، فتبعـه فوجدها قد تعلقت بشىء فأخذها ، وطلبه الأسـود العنسى لمـا ادعى النبوة ، فقال له : أتشـهد أنى رسـول الله ؟ قال : ما أسـمع ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقى فيها ، فوجدوه قائما يصلى ، وقد صارت عليه بردا وسلاما .

وقدم المدينة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأجلسـه عمر بينه وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل بـه كمـا فعـل بابراهيم خليـل الله ، ووضعت له جاريتـه السم فى الطعـام فلم يضره ، وخببت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفى درهم فى كمه ، وما يلقاه سائل فى طريقه الا أعطاه بغير عدد ، ثم يجىء الى بيته فلا يتغير عـددها ولا وزنها ، ومر بقـافلة قد حبسهم الأسـد ، فجـاء حتى مس بثيـابه الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه وقال : انما أنت كلب من كلاب الرحمن ، وانى أستحى من الله أن أخاف شـيئا غيره ، ومرت القـافلة ، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور فى الشتاء ، فكان يؤتى بالمـاء له بخـار ، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو فى الصلاة ، فلم يقـدر عليه .

وتغيب الحسن البصرى عن الحجاج ، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج — كان يؤذيهم — فخـر ميتـا .

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو ، فقال : اللهم لا تجعـل

لمخلوق على منة • ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه ، فلما وصل الى بيته قال : يا بنى خذ سرج الفرس فانه عارية ، وأخذ سرجه فمات الفرس • وجاع مرة بالأهواز ، فدعا الله عز وجل واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخلة رطب فى ثوب حرير ، فأكل التمر ، وبقى الثوب عند زوجته زمانا • وجاءه الأسد وهو يصلى فى غيضة بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع ، فولى الأسد وله زئير •

وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره •

ورجل من النخع له حمار فمات فى الطريق ، فقال له أصحابه : هلم تتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أمهلونى هنيهة ، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه •

ولما مات أويس القرنى وجدوا فى ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد فى صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه فى تلك الأثواب •

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلى يوما فى شدة الحر فأظلته غمامة ، وكان السبع يحميه ، وهو يرعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو أنه يخدمهم •

وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران فى ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط •

ولما مات الأحنف بن قيس ، وقعت قلنسوة رجل فى قبره ، فاهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر •

وكان ابراهيم التيمى يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا ، وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع الى أهله ففتحها فاذا هى حنطة حمراء ، فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها الى فرعها حبا متراكبا •

وكان عتبة الغلام قد سأل ربه ثلاث خصال : صوتا حسنا ، ودمعا

غزيرا ، وطعاما من غير تكلف . فكان اذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان يأوى الى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدرى من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده .

وهذا باب واسع ، (و) قد بسط الكلام على كرامات الأولياء فى غير هذا الموضع .

وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه فى هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغى أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوى ايمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة ، بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن صياد[1] الذى ظهر فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان . قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « قد خبأت لك خبأ » قال : الدخ الدخ . وقد كان خبأ له سورة الدخان ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « اخسأ فلن تعدو قدرك » يعنى انما أنت من اخوان الكهان ، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة تنزل فى العنان — وهو السحاب — فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

---

(١) وحديثه فى « الصحيحين » .

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :
بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من الأنصار اذ رمى بنجم فاستنار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون لمثل هذا فى الجاهلية اذا رأيتموه » ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فانه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش : ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا . وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون » .

وفى رواية ، قال معمر : قلت للزهرى : أكان يرمى بها فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم .

والأسود العنسى الذى ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقى الذى خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة ، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، وتسبح الرخامة اذا مسحها بيده ، وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل فى الهواء ويقول : هى الملائكة ، وانما كانوا جنا ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : انك لم تسم الله . فسمى الله فطعنه فقتله .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر عندهم ما يطردها ، مثل آية الكرسى ، فانه قد ثبت فى الصحيح عن

النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه لما وكله النبى صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم : « ما فعل أسيرك البارحة » ؟ فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول : « كذبك وأنه سيعود » فلما كان فى المرة الثالثة ، قال : دعنى حتى أعلمك ما ينفعك .. اذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم »**(١) الى آخرها ، فانه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صدقك وهو كذوب » وأخبره أنه شيطان(٢) .

ولهذا اذا قرأها الانسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها ، مثل من يدخل النار بحال شيطانى ، أو يحضر سماع المكاء والتصدية . فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم ، وربما لا يفقه . وربما كاشف بعض الحاضرين بما فى قلبه ، وربما تكلم بألسنة مختلفة ، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع . والانسان الذى حصل له الحال لا يدرى بذلك بمنزلة المصروع الذى يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه ، فاذا أفاق لم يشعر بشىء مما قال .

ولهذا قد يضرب المصروع (ضربا كثيرا حتى قد يقتل مثله الانسى أو يمرضه لو كان هو المضروب وذلك) الضرب لا يؤثر فى الانسى ، ويخبر اذا أفاق أنه لم يشعر بشىء ، لأن الضرب كان على الجنى الذى لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون فى ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجنى الى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرهما ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته ، فلا يحج حجا شرعيا ، بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم اذا حاذى الميقات ، ولايلبى ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ولا يسعى بين الصفا والمروة ، ولا يرمى الجمار ، بل يقف بعرفة بثيابه ، ثم يرجع من ليلته ، هذا ليس بحج (مشروع باتفاق المسلمين ، بل هو كمن يأتى الجمعة يصلى بغير وضوء والى غير القبلة ، ومن هؤلاء

---

(١) البقرة : ٢٥٥ (٢) رواه البخارى .

المحمولين ، من حصل مرة الى عرفات ورجع فرأى فى النوم ملائكة يكتبون الحجاج) فقال : ألا تكتبونى ؟ فقالوا : لست من الحجاج ، يعنى لم تحج حجا شرعيا .

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة : منها أن كرامات الأولياء سببها الايمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما نهى الله عنه ورسوله . وقال الله تعالى : **((قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون))(١)** .

فالقول على الله بغير علم ، والشرك والظلم والفواحش : قد حرمها الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها ، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن . بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأمور التى فيها شرك ، كالاستغاثة بالمخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش ، فهى من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء من اذا حضر سماع المكاء والتصدية ينزل عليه شيطانه حتى يحمله فى الهواء ، ويخرجه من تلك الدار ، فاذا حضر رجل من أولياء الله تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد .

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق ، اما حى أو ميت ، سواء أكان ذلك المخلوق مسلما أو نصرانيا أو مشركا ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ، ويقضى بعض حاجة ذلك المستغيث ، فيظن أنه ذلك الشخص ، أو هو ملك تصور على صورته ، وانما هو شيطان أضله لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل فى الأصنام وتكلم المشركين . ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له : أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور . وأعانه على بعض مطالبه ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى ، وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتى الشيطان بعد موته على صورته ،

---

(١) الاعراف : ٣٣

وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضى الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته ، ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال : اذا أنا مت فلا تدع أحدا يغسلنى ، فأنا أجىء وأغسل نفسى ، فلما مات رأى خادمه شخصا فى صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ، أى غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطانا ، وكان قد أضل الميت ، وقال : انك بعد الموت تجىء فتغسل نفسك ، فلما مات جاء أيضا فى صورته ليغوى الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك •

ومنهم من يرى عرشا فى الهواء ، وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فان كان من أهل المعرفة ، علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه ، فيزول •

ومنهم من يرى أشخاصا فى اليقظة يدعى أحدهم أنه نبى أو صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد (وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذى يزوره ، فيرى القمر قد انشق وخرج اليه صورة ، فيعتقدها الميت • وانما هو جنى تصور بتلك الصورة • ومنهم من يرى فارسا قد خرج من قبره ، أو دخل فى قبره ، ويكون ذلك شيطانا ، وكل من قال : أنه رأى نبيا بعين رأسه فما رأى الا خيالا) •

ومنهم من يرى فى منامه أن بعض الأكابر ، اما الصديق رضى الله عنه أو غيره قد قص شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته ، أو ثوبه ، فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره محلوق ، أو مقصر ، وانما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الأمور الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطىء ، فان كان الانسى كافرا أو فاسقا أو جاهلا ، دخلوا معه فى الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل الاقسام عليهم بأسماء ن يعظمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة الاخلاص ، أو آية الكرسى ، أو غيرهن ، ويكتبهن بنجاسة فيعورون له الماء ، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد

يأتونه بمن يهـواه من امرأة أو صبى ، اما فى الهواء ، واما مدفـوعا ملجأ اليه • الى أمثال هذه الأمور التى يطـول وصفها ، والايمان بهـا ايمان بالجبت والطاغوت ، والجبت : السـحر • والطاغوت : الشياطين والأصنام • وان كان الرجل مطيعا لله ورسوله باطنا وظاهرا ، لم يمكنهم الدخول معه فى ذلك ، أو مسالمته •

ولهذا لما كانت عبـادة المسلمين المشروعة فى المسـاجد التى هى بيوت الله ، كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهـل الشرك والبدع يعظمون القبـور ومشـاهد المـوتى ، فيدعون الميت أو يدعون به أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ، أقرب الى الأحوال الشيطانية ، فانه ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليـه وسـلم أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » •

وثبت فى « صحيح مسلم » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « ان أمن الناس على فى صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليـل الله ، لا يبقين فى المسجد خوخة الا سـدت ، الا خوخة أبى بكر ، ان من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » •

وفى « الصحيحين » عنه أنه ذكر له فى مرضه كنيسة بأرض الحبشة، وذكروا من حسنها وتصاوير فيها ، فقال : « ان أولئك اذا مات فيهـم الصالح بنوا على قبره مسـجدا وصوروا فيها تلك التصاوير ، أولئـك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » •

وفى « المسند » و « صحيح أبى حاتم »[1] عنه صلى الله عليـه وسلم قال : « ان من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين اتخذوا القبور مساجد » •

وفى « الصحيح » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » •

وفى « الموطأ » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم لا تجعل

---

(١) وهو معروف بـ « صحيح ابن حبان » .

قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفى « السنن » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، وصلوا على حيثما كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام »(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله وكل بقبرى ملائكة يبلغوننى عن أمتى السلام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فان صلاتكم معروضة على » قالوا : يا رسول الله .. كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ — يقولون : بليت — فقال : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء »(٢) . وقد قال الله تعالى فى كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : « **وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** »(٣) .

قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم ، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان .

فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها(٤) وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون فى الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب . والشيطان يضل بنى آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ويسمون ذلك

---

(١) أخرجه أبو داوود باسناد صحيح كما قال النووى .
(٢) أخرجه أبو داوود باسناد صحيح كما قال النووى .
(٣) نوح : ٢٣ .
(٤) قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرنى شيطان » أخرجه مسلم .

روحانية الكواكب ، وهو شيطان . والشيطان وان أعان الانسان على بعض مقاصده ، فانه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه الى شر ، الا أن يتوب الله عليه .

وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه فى البيوت والمساجد ، ويروون حديثا هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : « اذا أعيتكم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور » . وانما هذا وضع من فتح باب الشرك .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهى من الشياطين ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد ، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه . يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، واذا قرأت آية الكرسى هناك بصدق بطل هذا ، فان التوحيد يطرد الشيطان . ولهذا حمل بعضهم فى الهواء فقال : « لا اله الا الله » فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه انسان فيظنه الميت وهو شيطان .

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان هذا الانقطاع الى المغارات والبوادى من البدع التى لم يشرعها الله ولا رسوله ، صارت الشياطين كثيرا ما تأوى المغارات والجبال مثل مغارة الدم التى بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذى بساحل الشام ، وجبل الفتح بأسوان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة ، وغير ذلك ، وجبل اللكام ، وجبل الأحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز ، وجبل ماشكو عند أقشوان ، وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التى يظن بعض الناس أن بها رجالا من الصالحين من الانس ، ويسمونهم : رجال الغيب ، وانما هناك رجال من الجن ، فالجن رجال ، كما أن الانس رجال : قال تعالى : **« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا »**(١) .

---

(١) الجن : ٦

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرانى ، جلده يشبه جلد الماعز ، فيظن من لا يعرفه أنه انسى ، وانما هو جنى . ويقال : بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال ، كما يعرف ذلك بطرق متعددة .

وهذا باب لا يتسع الموضع لبسطه ، وذكر ما نعرفه من ذلك ، فانا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه فى هذا المختصر الذى كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به كل ذلك .

والناس فى خوارق العادات على ثلاثة أقسام : قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء ، وربما صدق به مجملا ، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس ، لكونه عنده ليس من الأولياء ، ومنهم من يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان وليا لله وكلا الأمرين خطأ ، ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله . وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة، والصواب القول الثالث ، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم . لا من أولياء الله عز وجل ، كما قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم**))(١)

وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة ، تقترن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله ، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضا ، واذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ، ولابد أن يكون فى أحدهم من الكذب جهلا أو عمدا ، ومن الاثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين ، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين . قال الله تعالى : ((**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم**))(٢) . والأفاك : الكذاب . والأثيم : الفاجر .

ومن أعظم ما يقوى الأحوال الشيطانية ، سماع الغناء والملاهى

---

(١) المائدة : ٥١

(٢) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢.

وهو سماع المشركين ، قال الله تعالى : **« وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية »**(١) .

قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وغيرهما من السلف . التصدية: التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك . والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ، ولا سقطت بردته . بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون . ومر النبى صلى الله عليه وسلم بأبى موسى الأشعرى وهو يقرأ فقال له : « مررت بك البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت أسمع لقراءتك » فقال : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا(٢) أى لحسنته لك تحسينا ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم »(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « لله أشد أذنا — أى أستماعا — الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته »(٤) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود : « اقرأ على القرآن » فقال : أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « انى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأت عليه سورة (النساء) حتى انتهيت الى هذه الآية : **« فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا »**(٥) . وقال : « حسبك » فاذا عيناه تذرفان من البكاء .

---

(١) الانفال : ٣٥ (٢) متفق عليه .

(٣) رواه أبو داوود ، والدارمى ، والحاكم ، وسنده صحيح .

(٤) أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والحاكم . قال فى « الزوائد » : اسناده حسن .

(٥) النساء : ٤١

ومثل هذا السماع ، هو سماع النبيين وأتباعهم ، كما ذكر الله ذلك في القرآن فقال : ((**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا ، اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا**))(١) . وقال في أهل المعرفة : ((**واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**))(٢) .

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الايمان ، واقشعرار الجلد ودمع العين ، فقال تعالى : ((**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله**))(٣) وقال تعالى : ((**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**))(٤) .

وأما السماع المحدث ، سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين ، يجعلون هذا طريقا الى الله تبارك وتعالى ، ولا يعدونه من القرب والطاعات ، بل يعدونه من البدع المذمومة ، حتى قال الشافعي : خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغبير ، يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبا وافرا . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله ، كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة الخمر ، (بل هو) يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ،ولهذا اذا قويت سكرة أهله ، نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على ألسنة بعضهم ، وحملت بعضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شراب الخمر ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه . ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين ، وانما هذا مبعد لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال

---

(١) مريم : ٥٨ (٢) المائدة : ٨٣

(٣) الزمر : ٢٣ (٤) الأنفال : ٢ ــ ٤

الشياطين ، فان قتل المسلم لا يحل بما أحله الله ، فكيف يكون تتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه ؟! وانما غاية الكرامة لزوم الاستقامه . فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه اليه ، ويرفع به درجته .

وذلك أن الخوارق منها ما هو جنس العلم : كالمكاشفات ، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للعادات ، ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس فى الظاهر ، من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور ، ان استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه اليه ، ويرفع درجته ، ويأمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقربا الى الله ورسوله ، وعلت درجته . وان استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فان لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية ، والا كان كأمثاله من المذنبين : ولهذا كثيرا ما يعاقب أصحاب الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة الى العامة ، وتارة ينزل الى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الاسلام ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية ، فان كثيرا من هؤلاء يرتد عن الاسلام ، وكثيرا منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ، ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، اذا أعطى عبدا خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله اذا أعطى عبدا ملكا ومالا وتصرفا ، لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهى عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم الأبرار المقتصدون ، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبى الملك .

ولما كانت الخوارق كثيرا ما ينقص بها درجة الرجل ، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى ، كما يتوب من الذنوب ، كالزنا ، والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجعلها همته ، ولا يتبجح بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف اذا كانت بالحقيقة من

الشياطين تغويهم بها ؟ ! فانى أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وانما يخاطبه الشيطان الذى دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر ، وتقول : هنيئا لك يا ولى الله ، فيقرأ آية الكرسى فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذنى حتى يأكلنى الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل فى الانس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون فى البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ، وكذلك فى أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تريه أنوارا ، وتحضر عنده من يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسى مرة بعد مرة ، ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، ويعده بأنه المهدى الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف فى الطير والجراد فى الهواء ، فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينا وشمالا ، ذهب حيث أراد ، واذا خطر بقلبه قيام بعض المواشى ، أو نومه ، أو ذهابه ، حصل له ما أراد من غير حركة منه فى الظاهر ، وتحمله الى مكة ، وتأتى به ، وتأتيه بأشخاص فى صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك ، فيقول فى نفسه : كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ، ويقول له : علامة أنك أنت المهدى أنك تنبت فى جسدك شامة ، فتنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج الى مجلد كبير . وقد قال تعالى : ((**فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن**))(١) .

قال الله تبارك وتعالى : ((**كلا**)) ولفظ ((كلا)) فيها زجر وتنبيه ، زجر عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ، ويؤمر به بعده ، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة ، يكون الله عز وجل مكرما له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهينا له بذلك ،

(١) الفجر : ١٥ ، ١٦ .

بل هو سبحانه يبتلى عبده بالسراء والضراء : فقد يعطى النعم الدنيوية لمن لا يحبه ، ولاهو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحمى منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضا كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الايمان والتقوى ، وما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر وقيام الليل ، والدعاء ، وانما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات ، كالحيات ، والزنابير ، والخنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان : وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلا طويلا ، فاذا جاءت الصلاة صلى قاعدا ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويتكلفه ، ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد ، فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »**(١) . فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : **« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى »**(٢) . يعنى تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

* * *

---

(١) الزخرف : ٣٦ (٢) طه : ١٢٤ — ١٢٦

فصـــل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمـــدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الانس والجن ، فلم يبق انسي ولا جني الا وجب عليـــه الايمـــان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبـــاعه ، فعليه أن يصـــدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به ، فهـــو كافر ، سواء أكان انسيا أو جنيا .

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقـــد استمعت الجن القرآن ، وولوا الى قـــومهم منـــذرين لمـــا كان النبى صلى الله عليـــه وسلم يصلى بأصـــحابه ببطن نخلة لمـــا رجع من الطائف ، واخبره الله بذلك فى القرآن بقوله : ((**واذ صرفنـــا اليك نفـــرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلمـــا قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنـــا انا سمعنـــا كتـــابا انزل من بعـــد موسى مصـــدقا لمـــا بين يديه يهـــدى الى الحق والى طريق مســـتقيم . يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنـــوا بـــه يغفر لكم من ذنوبكم ويجركـــم من عـــذاب اليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجـــز فى الأرض وليس له من دونـــه أوليـــاء ، اولئك فى ضلال مبين**))(١) .

وانزل الله تعالى بعد ذلك : ((**قـــل اوحى الى انه استمع نفـــر من الجن فقالوا انا ســـمنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا احـــدا . وانه تعالى جـــد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وانـــه كان يقول سفيهنـــا على الله شططا . وانا ظننـــا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا . وانه كان رجال من الانس يعـــوذون برجال من الجن فزادوهـــم رهقـــا**))(٢) . اى السفيه منا فى اظهر قولى العلماء .

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس اذا نزل بالوادى قال : أعوذ بعظيم هذا الوادى من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس بالجن ، ازدادت الجن طغيـــانا وكفرا ، كمـــا قال تعـــالى : ((**وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقـــا . وانهم ظنـــوا كمـــا ظننتم ان لن يبعث الله احدا . وانا لمسنا السمـــاء فوجدناها ملئت حرســـا شديدا وشهبا**))(٣) .

---

(١) الأحقاف : ٢٩ — ٣٢ (٢) الجن : ١ — ٦

(٣) الجن : ٦ — ٨

وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن . لكن كانوا أحيانا يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب الى احدهم ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ملئت السماء حرسا شديدا وشهبا ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل ان يسمعوا ، كما قالوا : « **وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** »(١) . وقال تعالى في الآية الأخرى : « **وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون** »(٢) . وقالوا : « **وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الأرض أم اراد بهم ربهم رشدا . وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا** »(٣) . اى على مذاهب شتى ، كما قال العلماء : منهم المسلم والمشرك واليهودى والنصرانى ، والسنى والبدعى . « **وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا** »(٤) . اخبروا أنهم لا يعجزونه ، لا ان أقاموا فى الأرض ولا ان هربوا منه .

« **وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون** »(٥) . اى الظالمون . يقال : قسط اذا جار وظلم : « **فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا . وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا . وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا . قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا** »(٦) . اى ملجأ ومعاذا . « **الا بلاغا من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا . حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا واقل عددا** »(٧) . ثم لما سمعت الجن القرآن اتوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، وهم جن نصيبين ، كما ثبت ذلك فى « الصحيح

---

(١) الجن : ٩
(٢) الشعراء : ٢١٠ — ٢١٢
(٣) الجن : ١٠ ، ١١
(٤) الجن : ١٢
(٥) الجن : ١٣ ، ١٤
(٦) الجن : ١٤ — ٢٢
(٧) الجن : ٢٣ ، ٢٤

من حديث ابن مسعود » . وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن . وكان اذا قال : ((فبأى آلاء ربكما تكذبان))(١) . قالوا : ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد(٢) .

ولما اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم سألوه الزاد لهم ولدوابهم ، فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما ، وكل بعرة علف لدوابكم » قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن »(٣) . وهذا النهى ثابت عنه من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهى عن الاستنجاء بذلك ، وقالوا : فاذا منع الاستنجاء بما للجن ولدوابهم ، فما أعد للانس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل الى جميع الانس والجن ، وهذا أعظم قدرا عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام ، فانهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله ، لأنه عبد الله ورسوله ، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبى الملك .

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والاجماع ، وأما مؤمنوهم ، فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل من الانس ، ولم يبعث من الجن رسول ، لكن منهم النذر ، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر .

والمقصود هنا أن الجن مع الانس على أحوال : فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو فى ذلك من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ونوابه ، ومن كان يستعمل الجن فى أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس فى أمور مباحة له : وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ، ويستعملهم فى مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

---

(١) الرحمن : ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير ، ورجال اسناده ثقات .

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود .

هذا اذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فغايته أن يكون فى عموم أولياء الله تعالى ، مثل النبى الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف ، مع ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن كان يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله ، اما فى الشرك ، واما فى قتل معصوم الدم ، أو فى العدوان عليهم بغير القتل : كتمريضه وانسائه العلم ، وغير ذلك ، واما فى فاحشة ، كجلب من يطلب فيه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وان استعان بهم على المعاصى فهو عاص : اما فاسق ، واما مذنب غير فاسق .

وان لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، ومثل ان يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعى ، أو أن يحملوه الى عرفات ، ولا يحج الحج الشرعى الذى أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة الى مدينة ، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به .

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التلبيسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فان كان مشركا يعبد الكواكب والأوثان ، أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبى أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبى أو الصالح ، وتكون عبادته فى الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : ((**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون**))(١) .

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون ، فان كان نصرانيا واستغاث بجرجس أو غيره ، جاء الشيطان فى صورة جرجس

---

(١) سبأ : ٤٠ ، ٤١

أو من يستغيث به • وان كان منتسبا الى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء فى صورة ذلك الشيخ • وان كان من مشركى الهند ، جاء فى صورة من يعظمه ذلك المشرك •

ثم ان الشيخ المستغاث به ، ان كان ممن له خبرة بالشريعة ، لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به ، وان كان الشيخ ممن لا خبرة له ، أخبره بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم ، وانما هو بتوسط الشيطان •

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال : يرينى الجن شيئا براقا مثل الماء والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الاخبار به ، قال : فأخبر الناس به ، ويوصلون الى كلام من استغاث بى من أصحابى فأجيبه ، فيوصلون جوابى اليه •

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق — اذا كذب بها من لم يعرفها وقال : انكم تفعلون هذا بطريق الحيلة ، كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج ، ودهن الضفادع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية — يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون : نحن والله لا نعرف شيئا من هذه الحيل • فلما ذكر لهم الخبير : انكم لصادقون فى ذلك ، ولكن هذه الأحوال شيطانية ، أقروا بذلك ، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق ، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان ، ورأوا أنها من الشياطين ، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة فى الشرع وعند المعاصى لله ، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية ، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه •

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب ، وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه • صلاة وسلاما نستوجب بهما شفاعته •• آمين •

* * *

الرســالة الســادسة عشرة :

الحزب المقبول من احاديث الرسول

تاليـف

الفاضل الأجل ابى سعيد محمد بن الفياض الأنصارى

المقدمة وفيها ثلاثة فصول

الفصـــل الأول

فى فضـل الدعـاء

بســم الله الرحمن الرحيم

« الدعاء هو العبـــادة » ثم قرأ : « **وقال ربكم ادعـونى اسـتجب لكم** »(١) .

« الدعاء مخ العبادة »(٢) .

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »(٣) .

« لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر »(٤) .

« ان الدعاء ينفـع مما نزل وممـا لم ينزل ، فعليكم عبـاد الله بالدعاء »(٥) .

« ما من أحد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل ، أو كف عنـه من السوء ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم »(٦) .

« ومن لم يسأل الله يغضب عليه »(٧) .

---

(١) غافر : ٦٠ ــ والحديث رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذى بسند ضعيف .

(٣) رواه احمد ، والترمذى وقال : غريب ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، وأقره الذهبى .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، وفيه أبو مودود فضة : لينا الحافظ فى « التقريب » ورواه ابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٥) رواه الترمذى ، والحاكم وصححه ، وتعقبـه الذهبى بأن فيـه عبد الرحمن أى : المليكى ، ولينه الحافظ ابن حجر .

(٦) رواه احمد ، والترمذى ، والحاكم ، وفى سـنده ابن لهيعـة ، وللحديث شواهد من طريق أبى سعيد وعبادة بن الصامت .

(٧) رواه الترمذى وابن ماجه ، وفى سنده أبو صالح الخوزى ، ضعفه ابن معين . وقال أبو زرعة : لا بأس به .

« من فتح له منكم باب الدعاء ، فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئا — يعنى أحب اليه — من أن يسئل العافية »[١] .

« ان ربكم حيى كريم ، يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا »[٢] .

« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم ، الا أعطاه الله بها احدى ثلاث : اما أن يجعله دعوته ، واما أن يدخرها له فى الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : اذن نكثر ؟ قال : « الله أكثر »[٣] .

الفصل الثانى

فى آداب الدعاء

« اذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها »[٤] .

« (وكان) اذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه »[٥] .

« (وكان) يرفع يديه فى الدعاء حتى يرى بياض ابطيه »[٦] .

قال : كان يجعل اصبعيه حذاء منكبيه ويدعو .

قال : ان رفعكم أيديكم بدعة ، ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا ، يعنى الى الصدر .

اذ دخل رجل فصلى ، فقال اللهم اغفر لى وارحمنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجلت أيها المصلى ! اذا صليت فقعدت ، فاحمد الله بما هو أهله ، وصل على ، ثم ادعه »[٧] .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، لا نعرفه الا من حديث ابى بكر المليكى ، وهو ضعيف فى الحديث .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داوود والترمذى وقال : حسن غريب . قال ابن حجر العسقلانى : سنده جيد .

(٣) قال المنذرى : رواه أحمد ، والبزار ، وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٤) قال ابو داوود : روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب القرظى كلها واهية ، وهذا الطريق أمثلها ، وهو ضعيف أيضا .

(٥) رواه الترمذى وقال : غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن عيسى تفرد به وهو قليل الحديث ، وقد حدث عنه الناس . وضعفه العراقى .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه ابو داوود ، والترمذى والنسائى ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك : فحمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أيها المصلى .. ادع تجب » . فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى : ثم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم دعوت لنفسى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه ، سل تعطه »(١) .

« ان الدعاء موقوف بين السماء والأرض : لا يصعد منه شىء حتى تصلى على نبيك »(٢) .

كان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك(٣) .

« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم »(٤) .

« اذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لى ان شئت : ارحمنى ان شئت ، ارزقنى ان شئت ، وليعزم مسألته ، انه يفعل ما يشاء لا مكره له »(٥) .

« يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل » قيل : يا رسول الله .. ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لى ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء »(٦) .

« دعوة الرجل المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل »(٧) .

« ان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب »(٨) .

« أشركنا يا أخى فى دعائك ولا تنسنا » فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا(٩) .

---

(١) رواه النسائى بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذى موقوفا على عمر بن الخطاب .

(٣) رواه أبو داوود فى الصلاة ، والحاكم فى الدعاء عن عائشة : قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبى ، وجود اسناده النووى فى « الأذكار » و « الرياض » .

(٤) رواه مسلم عن جابر .

(٥) رواه أحمد فى « المسند » والبخارى ومسلم فى الدعوات عن أنس .

(٦) رواه مسلم عن أبى هريرة .

(٧) رواه مسلم عن أبى الدرداء .

(٨) رواه أبو داوود ، والترمذى ، والطبرانى عن عبد الله بن عمرو ، وقد ضعفه الترمذى .

(٩) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلهـا ، حتى يسـأله شسع نعله اذا انقطع »(١) .

وفى رواية عن ثابت البنانى مرسلا : « حتى يسـأله الملح ، وحتى يسأله شسع نعله اذا انقطع »(٢) .

« اذا ذكر أحدا فدعا له ، بدء بنفسه »(٣) .

« من سره أن يستجيب الله له عند الشـدائد ، فليكثر الدعاء فى الرخاء »(٤) .

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »(٥) .

« يا غلام .. احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجـده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبـه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »(٦) .

« اذا قال العبد : يا رب ! يارب ! قال الله : لبيك عبدى ، سـل تعط »(٧) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوجب ان ختم » فقال رجـل من القوم : بأى شىء يختم ؟ قال : بـ « آمين » »(٨) .

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان عن انس .

(٢) رواه الترمذى عن ثابت البنانى مرسلا ، ورواه البزار عن انس مرفوعا : « ليسأل أحكم ربه حاجته أو حوائجه كلها ، حتى يسالة شسـع فعله اذا انقطع ، وحتى يسأله الملح » قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح ، غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب صحيح .

(٤) رواه الترمذى ، والحاكم وصححه ، واقره الذهبى .

(٥) رواه الترمذى عن عبد الله بن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٧) رواه ابن ابى الدنيا فى الدعاء عن عائشة ، وهـو ضعيف ، لكن له شاهد عند البزار .

(٨) رواه أبو داوود عن ابى زهير النميرى .

الفصل الثالث

فى أوقات قبولية الدعاء

أى الدعاء أسمع ؟ قال : « جوف الليل الآخر . ودبر الصلوات المكتوبات »(١) .

« لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة »(٢) .

« ان فى يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه »(٣) .

« هى ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة »(٤) .

« التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة بعد العصر الى غيبوبة الشمس »(٥) .

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : فأكثروا الدعاء »(٦) وفى رواية عن ابن عباس : « وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم »(٧) .

« اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك : فان دعاءه كدعاء الملائكة »(٨) .

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين »(٩) .

---

(١) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال : حديث حسن .

(٢) رواه أبو داوود والترمذى ، والنسائى ، وابن خزيمة وابن حبان فى « صحيحيهما » .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٤) رواه مسلم وأبو داوود . قال أحمد : أكثر الاحاديث فى الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر . ومن شاء التفصيل فليراجع « فتح البارى » (٣٥١/٢) .

(٥) رواه الترمذى من حديث أنس ، وقال : حديث غريب ، وقد روى عن أنس من غير اوجه ، وله شواهد ، وفى الباب عن جابر عند أبى داوود وغيره ، وصححه الحاكم والذهبى والنووى .

(٦) رواه مسلم ، وأبو داوود ، والنسائى ، عن أبى هريرة .

(٧) رواه مسلم ، وأبو داوود ، والنسائى .

(٨) رواه ابن ماجه : قال المنذرى : رواته ثقات ، لكن ميمون بن مهران لم يسمع من عمر .

(٩) رواه أحمد فى « المسند » والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة . وفيه مقال ، تكلم فيه الحافظ ابن حجر وغيره .

« ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ، ودعـوة المسافر ، ودعوة المظلوم »(١) .

« ان في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة »(٢) .

« اثنتان لا تردان : الدعاء عند النـداء ، وعند البـأس حين يلحم بعضهم بعضا »(٣) .

وفي رواية : « وتحت المطر »(٤) .

« كنا نؤمر بالدعاء عند أذان المغرب » .

باب الدعاء عند القيـام من النوم

« الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنـا واليه النشور »(٥) .

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، رب اغفر لي »(٦) .

« لا اله الا أنت ، سبحانك اللهم وبحمـدك ، أسـتغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك .. اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هـديتني ، وهب لي من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب »(٧) .

---

(١) رواه احمد والترمذي وابو داوود ، كلهم من حديث أبي جعفـر المدني ، قال المناوي وغيره : لا يعرف . وقال ابن العربي في « العارضة » : الحديث مجهول ، وربما شهدت له الأصول .

(٢) رواه أحمد ومسلم عن جابر رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داوود ، والدارمي ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواها الحاكم ثم قال : تفرد به يعقوب الزمعي ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : صدوق سيء الحفظ .

(٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه البخاري والترمذي وأبو داوود ، وهو بتمامه : « من تعـار من الليل فقال : لا اله الا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : رب أغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فان توضأ وصلى قبلت صلاته » وتعار : أي استيقظ .

(٧) أخرجه أبو داوود والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال : « لا اله الا انت .. » وفي سنده عبد الله بن الوليد ، وهو المصري ، وهو لين الحـديث كمـا في « التقريب » .

« اللهم انى أسألك خيرا » .

« الله أكبر » — عشرا — « الحمد لله » — عشرا — « سبحان الله وبحمــــده » — عشرا — « ســبحان الملك القــدوس » — عشرا — « أســـتغفر الله » — عشرا — « لا اله الا الله » — عشرا — « اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيــامة » — عشرا[١] .

« سبحان رب العالمين » .

« سبحان الله وبحمده » .

« اللهم لك الحمــد ، أنت قيم الســموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق . وقولك حق ، والجنة حق . والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق . والساعة حق : اللهم لك أســلمت . وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت واليك حاكمت . فاغفــر لى ما قدمت وما أخــرت ، وما أسررت وما أعلنت . وما أنت أعلم بــه منى ، أنت المقــــدم ، وأنت المؤخــر لا اله الا أنت ولا اله غيرك »[٢] .

« ان فى خلق الســموات والأرض واختلاف الليل والنهــار لآيــات لأولى الألباب .. »[٣] الى ختم السورة .

باب الدعاء عند افتتاح صلاة الليل

« اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لمــا اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدى من تشــاء الى صراط مستقيم »[٤] .

---

(١) رواه أبو داوود ، وفى سنده شريق الهوزنى ، لا يعرف ، وفيه بقية ابن الوليد وهو مدلس ، ولكن رواه أحمد ، وابن ابى شيبة ، وأبو داوود بلفظ : كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ، واسناده صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والدارمى .

(٣) سورة آل عمران : ١٩٠ — ٢٠٠ ، روى البخــارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت عند خالتى ميمونة ، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر ، قعد فنظر الى السماء فقال : **« ان فى خلق السموات والأرض ... »** الآيات الحديث ..

(٤) رواه مسلم عن عائشة .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا اله غيرك »(١) .

« الله أكبر كبيرا »(٢) .

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه »(٣) .

« الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمــة »(٤) .

باب القنوت فى الوتر

« اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبــارك لى فيمــا أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، أنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت »(٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم انا نستعينك ونستغفرك ، ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم اياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، واليك نسعى ونحفــد ، ونخشى عذابك الجد ، ونرجو رحمتك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق » .

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعــافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »(٦) .

---

(١) رواه أبو داوود والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبى ، وقد روى من غير وجه بأسانيد جياد .

(٢) رواه مســلم ، وابو نعيم فى « أخبــــار اصبهــان » استفتح بــه رجل فقال : « الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا » فقال صلى الله عليه وسلم : « عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء » .

(٣) رواه أبو داوود ، والترمذى بسند حسن ، والهمز : المؤتة ، نوع من الجنون ، والنفخ : الكبر . والنفث : الشعر ، والمراد به الشعر المذموم .

(٤) روه أبو داوود بسند صحيح .

(٥) رواه أبو داوود ، والترمذى وقال : حــديث حسن ، وأحمــد والطبرانى ، قال الترمذى : ولا نعرف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى القنوت شيئا أحسن من هذا . ورواه ابن أبى شيبة ، وابن عساكر بسند صحيح .

(٦) رواه مسلم وأصحاب « السنن » عن عائشة .

« سبحان الملك القدوس »[١] . ثلاثا .

باب اجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان

« اذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، فقال احدكم الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشـهد أن لا اله الا الله قال : أشـهد أن لا اله الا الله ، ثم قال : أشهد ان محمدا رسول الله ، قال : أشهد أن محمدا رسـول الله . ثم قال : حي على الصلاة ، قال : لا حـول ولا قوة الا بالله . ثم قال : حي على الفلاح ، قال : لا حول ولا قـوة الا بالله . ثم قـال : الله أكبر الله أكبر ، قال : الله أكبر الله أكبر . ثـم قال : لا اله الا الله قال : لا اله الا الله »[٢] .

« أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبـده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينـا »[٣] .

« اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمـدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته »[٤] .

« اللهم هـذا اقبـال ليلك ، وادبار نهـارك ، وأصـوات دعاتك فاغفر لى »[٥] .

باب الدعاء بعد ركعتى الفجر

« اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن يسـارى نورا ، وفوقى نورا وتحتى نـورا ،

---

(١) روى أبو داوود والنسائي باسناد صحيح عن ابي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الوتر قال : « سـبحان الملك القـدوس » وفى رواية النسائى وابن السنى : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات .

(٢) رواه مسلم ، وابو داوود ، والنسائى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قال المؤذن .. » وقال فى آخره : « ثم قال : لا اله الا الله . قال : لا اله الا الله من قلبـه دخـل الجنة » .

(٣) رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : حين يسمع المؤذن : اشهد ... » وفى آخره : « غفر له ذنبه » .

(٤) رواه البخارى ، وأبو داوود وغيرهما عن جابر رضى الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم .. » وفى آخره : « حلت له شفاعتى يوم القيامة » .

(٥) رواه أبو داوود ، والبيهقى فى « الدعوات الكبير » واسـناده =

وأمامى نورا ، وخلفى نورا ، واجعل لى نورا ، وفى لسانى نورا ، وعصبى نورا ، ولحمى نورا ، ودمى نورا ، وشـــعرى نورا ، وبشرى نورا ، واجعل فى نفسى نورا ، وأعظم لى نورا ، اللهم أعطنى نورا »(١) .

باب الدعاء عند الخروج من البيت

« بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم انا نعـوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نظلم(٢) أو نجهل أو يجهل علينا »(٣) .

« بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله »(٤) .

« اللهم انى أعـوذ بك أن أضل أو أضـل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على »(٥) .

باب الدعاء عند دخول المسجد

« أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشـيطان الرجيم »(٦) .

« بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله »(٧) .

= ضعيف فيه أبو كثير ، وهو مجهول ، كما قال النووى وغيره .

وفى باب ما يقول اذا ســمع الاقامة ، جـاء فى سنن أبى داوود : « حدثنا سليمان بن داوود العتكى ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنى رجل من اهل الشـام ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى امامة ، أو عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أن بلالا أخذ بالاقامة فلما أن قال : قد قامت الصلاة قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اقامها الله وادامها » .

(١) رواه مسلم وابن أبى شيبة .

(٢) نظلم : الأولى بفتح النون والثانية بضمها .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) رواه أبو داوود ، والترمذى وحسـنه ، والنسـائى من حديث انس ، والحديث بتمامه : عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : ـ يعنى اذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان » .

(٥) رواه أبو داوود ، والترمذى ، والنسائى وقال الترمذى : وهو حديث صحيح .

ـ أضل أو أضل : الأولى بكسر الضاد والثانية بفتحها ، أظلم أو أظلم : الأولى بفتح الألف والثانية بضمها .

(٦) قال النووى فى « الأذكار » : حديث حسن ، ورواه أبو داوود بسند جيد .

(٧) قال النووى فى « الأذكار » : روينا فى كتاب ابن السنى عن أنس =

« رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك »(١) .

باب الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب

« لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد . بيده الخير وهو على كل شيء قدير »(٢) .

« اللهم أجرنى من النار » — سبع مرات — .

« اللهم انى أسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا »(٣) .

باب الدعاء والذكر عند الصبح والمساء

« بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم »(٤) — ثلاث مرات .

« اللهم عافنى فى بدنى ، اللهم عافنى فى سمعى ، اللهم عافنى فى بصرى ، لا اله الا أنت »(٥) — ثلاث مرات .

« رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا »(٦) ثلاث مرات .

« أصبحنا على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »(٧) .

= رضى الله عنه . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال : « بسم الله .. اللهم صل على محمد » .

(١) رواه ابن السنى بلفظ : « اللهم اغفر لى وافتح لى ابواب رحمتك » .

(٢) رواه الطبرانى من رواية يحيى بن عبد الله البابلتى ، وهو ضعيف كما فى « التقريب » .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن السنى عن أم سلمة .

(٤) رواه ابو داوود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى ، وقال : حديث حسن غريب صحيح .

(٥) رواه أبو داوود .

(٦) رواه الترمذى عن ثوبان بلفظ : « من قال حين يمسى : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا » دون ذكر ثلاث مرات . وفى اسناده سعد بن المرزبان ، وهو ضعيف ، وقال الترمذى عنه : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، ولعله صح عنده من طريق آخر ، ورواه ابو داوود والنسائى . قال النووى : بأسانيد جيدة .

(٧) حديث صحيح أخرجه عبد الله بن احمد فى زوائد « المسند » عن عبد الرحمن بن ابزى ، وأخرجه احمد ، والدارمى ، وابن السنى فى « اليوم والليلة » .

« أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ، والكبرياء والعظمة لله ، والخلق والأمر ، والليل والنهار ، وما سكن فيهما لله »[١] .

« اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا ، وأوسطه نجاحا ، وآخره فلاحا يا أرحم الراحمين ، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين » .

« اللهم انى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده »[٢] — فى الصباح .

« أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين » .

« اللهم انى أسألك خير هذه الليلة ، فتحها ونصرها ونورها وبركتها وهداها ، وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها » — فى المساء .

« اللهم ماأصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » — فى الصباح .

« اللهم ما أمسى بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » — فى المساء .

« اللهم أنى أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله ، لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك » — فى الصباح .

« اللهم انى أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله ، لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك » — فى المساء .

« أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » — (سبع مرات) .

« اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت »[٣] .

« اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة » .

« اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى » .

اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى » .

---

(١) ذكره النووى فى « الأذكار » برواية ابن السنى .
(٢) رواه ابو داوود عن ابى مالك الاشعرى .
(٣) رواه البخارى عن شداد بن اوس .

« اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتى »[١] .

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »[٢] .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون »[٣] .

« اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه »[٤] .

« اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، واليك المصير »[٥] — فى الصباح .

« اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، واليك النشور »[٦] — فى المساء .

« أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير مافى هذه الليلة . وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل ، ومن سوء الكبر والكفر ، رب أعوذ من عذاب فى النار وعذاب فى القبر »[٧] — فى المساء .

---

(١) أخرجه النسائى ، وابن ماجه ، وصححه الحاكم .

(٢) أخرجه مسلم فى « صحيحه » عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله . لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد .. » .

(٣) الروم : ١٧ — ١٩ .

(٤) رواه أو داوود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أبو داوود ، والترمذى .

(٦) رواه أبو داوود ، والترمذى وقال : حديث حسن .

(٧) رواه مسلم دون لفظة « والكفر » عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

« أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر والكفر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر »(١) — في الصباح .

« حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ، لا اله الا هو ، اليه المصير »(٢) .

« الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلي العظيم »(٣) .

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » (ثلاث مرات) .

* * *

(١) رواه مسلم أيضا دون لفظة « والكفر » عن ابن مسعود .
(٢) غافر : ١ — ٣ (٣) البقرة : ٢٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

((هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم))(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

((قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد))(٢) (ثلاث مرات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

((قل اعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد))(٣) .
(ثلاث مرات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

((قل اعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس))(٤) (ثلاث مرات) .

« اللهم بك أحاول ، وبك أصاول ، وبك أقاتل » .

((يس . والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين))(٥) الى آخر السورة .

باب الدعاء عند الخروج من المسجد

« اللهم انى أسألك من فضلك »(٦) « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله »(٧) . « رب اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك »(٨) .

---

(١) الحشر : ٢٢ — ٢٤
(٢) سورة الاخلاص .
(٣) سورة الفلق .
(٤) سورة الناس .
(٥) يس : ١ — ٣
(٦) رواه مسلم ، وأبو داوود ، والنسائى وابن ماجه .
(٧) رواه ابن السنى بلفظ : بسم الله اللهم صل على محمد .
(٨) رواه ابن السنى اذا دخل المسجد قال : اللهم اغفر لى ، واذا خرج : اللهم افتح لى أبواب فضلك .

باب الدعاء عند دخول البيت

« اللهم انى أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا »(١) .

باب الدعاء عند لأكل والشرب

« بسم الله ، وعلى بركة الله » .

« الحمد لله الذى أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل » .

« بسم الله أوله وآخره »(٢) .

« الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ، ربنا »(٣) .

« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين »(٤) .

« الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه ، وجعل له مخرجا »(٥) .

« اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه » .

« اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم »(٦) .

باب الدعاء عند دخول الخلاء وخروجه

« اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث »(٧) .

« أعوذ بالله من الخبث والخبائث بسم الله — عند الدخول — غفرانك ، الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى » — بعد الخروج(٨) .

باب الدعاء قبل الوضوء وبعده

« بسم الله الرحمن الرحيم . أشهد أن لا اله الا الله وحده

---

(١) رواه ابو داوود عن ابى مالك الاشعرى .

(٢) رواه ابو داوود ، والترمذى عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اكل احدكم فليذكر اسم الله تعالى فى أوله ، فان نسى ان يذكر اسم الله تعالى فى اوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » قال الترمذى : حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى عن ابى أمامة .

(٤) رواه ابو داوود ، والترمذى عن ابى سعيد الخدرى .

(٥) رواه ابو داوود ، والنسائى بسند صحيح .

(٦) رواه مسلم فى « صحيحه » عن عبد الله بن بشر .

(٧) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك .

(٨) روى ابو داوود ، والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « غفرانك » وروى النسائى ، وابن ماجه باقيه .

لا شريك له ، وأشهد أن محمــدا عبده ورســوله . اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين »(١) ــ بعد الوضوء .

باب الدعاء عند التكبيرة الأولى

« اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من الخطــايا كمــا ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل خطاياى بالمــاء والثلج والبرد »(٢) .

« وجهت وجهى للذى فطر الســموات والأرض حنيفــا وما أنا من المشركين ، ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

« اللهم أنت الملك لا اله الا أنت ، أنت ربى وأنا عبــدك ، ظلمت نفسى ، واعترفت بذنبى ، فاغفر لى ذنوبى جميعا ، أنه لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت ، واصرف عنى سيئها ، لا يصرف عنى سيئها الا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله فى يديك ، والشر ليس اليك ، وأنا بك واليك ، تبــاركت وتعاليت ، أســتغفرك وأتوب اليك »(٣) « الله أكبر كبيرا (ثلاثــا) والحمــد لله كثيرا »(٤) (ثلاثا) .

« وسبحان الله بكرة وأصيلا »(٥) (ثلاثا) « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه »(٦) .

باب الدعاء فى الركوع وبعده وفى السجود وبين السجدتين

« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى »(٧) .

---

(١) روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ » ثم قال : « اشهد ان لا اله الا الله وحده .. » وزاد الترمذى : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » وسندها صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داوود ، والنسائى ، وابن حبان ، واحمد ، والشافعى ، والطبرانى .

(٤) رواه ابو داوود ، والطحاوى بسند حسن .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه ابو داوود ، وابن ماجه ، والدارقطنى ، والحاكم وصححه هو وابن حبان ، والذهبى .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح »[١] .

« سمع الله لمن حمده »[٢] .

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد » .

« اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، سبحان ربى العظيم — ثلاثا — سبحان ربى الأعلى — ثلاثا — سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد » .

« اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه ، وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » .

« اللهم اغفر لى ذنبى كله ، دقه ، وجله ، وأوله ، وآخره ، وعلانيته ، وسره » .

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك ، من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

« اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى ، رب اغفر لى » .

باب التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء

« التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد » .

« اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات » .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .

« اللهم انى أعوذ بك من المـأثم والمغرم » .

« اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم » .

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت اعلم بـه منى ، أنت المقـدم وأنت المؤخـر ، لا اله الا أنت » .

« اللهم انى أسألك الثبـات فى الأمر ، والعزيمـة على الرشـد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسـانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك لمـا تعلم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » .

باب الدعاء والذكر بعد الصلاة

« الله أكبر ، اسـتغفر الله — ثلاثا — اللهم أنت السـلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، رب أعنى على ذكرك وشـكرك وحسن عبادتك . لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

« اللهم لا مانع لمـا أعطيت ، ولا معطى لمـا منعت ، ولا ينفـع ذا الجد منك الجد . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . لا حول ولا قوة الا بالله . لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن . لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

« اللهم انى أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من البخل ، وأعـوذ بك من أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر . سبحان الله — ثلاث وثلاثون — والحمـد لله — ثلاث وثلاثـون — والله أكبر — اربع وثلاثون — « **الله لا اله الا هـو الحي القيـوم ، لا تأخـذه سـنة ولا نوم ، له ما فى السـموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشـفع عنـده الا باذنـه ، يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطـون بشيء من علمـه الا بما شـاء ، وسع كرسية السموات والارض ، ولا يؤده حفظهمـا ، وهـو العـلى العظيم** »(١) « **قـل اعـوذ برب الفلق** » الى آخـرها ، « **قل أعوذ برب الناس** » — الى آخرها .

---

(١) البقرة : ٢٥٥

باب الدعاء عند عيادة المريض

« اذهب البـأس رب النـاس ، واشف أنت الشافى ، لا شـفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما . لا بأس طهور ان شاء الله تعالى . « قل أعوذ برب الناس » — الى آخـر السورة — بسم الله تربـة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى سقيمنا باذن ربنا . بسم الله (ثلاثا) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجـد واحاذر (سبعا) . بسم الله ارقيك من كـل شىء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسـم الله أرقيك . أعيذك بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . أسـأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . بسـم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ، ومن شر حر النار . ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك فى السـماء والأرض كمـا رحمتك فى السماء ، فاجعل رحمتك فى الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشـفاء من شـفائك على هذا الوجع » .

« اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشى لك الى جنازة » .

« اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » .

باب الدعاء والذكر عند من حضره الموت

« لا اله الا الله ، انا لله وانا اليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى ، واخلف لى خيرا منها » .

« اللهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجته فى المهـديين ، واخلفـه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العـالمين ، وافسـح له فى قبره ، ونور له فيه ، لا اله الا الله الحليم الكريم ، سـبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العـالمين . « يس . والقرآن الحكيم »(١)، (السـورة) .

باب الدعاء فى صلاة الجنازة ودفنها

بسـم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ... »(٢) السورة .

« اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالمـاء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كمـا نقيت

---

(١) يس : ١ ، ٢ (٢) الفاتحة : ٢

الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهــلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجه ، وأدخله الجنة ، واعــذه من عــذاب القبر ومن عذاب النار •

اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنــا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ، ومن توفيتــه منا فتوفه على الايمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده •

اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك ، وحــل جوارك ، فقه من فتنــة القبر وعذاب القبر ، وأنت أهل الوفاء والحق •

اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم •

اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت هديتهــا الى الاســلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتهــا ، جئنــا شــفعاء فاغفر له •

اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وذخرا وأجرا •

اللهم عبدك وابن عبدك ، كان يشهد أن لا اله الا الله وأن محمــدا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به منى ، ان كان محســنا فزد فى احسانه ، وان كان مسيئا فاغفر له ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده •

بســـم الله وبالله وعلى ملة رســـول الله « **الم • ذلك الكتــاب لا ريب فيه •••** » الى قوله : « **وأولئك هــم المفلحون** »(١) عند رأســه : « **آمن الرسول بما أنزل اليــه من ربه والمؤمنــون** »(٢) ... الى آخــر السورة عند رجليه •

باب الدعاء عند زيارة القبور

« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شــاء الله بكم للاحقون • نسأل الله لنا ولكم العافية •

السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أنتم ســلفنا ونحن بالأثر •

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون •

اللهم اغفر لأهــل بقيع الغرقد ، الســلام على أهــل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون » •

---

(١) البقرة : ١ ــ ٥ (٢) البقرة : ٢٨٥

باب دعاء الاستخارة

« اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : فى عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به » .

باب دعاء الحاجة

« لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها يا أرحم الراحمين » .

باب خطبة الحاجة ، كالنكاح وغيره وما يتعلق به

« ان الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، من يضلله فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . **« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون »**(١) . **« يا يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ... »** الى قوله : **« واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا »**(٢) . **« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »**(٣) .

بارك الله لك وبارك عليكما ، وجمع بينكما فى خير .

اللهم انى أسألك من خيرها ، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » .

باب الدعاء عند دخول السوق

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى

---

(١) آل عمران : ١٠٢ — (٢) النساء : ١

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير • بسم الله ، اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها •
اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها صفقة خاسرة » •

باب الدعاء عند الكرب والغضب

« اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا •
اللهم رحمتك أرجو • فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين • وأصلح لى شأنى كله ، لا اله الا أنت •
اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك وفى قبضتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضائك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، وأنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، وجلاء همى وغمى • يا حى يا قيوم ، برحمتك أستغيث • لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » •

باب الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار

« اللهم انى أسألك من فضلك ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » •

باب الدعاء فى السفر ومشايعة المسافر

« الله أكبر — ثلاثا •
« **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وانا الى ربنا لمنقلبون** »(١) •
اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى . ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل • اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل ، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » •
« اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى الأهل والمال •
« أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، سمع سامع بحمد الله

---
(١) الزخرف : ١٣ ، ١٤

ونعمته ، وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا حافظنا وأفضل علينا عائـذا بالله من النار ، الله أكبر — ثلاثا — لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحـزاب وحده . اللهم منزل الكتاب ، سريع الحسـاب ، اللهم اهزم الأحـزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم ، اللهم انـا نجعلك فى نحورهـم ، ونعـوذ بك من شرورهم » .

« اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ، بسم الله ، الحمـد لله « **سبحان الذى سخر لنـا هـذا وما كنا له مقرنين** . وانا الى ربنا لمنقلبون » .

« الحمـد لله (ثلاثا) والله أكبر (ثلاثا) سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفـر الذنوب الا أنت ، يا أرض .. ربى وربك الله ، أعـوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يـدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحيـة والعقرب ، ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد » .

« استودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك . استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم . زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير حيثما كنت » .

« اللهم اطو له البعد ، وهون عليه السفر » .

بسـم الله الرحمن الرحيم

« **قل يا ايها الكافرون ...** » الى آخـر السورة .

« **اذا جاء نصر الله والفتح ...** » السـورة .

« **قل هو الله احـد ...** » السـورة .

« **قل اعوذ برب الفلق ...** » السـورة .

« **قل اعوذ برب الناس ...** » السـورة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشـياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فانا نسـألك خـير هذه القرية وخير أهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

اللهم بارك لنا فيها (ثلاثا) .

اللهم ارزقنا جناها وحببنا الى أهلها وحبب صالحى أهلها الينا » .

باب دعاء الاحرام والتلبية

« لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك ، والملك ، لا شريك لك » .

« لبيك اللهم لبيك وسعديك ، والخير فى يديك لبيك والرغباء اليك والعمل » .

« اللهم انى أسألك رضاك والجنة ، وأسألك العفو برحمتك من النار » .

باب دعاء الطواف والمقام والصفا والمروة

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

اللهم قنعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير ، ((**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**))(١)

اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى ، فأعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى .

اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى الا ما كتبت لى ، ورضنى بما قسمت لى يا أرحم الراحمين .

((**ان الصفا والمروة من شعائر الله**))(٢) .

أبدأ بما بدأ الله به : لا اله الا الله وحده ، الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

اللهم انك قلت ((**ادعونى استجب لكم**))(٣) ، وانك لا تخلف الميعاد ، وانى أسألك كما هديتنى للاسلام أن لا تنزعه منى حتى توفانى ، وأنا مسلم ، رب اغفر وارحم أنت الأعز الأكرم .

باب دعاء عرفة بعرفة

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول .

---

(١) البقرة : ١٢٥ — (٢) البقرة : ١٥٨

(٣) غافر : ٦٠

اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك ما بى ، ولك ربى تراثى •

اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسواس الصدر ، وشتات الأمر •

اللهم انى أسألك من خير ما تجىء به الريح ، وأعوذ بك من شر ما تجىء به الريح ، لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير •

اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى قلبى نورا •

اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأعوذ بك من وساوس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر •

اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر •

لبيك اللهم لبيك ، انما الخير خير الآخرة ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر ولله الحمد • لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد •

اللهم اجعله حجا مبرورا ، وذنبا مغفورا •

اللهم اهدنا بالهدى ، وزينا بالتقوى ، واغفر لنا فى الآخرة والأولى •

اللهم انى أسألك رزقا حلالا طيبا مباركا •

اللهم انك أمرتنى بالدعاء ولك الاجابة ، وانك لا تخلف الميعاد ، ولا تنكث عهدك •

اللهم ما أحببت من خير فحببه الينا ويسره لنا ، وما كرهت من شر فكرهه الينا وجنبناه ، ولا تنزع منا الاسلام بعد اذ هديتنا **« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »(١)** •

اللهم انى أسألك من خير ما سألك به نبيك صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ به نبيك صلى الله عليه وسلم •

« ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »(٢) • **« رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل**

---

(١) البقرة : ٢٠١ (٢) الأعراف : ٢٣

دعاء . ربنـا اغفـر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحسـاب »(١) . « رب ارحمهمـا كمـا ربيـانى صغيرا »(٢) . « ربنـا اغفر لنـا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنـا غـلا للذين آمنـوا ، ربنـا انك رءوف رحيم »(٣) « ربنـا تقبـل منا ، انك انت السـميع العليم »(٤) « وتب علينا ، انك نت التواب الرحيم »(٥) .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

اللهم انك تعـلم وترى مكانى وتسـمع كـلامى ، وتعـلم سرى وعلانيتى ، ولا يخفى عليك شىء من أمرى . وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبى : أسألك مسـألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليـل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عينـاه ، ونحل لك جسـده . ورغـم لك أنفه .

اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن لى رءوفا رحيما ، يا خير المسـئولين ، يا خـير المعطين ، يا أرحـم الراحمين ، والحمـد لله رب العالمين .. آمين .

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير (مائة مرة) « **قل هو الله احـد ...** » السـورة (مائة مرة) اللهم صل على محمد وعلى آل محمـد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، وعلينا معهم » (مائة مرة) .

باب الدعاء عند رؤية الهلال

« اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسـلام ، ربى وربك الله ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشـد . آمنت بالذى خلقك ـــ ثلاث مرات ـــ الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ، وأعوذ بالله من شر هـذا » .

« اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان » .

باب دعاء الافطـار

« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله » .

---

(١) ابراهيم : ٤٠ ، ٤١ — (٢) الاسراء : ٢٤
(٣) الحشر : ١٠ — (٤) البقرة : ١٢٧
(٥) البقرة : ١٢٨

« اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر ذنوبى » .

باب الدعاء فى ليلة القدر

« اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » .

باب الدعاء عند لبس الثوب الجديد

« اللهم لك الحمد كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول ولا قوة ، الحمد لله الذى رزقنى من اللباس ما أتجمل به فى الناس ، وأوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى . الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى » .

باب دعاء كفارة المجلس

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، استغفرك واتوب اليك » .

باب دعاء حفظ القرآن

« اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى .

اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والاكرام ، والعزة التى لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى ، وأن تطلق به لسانى ، وأن تفرج به عن قلبى ، وأن تشرح به صدرى ، وأن تغسل به بدنى ، فانه لا يعيننى على الحق غيرك ، ولا يؤتيه الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى العظيم » .

باب الدعاء اذا راى مبتلى

« الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا » .

باب دعاء قضاء الدين

« اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

« اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عمن سواك » .

باب دعاء الاستسقاء

« اللهم اسق عبادك وبهيمتك ، وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت .

اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار ، عاجلا غير آجل . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . لا اله الا الله يفعل ما يريد .

اللهم أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا الى حين » .

باب دعاء الرياح والرعد والمطر

« اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به .

اللهم اجعلها رحمه ولا تجعلها عذابا . اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا .

اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .
سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

اللهم انى أعوذ بك من شر ما فيه .

اللهم سقيا نافعا . اللهم صيبا نافعا » .

باب دعاء التوبة

« اللهم انى أتوب اليك منها لا أرجع اليها أبدا .

اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ، ورحمتك أرجى عندى من عملى » .

باب صلاة التسبيح

« سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » .

باب الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة

« اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا .

اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره » .

باب الدعاء عند رؤية المرآة

« اللهم أنت حسنت خلقى ، فحسن خلقى » .

« اللهم كما حسنت خلقى فأحسن خلقى ، وحرم وجهى على النار . الحمد لله الذى سوى خلقى وأحسن صورتى وزان منى ما شان من غيرى . الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله ، وصور صورة وجهى فأحسنها وجعلنى من المسلمين » .

باب اسم الله الأعظم

« اللهم انى أسألك بانك أنت الله لا اله الا أنت ، الأحـد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد •

اللهم انى أسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت الحنـان المنـان ، بديع السـموات والأرض ، يا ذا الجلال والاكـرام ، يا حى يا قيـوم أسـألك ، والهكم اله واحـد لا اله الا هو الرحمن الرحيم • الم •. الله لا اله الا هـو الحى القيـوم • لا اله الا أنت سـبحانك انى كنت من الظالمين » •

باب اسماء الله تعـالى

« هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السـميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبـير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليـل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيـد ، الباعث ، الشـهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، المـاجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخـر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المـانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » •

❊ ❊ ❊

بـاب الاسـتعاذة

اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء » •

« اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال » •

« اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخـل ، والهرم ، وعذاب القبر » •

« اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها . أنت وليهـا ومولاها » .

« اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع . ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

« اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك » .

« اللهم انى أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل » .

« اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت » .

« اللهم انى أعوذ بعزتك ، لا اله الا أنت ، أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والانس يموتون » .

« اللهم انى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » .

« اللهم انى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق » .

« اللهم انى أعوذ بك من الجـوع ، فانه بئس الضجيع ، وأعـوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » .

« اللهم انى أعوذ بك من البرص ، والجـذام ، والجنون ، ومن سيىء الأسقام » .

« اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والاهواء » .

« اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ، وشر لسـانى وشر قلبى وشر منيى » .

« اللهم انى أعـوذ بك من الهـرم ، وأعوذ بك من التردى ، ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك من أن أمـوت لديغـا » .

« اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع » .

« اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى » .

« اللهم انى أسألك الجنة » ـ ثلاث مرات .

« اللهم انى استجيرك من النار » ـ ثلاث مرات .

« أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه ، وبكلمـات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت

منهـا وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، وأعـوذ بالله من الكفـر والدين » .

باب جامع الدعاء

« اللهم اغفـر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمـرى ، وما أنت أعلم به منى » .

« اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى » .

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخـرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقـدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شىء قـدير » .

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحيـاة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر » .

« اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم اهـدنى وسددنى » .

« اللهم اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وعافنى وارزقنى » .

« اللهم آتنا فى الدنيا حسـنة وفى الآخرة حسنة وقنـا عـذاب النار . رب أعنى ولا تعن على ، وانصرنى ولا تنصر على ، وامكر لى ولا تمكر على ، واهدنى ويسر الهدى لى ، وانصرنى على من بغى على . رب اجعلنى لك شاكرا ، لك ذاكرا ، لك راهبا ، لك مطـواعا ، لك مخبتا ، اليك أواها منيبا ، رب تقبل توبتى ، واغسل حوبتى ، وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، وسدد لسانى ، واهد قلبى ، واسلل سخيمة صدرى » .

« اللهم انى أسألك العفو والعافية . رب انى أسألك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة » .

« اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك » .

« اللهم ما رزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب » .

« اللهم ما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب » .

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصـيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبـات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنـا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا . ولا تجعل

مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » .

« اللهم انفعني ما علمتنى ، وعلمني ما ينفعنى ، وزدنى علما ، الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار » .

« اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » .

« اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك . والعمل الذى يبلغنى حبك » .

« اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى ومالى وأهلى : ومن الماء البارد » .

« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحينى ما علمت الحياة لى خيرا لى ، وتوفنى اذا علمت الوفاة خيرا لى » .

« اللهم أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب ، وأسألك القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » .

« اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهديين » .

« اللهم اجعلنى أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك ، وأتبع نصحك : وأحفظ وصيتك » .

« اللهم انى أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق : والرضى بالقدر » .

« اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » .

« اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة » .

« اللهم انى أسألك من صالح ما تؤتى الناس من الأهل والمال والولد غير الضال ولا المضل » .

باب الدعاء عند المنام

« اللهم باسمك أموت واحيا ، باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، ان امسكت نفسى فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

« اللهم أسلمت نفسى اليك ، ووجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت » .

« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى » .

« سبحان الله » — ثلاثا وثلاثين .

« الحمد لله » — ثلاثا وثلاثين .

« الله أكبر » — أربعا وثلاثين .

« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شىء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته . أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء : اقض عنى الدين ، واغننى من الفقر ، بسم الله وضعت جنبى لله » .

« اللهم اغفر ذنبى ، وأخسىء شيطانى ، وفك رهانى ، واجعلنى فى الندى الأعلى » .

« الحمد لله الذى كفانى وآوانى وأطعمنى وسقانى ، والذى منّ على فأفضل ، والذى اعطانى فأجزل .. الحمد لله على كل حال » .

« اللهم رب كل شىء ومليكه ، واله كل شىء ، أعوذ بك من النار » .

« اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما اضلت ، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم ، وأن يبغى ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ، لا اله الاأنت » .

« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » — ثلاث مرات .

« اللهم انى أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته » .

« اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم » .

« اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك . أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه » — ثلاث مرات .

« الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تاخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين

أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلى العظيم))(١) .

((آمن الرسـول بمـا أنزل اليه من ربـه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحـد من رسـله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمـل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنـا ما لا طـاقة لنا به ، واعف عنها واغفر لنـا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القـوم الكافرين))(٢) .

((قل هو الله أحد ..)) ــ السورة .

((قل أعوذ برب الفلق ..)) ــ السورة .

((قل أعوذ برب الناس ..)) ــ السورة .

((حم . والكتاب المبين . انـا انزلنـاه فى ليلة مبـاركة ، انـا كنـا منـذرين ...))(٣) ــ السورة .

((الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ...))(٤) .

((تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير))(٥) .

((قل هو الله أحـد . الله الصمـد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحـد))(٦) ــ السورة .

((قل يا أيهـا الكافرون . لا أعبـد ما تعبـدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبـدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبـد . لكم دينكم ولى دين))(٧) .

((ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليـل والنهـار لآيـات لأولى الألباب ..))(٨) ــ الى آخـر السورة .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٥
(٢) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦
(٣) الدخان : ١ ــ ٣
(٤) السجدة : ١ ، ٢
(٥) الملك : ١
(٦) سورة الكافرون .
(٧) سورة الاخلاص .
(٨) آل عمران : ١٩٠ ــ ٢٠٠

الخاتمة وفيها خمسة فصول :

الفصـــل الأول
فى ذكر الله عز وجل

« لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

« مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه ، مثل الحى والميت » .

« ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا » .. الحديث .

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وارفعهـا فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعنـاقهم ، ويضربوا أعنـاقكم » ؟ قالوا : بلى ، قال « ذكر الله » .

« طوبى لمن طال عمره ، وحسن عمله » .

قال : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « أن تفـارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » .

« من قعد مقعـدا لم يذكر الله فيه كانت عليـه من الله ترة ، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة » .

« ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرة » .

« كل كـلام ابن آدم عليـه لا له ، الا أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله » .

« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغـير ذكر الله قسوة للقلب ، وان أبعد الناس من الله القلب القاسى » .

أى المـال نتخذ ؟ قال : « لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجـة مؤمنة تعينه على ايمانه . لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » .

أى العبـاد أفضـل وارفع درجـة عند الله يوم القيـامة ؟ قال : والذاكرون الله كثيرا والذاكرات » .. الحديث .

« الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا ذكـر الله خنس ، واذا غفل وسوس » .

« ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين » .. الحديث .

« ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » .

« ان الله تعالى يقول : أنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .

« لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله » .. الحديث .

* * *

الفصل الثانى

فى فضل تلاوة القرآن وفضائل سوره

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

« لا حسد الا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار » .

« المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة » .

« ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » .

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » .

« اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » .

« اقرأوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فانهما تأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان — أو غيايتان ، أو فرقان — من طير صواف تحاجان عن أصحابهما » .

« اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » .

« يا أبا المنذر : اتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم » ؟ قلت :

((الله لا اله الا هو الحى القيوم)) ؟

قال : فضرب صدرى وقال : « ليهنك العلم يا أبا المنذر » .

« ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته » .

« من حفظ عشر آيات من ســـورة الكهف عصم من الدجال » .

« انى احب هذه السورة : « **قل هو الله احد** » .

قال : « ان حبك اياها أدخلك الجنة » .

« ألم تر آيات انزلت الليـلة لم ير مثلهن قط : « **قـــل اعــوذ برب الفلق** » . « **قل اعوذ برب الناس** » .

« يقال لصاحب القرآن : اقـرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » .

« ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » .

« يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضـــل كلام الله تعالى على ســـائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

« من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

« من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس والداه تاجـا يوم القيـامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيـا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا » ؟

« من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله ، وحرم حـرامه ، أدخله الله الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار » .

« ان لكل شىء قلبا ، وقلب القرآن (يس) ، ومن قـرأ (يس) : كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات »[1] .

« **تبارك الذى بيده الملك** » ، « **اذا زلزلت** » تعـدل نصف القرآن ، و « **قل هو الله احد** » . تعدل ثلث القرآن ، و « **قل يا ايها الكافرون** » . تعدل ربع القرآن .

« من قرأ كل يوم مائتى مرة : « **قـل هو الله احـد** » . محى عنه ذنوب خمسين سنة ، الا أن يكون عليه دين » .

(كان) يتعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « **قل اعـوذ برب الفلق** » و « **قل اعوذ برب الناس** » . ويقول يا عقبـــة ! تعوذ بهمـــا ، فما تعوذ متعوذ بمثلهما » .

« قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير الصلاة وقراءة القرآن فى غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير » .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

« قراءة الرجل القرآن فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضعف على ذلك الى ألفى درجة » .

« ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد اذا أصابه الماء » .
قيل : يارسول الله .. وما جلاؤها ؟ قال : « كثرة ذكر الموت . وتلاوة القرآن » .

« فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .

« من قرأ سورة (آل عمران » يوم الجمعة صلت عليه الملائكة الى الليل » .

« اقرأوا سورة (هود) يوم الجمعة » .

« من قرأ سورة (الكهف) فى يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بين الجمعتين » .

« من قرأ (يس) ابتغاء وجه الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه . فاقرأوها عند موتاكم » .

« ان لكل سناما ، وأن سنام القرآن سورة (البقرة) » .

« وان لكل شىء لبابا ، وان لباب القرآن المفصل » .

« لكل شىء عروس ، وعروس القرآن (الرحمن) » .

(كان يحب هذه السورة : ((**سبح اسم ربك الأعلى**))) .

« ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم » ؟ قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ ! قال : « أما يستطيع أحدكم ان يقرأ ((**ألهاكم التكاثر**)) ؟ .

« من قرأ : ((**قل هو الله أحد**)) عشر مرات ، بنى له قصر فى الجنة ومن قرأ عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ، ومن قرأ ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور فى الجنة » . فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله .. اذن لنكثرن قصورنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أوسع من ذلك » .

« اذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن » .

* * *

الفصل الثالث

فى فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

« أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

« سبحان الله ، والحمـد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب (الى) مما طلعت عليه الشمس » .

« من قال : سبحان الله وبحمده .. فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » .

« كلمتان خفيفتان على اللسـان ، ثقيلتان فى الميـزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

« يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » فسأله سـائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة » .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أفضـل ؟ قال : « ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » .

« لقد قلت بعدك أربع كلمات — ثلاث مرات — لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسـه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » .

« من قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يومه مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مـائة سـيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » .

« من قال : سبحان الله العظيم وبحمـده ، غرست له نخـلة فى الجنـة » .

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

« أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الحامدون ، الذين يحمدون الله فى السراء والضراء » .

« قال موسى : يا رب .. علمنى شيئا أذكرك به — أو أدعوك به — . فقال : يا موسى .. قل : لا اله الا الله . فقال : يا رب .. كل عبادك يقولون هذا ، انما أريد شـيئا تخصنى به . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع وضعن فى كفـة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله » .

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها حجاب دون الله تخلص اليه » .

« ما قال عبد : لا اله الا الله مخلصا قط الا فتحت له أبواب السماء ، حتى يفضى الى العرش ما اجتنب الكبائر » .

« ان الجنة طيبة التربة ، عذبة المـاء ، وانها قيعان ، وأن غراسـها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » .

« عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، واعقدن بالأنامل ؛ فانهن مسئولات مستنطقات ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة » .

« قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسـبحان رب العالمين ، لا حول ولا قـوة الا بالله العـزيز الحكيم » . قال : هؤلاء لربى فما لى ؟ فقال : « قل : اللهم اغفـر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى » .

« ان الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، تساقط ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة » .

« أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، فانها من كنز الجنة » .

قال مكحول : فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجى من الله الا اليه ، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر .

« لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم »

« سبحان الله هى صلاة الخلائق ، والحمد لله كلمة الشـكر ، ولا اله الا الله كلمة الاخلاص . والله أكبر تملأ ما بين السموات والأرض ، واذا قال العبد : لا حول ولا قـوة الا بالله ، قال الله تعـالى : أسـلم واستسلم » .

* * *

الفصـل الرابع

فى فضل الاستغفار والتوبة

« والله انى لأسـتغفر الله وأتوب اليـه فى اليوم أكثر من سبعين مـرة » .

« يا أيها الناس توبوا الى الله ، فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة »

« ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

« ان العبد اذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه » .

« من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغـربها ، تاب الله عليه » .

« لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان (على)

راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منهـا ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها أيس من راحلته ، فبينما هـو كذلك ، اذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامهاثم قال من شدة الفـرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

« ان عبدا أذنب فقال : رب .. أذنبت ذنبا فاغفره . فقال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى » الحديث .

« قال الله تعالى : يا ابن آدم .. انك (ان) دعوتنى ورجـوتنى ، غفرت لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم .. انك لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » .

« قال الله تعالى : من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى ، ما لم يشرك بى شيئا » .

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كـل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

« ما أصر من استغفر ، وان عاد فى اليوم سبعين مرة » .

« كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

« ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فان تاب واستغفر صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى تعلو قلبـه ، فذلكم الران الذى ذكـر الله تعـالى : « **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** »(١) .

« ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

« ان الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الرب عز وجل : وعزتى وجلالى وارتفاعى (فى) مكانى ، لاأزال أغفر لهم ما استغفرونى : « **قـل يا عبـادى الذين اسرفوا على انفسـهم لا تقنطـوا من رحمـة الله ، ان الله يغفـر الذنوب جميعـا** »(٢) ولا يبـالى » .

« يقول : رب أغفر لى . وتب على ، انك أنت التواب الغفـور » . مائة مـرة .

« من قال : أستغفر الله الذى لا اله الا هـو الحى القيوم وأتوب اليه ، غفر له وان كان قد فر من الزحف » .

« ان الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ، فيقول : يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » .

« ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ، ينتظر دعـوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق ، فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها ،

---

(١) المطففين : ١٤ (٢) الزمر : ٥٣

وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال . وان هدية الأحياء الى الأموات الاستغفار لهم » .

« طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثيرا » .

« اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا أساءوا استغفروا » .

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

* * *

الفصل الخامس

فضل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

« من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا » ..

« من صلى على صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » .

« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .

« ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام » .

« ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام»

انى أكثر الصلاة عليك ، فكم اجعل لك من صلاتي ؟ فقال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : النصف ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : فالثلثين ؟ قال :« ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : اجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « اذن تكفى همك ، ويكفر لك ذنبك » .

« البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل على » .

« من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على غائبا أبلغته » .

« من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة » .

« ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة ، فان شاء عذبهم ، وان شاء غفر لهم » .

« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فانه مشهود تشهده الملائكة ، وما من أحد يصلي على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » .

« من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

محتويات الكتاب

الرسالة الأولى
(٧ — ٥٧)

الرسالة الثانية : مسائل الجاهلية
لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
(٥٨ — ٦٩)

الرسالة الثالثة : كشف الشبهات
للامام محمد بن عبد الوهاب
(٧٠ — ٨٧)

الرسالة الرابعة : الواسطة
لشيخ الاسلام ابن تيمية
(٨٨ — ١٠٤)

الصفحة

الرسالة الخامسة : هدية طيبة
للشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١٠٥ ـ ١٠٨)

الرسالة السادسة : أوثق عرى الإيمان
للشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب
(١٠٩ ـ ١٢٢)

الرسالة السابعة : جواب عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين
(١٢٣ ـ ١٣٢)

الرسالة الثامنة : أسباب نجاة السول من السيف المسلول

(١٣٣ ـ ١٤٥)

الرسالة التاسعة : فى مقادير فىء الزوال

(١٤٦ ـ ١٤٧)

الرسالة العاشرة : التوحيد الذى هو حق الله على العبيد لشيخ الاسلام احمد بن تيمية

(١٤٨ ـ ٢٢٨)

الرسالة الحادية عشرة : حكم موالاة اهل الشرك

الرسالة الثانية عشرة : بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك

(٢٤٤ — ٢٩١)

الرسالة الثالثة عشرة : بيان المحجة في الردة على اللجة

لشيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(٢٩٢ — ٣٥٢)

الرسالة الرابعة عشرة : قاعدة جليلة في العبادة

(٣٥٣ — ٤٢١)

الرسالة الخامسة عشرة : الفرقان

لشيخ الاسلام ابن تيمية

(٤٢٢ — ٥٣٢)

الرسالة السادسة عشرة : الحزب المقبول من احاديث الرسول

(٥٣٣ – ٥٦٧)

الخاتمة وفيها خمسة فصول

(٥٦٨ – ٥٧٥)

* * *

